

علي الكناني

الفلسفة والكلام في مدرسة الحكمة المتعالية

دراسة في آراء الفيض الكاشاني الفلسفية والكلامية



دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah



الفلسفة والكلام في مدرسة الحكمة المتعالية

دراسة في آراء الفيض الكاشاني الفلسفية والكلامية

الفلسفة والكلام في مدرسة الحكمة المتعالية

دراسة في آراء الفيض الكاشاني الفلسفية والكلامية

عليّ الكناني

تقديم

أ. م.
رحيم محمّد الساعدي

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-049-4

[٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ]



دار المعـارف الحكميـة
Dar Al maaref Alhikmiah

العنوان: لبنان - بيروت - سان تيريز - سنتر يحفوفي - بلوك c - ط ٣
تلفاكس: ٠٠٩٦١٥٤٦٢١٩١ - email: almaaref@shurouk.org



تصميم:
only
Create

إخراج فني
إبراهيم شحوري

طباعة



00961 3 336218
شركة دبوق العالمية للطباعة والتجارة العامة ش.م.م.
info@dboukart.com

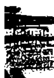


﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾

[سورة **المجادلة**/ ١١]

إن الآراء والاتجاهات والتيارات الوارد الحديث عنها في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن توجهات **دار المعارف الحكمية** وإن كانت تقع في سياق اهتماماته المعرفية





المحتويات

الفصل الثالث: الآراء الفلسفية عند الفيض الكاشاني

ثانيًا: الأخلاق والجمال والعرفان

الفصل الرابع: الآراء الكلامية عند الفيض الكاشاني





الإهداء

إلى سيدتي ومولاتي العقيلة زينب بنت علي عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ...

وإلى روحها وهي في جنات الخلود...

وإلى والدي (رحمه اللّه) ووالدتي الغالية أطال اللّه في عمرها الشريف...

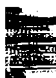
وإلى أستاذي المشرف الدكتور ناجي حسين جودة الكناني (رحمه اللّه)...

وإلى أخي وأخواتي الأعزاء...

وإلى زوجتي الغالية التي وقفت بجانبي وهيأت لي الأجواء طيلة أيام الدراسة...

وإلى أولادي وقرة عيني زهراء وتقى ومحمد باقر...





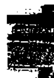
كلمة الناشر

عاش الفيض الكاشاني في مرحلة سطوع الدولة الصفوية في إيران حدود القرن العاشر الهجري. وعلى الرغم من الحروب التي دارت بين الصفويين ومجاوريهم إلا أن المدن الداخلية حظيت بأجواء من الأمن والدعة أتاحت لها إقبالًا وافرًا على العلم والتعليم بإشراف مباشر من الدولة وتشجيع هجرة العلماء إليها. هكذا حفلت أصبهان – العاصمة آنذاك – بجهابذة الفكر؛ كالشيخ البهائي والداماد والمير الفندرسكي، فتشكلت حلقة أصبهان: المدرسة التي حضر عليها ملا صدرا، وأعقبه تلميذه الفيض الكاشاني.

كان للفيض إسهامه الخاص في حلقة أصبهان الفلسفية، حيث عمل على استلهام روحها وإعادة تشكيل وتنظيم الفكر الصدرائي في أهم أبعاده وتشعباته، ولا يمكن فهم أهمية هذا الدور ما لم ندرك الخط البياني التصاعدي لحركة الفكر آنذاك، وسعة الأفق الثقافي الذي احتكم عليه.

وعمومًا، فقد شهدت المسيرة الفلسفية التي طواها الفكر البشري وضعيات استثنائية على مستوى الإنتاج الفكري والكفاءة الفائقة التي تميّز بها روادها في صياغتهم للعلوم والمعارف على





أسس مفهومية مبتكرة، وطرق وأساليب منهجية لم تكن منظورةً في السياق الثقافي السائد آنذاك.

وتميزت تلك الاندفاعات الفكرية بالعمق والجدة والتوسع في المعارف والغزارة في الإنتاج بحيث صعب على اللاحقين استيعاب تلك الجهود الرائدة وإعادة جمعها وتنظيمها معرفيًا بما يسمح لها بالانضواء في نسيج الفكر المتداول والمعمول به، فضلًا عن استثمارها نظريًا في السياق الحضاري، هذا الأمر انعكس سلبًا على مجمل المسيرة الفكرية للإنسانية. نجد ذلك بوضوح فيما آل إليه النتاج الفلسفي لشيخ الإشراق، حيث لم يتوفر له من التلامذة والأتباع القدر الكافي لمتابعة نشاطه متابعة الجمع والإحصاء والحفظ والصقل والتقييم، فبقيت جهوده أقرب إلى طي الكتمان منها إلى الإفصاح والبيان.

وخلافًا لذلك، فقد تهيأ للنهضة الصدرائية الناشطة على يدي صدر المتألهين الشيرازي من يعيد رسم خارطتها البيانية في أدق تفاصيلها ويعمل على تنظيمها وبيانها وضخها في مفاصل الجسم الثقافي العام، وذلك من خلال التميز والإبداع الذي اتسم به الفيض؛ التلميذ الوفي للحكمة المتعالية، والذي عرف بسعة اطلاعه على الثقافات السابقة وتعقبها، وتنوع قراءاته للثقافات الإسلامية على اختلاف مشاربها، وباعه الطويل في عرض المسائل وتشريحها بالتحقيق والتدقيق والتمحيص، وعمق التبادل الثقافي والفكري الذي اشتغل عليه وانعكس في مؤلفاته من فلسفة، وأخلاق، وعرفان، وفقه، وحديث، وتفسير.. مع تميزه بمعالجة موضوعاته بطريقة مبتكرة نظرًا لما يتمتع به قلمه من قدرة بيانية فائقة على سبر أغوار البحث بعيدًا عن الإسهاب والتقصير، مع غنى





وتنوع في الاستدلال، ومباشرة الهدف بعيدًا عن الجدل، وجامعية الطرح مع كمال الاختصار، كل ذلك بأبين لفظ وأمتن معنى. هكذا ينقل لنا الفيض تجربته الثرية وثمرة خوضه في غمار الفكر، لنستنطق معه روح الحكمة التي تمخضت عنها أصبهان من خلال آراءه التي شملت فلسفة الأخلاق، وعلم الجمال، والكلام، وأبحاثه في قضايا التوحيد، والعدالة، ومسألة الجبر والتفويض، والأمر بين أمرين، والنبوة، واللطف، والإمامة، والمهدوية، والمعاد الجسماني، وغيرها، متمسكًا في ذلك كله بالقرآن الكريم وأحاديث الرسول وأهل بيته الكرام (عليهم أفضل السلام).

والفيض إذ يعمد إلى استلهام روح النهضة الثقافية والمعرفية التي شهدها عصره، يحدوه في ذلك رغبة شديدة في تحصيل العلم الحقيقي، وتهذيب الحكمة وتنظيمها، وإيجاد أواصر القربى بين العقل والشرع، فيعيد إنتاج ذروة الفكر الإسلامي في أعمق تجلياته نضوجًا، وذلك في حياة ملا صدرا وبعده، ويتميز بوفائه وإخلاصه لأفكار أستاذه من جهة العرض والشرح والتقريب، إلا أن هذه الجهود اللاحقة لم تحظ بالعناية التي تستحق إلى يومنا هذا؛ فبقيت كثير من مؤلفاته مطموسةً على شكل مخطوطات في زوايا المكاتب بعيدة عن متناول الأيدي، أو وجدت طريقها - في أفضل الأحوال - إلى الطباعة المبتذلة، دون أن تحظى بالتحقيق اللائق بها أو تخضع للدراسة والبحث العلمي.

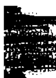
ونظرًا لاهتمام **دار المعارف الحكمية** بالعمل على نشر الدراسات الصدرائية آخذًا بعين الاعتبار إبراز أبعاد الثقافة الإسلامية المتمثلة بالأعمال البحثية الهادفة والدراسات الجادة التي تناولت الفكر الإسلامي على تنوعه وغناه بطريقة منهجية معاصرة، تأتي هذه





الدراسة في السياق الآنف لتقدم لنا فكر الفيض الكاشاني وآراءه بصورة ممنهجة، ولتسهم في تسييل الفكر الإسلامي وتفعيل الثقافة الإسلامية ما أمكن إلى ذلك سبيلًا. نسأل اللّه أن تقع هذه الدراسة في الموقع المأمول لها، واللّه من وراء القصد.





تقديم

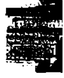
لم يحدث أن انقطع الفكر عن التواصل والتضايف، وربما يتوجّب علينا البحث بنحو يحمل من الجديّة ما يمكّننا من تحديد الفجوات الفكريّة في التاريخ الإنسانيّ عامةً والإسلاميّ خاصّةً.

فربّما قادنا طريق البحث لاستكشاف المجاهيل التي تفتح لنا أبوابًا علميّةً أخرى. وفي هذا الإطار، يمكن أن يوجّه الباحثون أنظارهم صوب مرحلة مهمّة أعقبت الفيلسوف ابن رشد الذي اشتغل بنحوَين، أوّلهما النقد وثانيهما الاعتماد على العقل، وإن كانت هاتان الركيزتان العماد والأساس لأغلب الفلاسفة السابقين.

وإذا كان الإنصاف يستدعي الحديث عن أثر ابن رشد في الفلسفة الغربيّة، فإنّ الإنصاف أيضًا يدعونا إلى إبراز أثر الفلاسفة المسلمين في تلك الفلسفة أيضًا. فجهود ابن سينا والفارابي والفلاسفة الآخرين هي التي قادت إلى تكوين شخصيّة ابن رشد وآرائه وأوصلت أفكار الفلاسفة السابقين إلى الحضارة الأوروبيّة أو الغربيّة.

وما يعنينا في هذا المجال هو المشروع الذي يرمي إلى سدّ





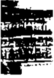
الثغرات أو الفجوات في مرحلة ما بعد ابن رشد، وهي المرحلة التي برزت مؤخرًا، وظهرت على نحو ما في قراءات وتحليلات مدرسة صدر الدين الشيرازي، الذي يصفه بعضهم بأنّه خاتم حكماء الإسلام. وذلك رأي يخلو من الدّقة إذا ما اعتبرنا أنّ الفكر سلسلة مستمرّة لا تُحتكَر بابن رشد أو الشيرازي.

أسّس الشيرازي مدرسةً أو حركةً تمثّلت باتجاهين، الأوّل يشمل أساتذته في هذه المدرسة، ومنهم الشيخ البهائي أو المحقّق الداماد، والثاني يتمثّل بتلاميذه، وهم الفيض الكاشاني، وعبد الرزّاق اللآهيجي، والملا عبد الرشيد، وتلاميذ المدرسة اللاحقين الذين لا يزالون حاضرين على الساحة الفكريّة إلى يومنا هذا.

ويعني اشتمال تلك المدرسة على الأساتذة أنّ الأفكار التي جاء بها الشيرازي كانت مهمّةً إلى حدّ أنّها كوّنت ثقافةً عامّةً وحركةً فكريّةً، فكانت تلك الحقبة تتمثّل بنهضة فكريّة وآراء جديدة ومهمّة، منها الحركة الجوهريّة للنفس والطبيعة، لا سيّما أنّ الشيرازي قد اهتمّ بالوجود والميتافيزيقا.

وإذا ما تركنا الحديث عن مدرسة الشيرازي وتفرّعاتها، فإن ما يهّمنا، في حقيقة الأمر، هو التراث الفكري الذي ولّدته تلك المدرسة، وذلك لسببَين. السبب الأوّل هو إبراز معالم مدرسة الشيرازي وتلامذتها، لا سيّما الفيض الكاشاني، وهو محور هذا الكتاب. أمّا السبب الثاني، فهو إبراز أهميّة تلك المرحلة المستمدّة من أهميّة المدرسة وتلامذتها، ما يتيح لنا قول إنّ الفكر الإسلاميّ لم يصبه الركود ولا يمكن أن يصيبه يومًا. فهذا الامتداد هو صورة ناصعة للحضارة الإسلاميّة، وعلى الباحثين الاهتمام بها، وبلورتها،





وتطويرها، وإبراز معالم تلك المرحلة التي أعقبت صورة ابن رشد المحوريّة.

وفي هذا الكتاب الذي يحاول قراءة بعض من جوانب من فكر الفيض الكاشاني، لا سيّما الجانبَين الفلسفيّ والكلاميّ، يحمل الباحث عليّ الكناني على عاتقه مهمة بلورة الأفكار التي تعدّ جزءًا من المشروع العامّ الذي أسّسه صدر الدين الشيرازي والذي يتعلّق بطلبة مدرسته. فكان عمله عملًا جادًّا وطموحًا لتوضيح الصورة الناصعة للفيض في جانب الكلام والفلسفة.

وأحسب أنّ أعمالًا في الطريق تحاول تسليط الضوء على «المرحلة ما بعد الابن الرشديّة»، وأنا على يقين من أنّ كثرة هذه الأعمال سوف تقدّم لنا تصوّرًا مختلفًا عن الانطباع الجامد الذي ألفناه، والذي يولّد الفكر من انطباعات أخرى تعمل على إضاءة الجانب المظلم من مرحلة ما بعد ابن رشد.

وفي مشروع الباحث الكناني جملة من الأفكار، منها محاولة إعادة ترتيب أوراق الفلسفة وتسليط الضوء على مرحلة ما بعد ابن رشد، وإبراز هيكليّة مدرسة الشيرازي من خلال آراء تلامذته، ومعرفة مدى توافقهم أو اختلافهم مع تلك المدرسة، ومقارنة آرائهم مع الأفكار اليونانية والإسلامية.

أمنياتي للباحث بالعطاء الدائم، والتوفيق، والاستمرار في تسليط الضوء على مرحلة ما بعد ابن رشد.

أ.م.د
رحيم محمّد الساعدي
الجامعة المستنصريّة

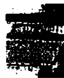


المقدّمة

تعدّ شخصية الفيض الكاشاني من الشخصيّات التي قلّ نظيرها، والتي لم يُسلَّط عليها الضوء مباشرة في الدراسات الفلسفيّة والكلاميّة، لا سيّما في الأوساط الجامعيّة العراقيّة، باستثناء بعض الإشارات الواردة هنا أو هناك. وقد كرّس الفيض الكاشاني حياته للعلم، وتعلّمه، وتعليمه، لا سيّما أنّ أستاذه هو أحد كبار فطاحل العلماء والمؤسّسين لمدرسة الحكمة المتعالية. وساهم ذلك مساهمةً ملحوظةً في صقل شخصيّة الكاشاني وتهذيبها على عدّة أصعدة، لا سيّما في الفلسفة والكلام. وأرى من واجبي الأخلاقيّ والعلميّ، منطلقًا من دافع البحث، أن أساهم في إيضاح معالم هذه الشخصيّة التي كان لها الدور البارز في بناء المنظومات الفكريّة التي أثّرت في الساحة المعرفيّة الإسلاميّة.

إنّ شخصيّة الفيض الكاشاني لم تكن في مرحلة من مراحل التاريخ ذات بعد واضح المعالم بسبب تعدّد مبغضيه وحاسديه الذين حاولوا طمس شخصيّته وإلغاء هويّته. وهذا الأمر دفعني بصفتي باحثًا لأن أشمّر عن ساعديّ لأزيح عنه بعض الموهومات التي أُلصقَت به من هنا وهناك.





لقد خدم الفيض الكاشاني الساحة المعرفيّة التي هي إلى الآن محطّ أنظار الباحثين والدارسين في أنحاء متعددة من العالم ممّن لهم اهتمام بالجوانب المعرفيّة التي تحدّث عنها في جملة مؤلّفاته.

إنّ الموضوع الذي قمت بدراسته هو حلقة مهمّة من حلقات دراسة تاريخ الفلسفة الإسلاميّة لمرحلة ما بعد ابن رشد؛ أي مدرسة الشيرازي وفلاسفتها، وهي المدرسة التي أثّرت في الساحة المعرفيّة من خلال العديد من الموضوعات التي ساعدت على فهم الفلسفة ولو على نحو الإجمال.

والموضوع الذي اخترته أساسًا لبحثي يتناول شخصيّةً إسلاميّةً عريقةً لم تقدر حقّ قدرها في تاريخ الفلسفة الإسلاميّة، خاصّةً وأنّها امتداد معرفيّ لمدرسة الحكمة المتعالية. وأرى أنّ هذه الشخصيّة كانت عنصرًا فاعلًا على امتداد مسارَين معرفيَّين مهمَّين، أحدهما الجانب الفلسفيّ والآخر الجانب الكلاميّ. لذا، عمدت إلى متابعة كتب صاحبها، ورسائله، ونصوصه التي خطّها، والتي كشفت عن البعدَين الفلسفيّ والكلاميّ عنده.

لقد اتّخذت من دراستي هذه مشروعًا يرمي إلى البحث في الجوانب المهمّة في تلك النصوص، ومدى تأثّرها بالسابقين عليه، وتأثيرها على المتأخّرين عنه، وملاحظة أهمّ البحوث والمنشورات التي جاءت على ذكره وذكر آثاره.

وفضلاً عن اعتمادي على بعض النصوص غير المترجمة عن اللغة الفارسيّة، فإنّني اتّخذت من طريقة التحليل والتفسير أساسًا مهمًّا في فهم النصوص التي جاء بها. كما وجدت أنّ الفيض الكاشاني اعتمد على المنهج الشرعيّ والعقليّ، ما دعاني إلى





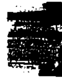
اعتماد ما اعتمده هو في فهم النصوص.

والهدف من البحث هو محاولة جديدة لاكتشاف عناصر القوّة في الأبعاد التي درسها الفيض الكاشاني؛ أي البعدَين الفلسفيّ والكلاميّ. ويتضمّن البحث مقدّمةً وتمهيدًا وأربعة فصول وخاتمةً، وقد أوردت في المقدّمة والتمهيد نموذجًا مصغّرًا عن الرسالة.

أمّا الفصل الأوّل، فقد قسّمته إلى ثلاثة مباحث، وعنونته «سيرة الفيض الكاشاني وآثاره العلميّة». وتناولت في المبحث الأوّل عصر الفيض الكاشاني، وجوانبَ من ثقافته، وحياته، وأسرته. أمّا المبحث الثاني، فقد تناولت فيه سيرة الفيض الكاشاني العلميّة. وأمّا في المبحث الثالث، فقد تناولت آثار الفيض الكاشاني من مؤلّفات ورسائل، وقد لاقيت صعوبةً في الفصل الأوّل من حيث قلّة مؤلّفات الفيض الكاشاني، ما اضطرّني إلى السفر إلى خارج العراق لمرّتَين متتاليتَين للبحث عن المصادر في المكان الذي كان يسكن فيه الفيض الكاشاني. ومن جهة أخرى، فقد تحمّلت عناء السفر للذهاب إلى مرقد الفيض الكاشاني للتحقّق من صحّة كون قبره هناك.

أمّا الفصل الثاني، فقد ذكرت فيه تمهيدًا بيّنت فيه مصادر ثقافة الفيض الكاشاني من جانب مختلف، إذ استفاد من الثقافات الأخرى فاستمدّ ثقافته منها، لا سيّما الفلسفة اليونانيّة وأعلامها (سقراط، أفلاطون، أرسطو، وغيرهم). وقد قسمت الفصل الثاني إلى مبحثَين، الأوّل تحدّثت فيه عن مفهومَي الوجود والماهيّة، وموقف الفيض الكاشاني منهما، وسعيت للإجابة عن السؤال: «من هو الأصيل الوجود أم الماهية؟» كما تناولت في هذا المبحث





مفهومَي العلّة والمعلول والحركة الجوهريّة عند الفيض الكاشاني.

المبحث الثاني، فقد تناولت فيه موضوع نظريّة المعرفة، وهو موضوع أخذ حيّزًا كبيرًا لدى الفيض الكاشاني، لا سيّما في مسألة العقل والشرع، إذ إنّه يرى أنّ مثل هذه المعرفة هي التي توصل الإنسان إلى اليقينيّات. كما تناولت أقسام العقل الذي جعله على قسمَين: العقل النظريّ والعقل العمليّ، ثمّ بيّنت موقف الفيض الكاشاني من علاقة العقل والشرع من نظريّة المعرفة، وقد ذكرت موقف الفيض الكاشاني من الحدس والعرفان وعلاقتهما بنظريّة المعرفة.

أمّا الفصل الثالث، فكان قائمًا على مبحثَين، تناولت في أوّلهما الأخلاق عند الفيض الكاشاني، مبيّنًا موقفه من طبيعة الأخلاق والسبل إلى تهذيبها. وأمّا في ثانيهما، فتناولت الجمال والعرفان عنده، مقسّمًا الجمال إلى قسمَين: الجمال الحسّيّ والجمال الإلهيّ. كما تطرّقت إلى آرائه العرفانيّة وأثر مدرسة الحكمة المتعالية فيها. ثمّ إنّني وضعت هذه المفاهيم الثلاثة - الأخلاق، والجمال، والعرفان - في فصل واحد لأنّ هذه الموضوعات تبحث في القيمة وتتداخل في ما بينها لتحوك من فكر الفيض الكاشاني نسيجًا متماسكًا.

وقد قسّمت الفصل الرابع إلى خمسة مباحث بحسب أصول الدين الخمسة كما هي عند الإماميّة، فتناولت في المبحث الأوّل مراتب التوحيد وأقسامه التي هي التوحيد في الذات، والتوحيد في الصفات، والتوحيد في الأفعال. وتناولت في المبحث الثاني الأصل الثاني، وهو العدل، وما يرتبط به من البداء والجبر والتفويض





وغيرها. أمّا في المبحث الثالث، فتناولت الأصل الثالث وهو النبوّة، ثمّ الإمامة في المبحث الرابع، والمعاد في المبحث الخامس.

وفي الختام، أشكر الباري (سبحانه وتعالى) على تمكينه إيّاي من إتمام بحثي هذا، وأسأله أن يتقبّل منّي هذا النزر اليسير خدمةً للعلم، والفلسفة، والإنسان.

واللّه وليّ التوفيق.

عليّ الكناني
العراق - بغداد



الفصل الأول

حياة الفيض الكاشاني

١. عصر الفيض الكاشاني وثقافته

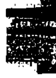
في بداية القرن الهجريّ العاشر، وفي العام ٩٠٥هـ بالتحديد، أنشأ السلطان إسماعيل الصفوي الدولة الصفويّة في إيران، وهي دولة شيعيّة معروفة في التاريخ[١]. وقد ظهرت الدولة الصفويّة بعد مدّة طويلة من اضطهاد الشيعة، وتلاعب الدول التي تعتنق المذاهب الإسلاميّة الأخرى بمقدراتهم، وجورها عليهم، ومطاردتها لعلمائهم، وحرقها لكتبهم[٢].

وقد احتاجت الدولة في أوّل أمرها إلى فقهاء يعلّمون الناس أمور دينهم، ويتولّون منصب القضاء لإدارة شؤون الناس[٣]. وقد حدثت في عصر الدولة الصفويّة نهضة في العمران، والصناعة،

---

(١) ينظر: الطباطبائي، عليّ: **رياض المسائل**، ج١، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط١، ١٤١٢هـ، ص٦٦.
(٢) ينظر: الكركي: **جامع المقاصد**، ج١، مؤسّسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤٠٨ه، ص٣٠.
(٣) المصدر نفسه والصفحة.





والثقافة، والتجارة، والفنون.

والفيض الكاشاني من علماء المرحلة الثانية للحكم الصفويّ (٩٩٦هـ-١٠٧٧هـ) التي تبدأ بسلطنة الشاه عبّاس الأوّل الذي وصلت الدولة الصفويّة في عهده إلى أوج قدرتها السياسيّة[1].

فقد خلّف الشاه عبّاس الأوّل اسمًا لامعًا في سماء السياسة، والإدارة، والقوة العسكريّة، واجتهد في نشر المذهب الشيعي بحماس بالغ لم يضاهه فيه أحد من قبله ولا من بعده من الصفويّين[2].

وبعد وفاة الشاه عبّاس الأوّل، خلفه حفيده الشاه صفيّ (١٠٣٨هـ-١٠٥٢هـ) الذي تحلّى، كجدّه، برؤية تصبّ في مصلحة الدين وعلمائه. وقد كان الشاه صفيّ حريصًا على احترام علماء الدين، ومن جملة ذلك أنّه أكنّ للفيض الكاشاني عنايةً واحترامًا خاصَّين، ودعاه إلى البلاط، وبوّأه منصبًا يتطلّب إقامته في هناك، إلّا أنّ الفيض الكاشاني رأى أنّ مصلحة دينه ودنياه تكمن في البعد عن البلاط، فاعتذر عن القبول[3].

وبعد وفاة الشاه صفيّ، جاء من بعده الشاه عبّاس الثاني (١٠٥٢هـ- ١٠٧٧هـ)، وهو من خيار ملوك الصفويّين، على أنّه لم

---

(١) ينظر، خالقي، علي: **آفاق الفكر السياسيّ عند الفيض الكاشاني**، ترجمة السيّد ربيع الحسيني، دائرة معارف الفقه الإسلاميّ، قم، ط١، ١٤٢٨هـ، ص١٩.

(٢) طقوش، محمّد سهيل: **تاريخ الدولة الصفويّة في ايران**، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٠٩.

(٣) ينظر: **رسالة شرح الصدر للفيض الكاشاني**، نقلاً عن كتاب **آفاق الفكر السياسيّ عند الفيض الكاشاني**، ص٢١.





يخل من بعض النقائص. وهو كان عادلًا إلى حدّ ما، محسنًا إلى الرعيّة، رحيمًا بهم[١]، كما أنّه حرص على اتّباع سيرة جدّه في تعظيم الشريعة والاهتمام المتزايد بعلماء المذهب، والسعي الحثيث في تحسين أحوال علماء الدين. فهو لم يغفل عن تعيينهم في الوظائف، وتخصيص الرواتب لهم من خزانة الأوقاف، وكذلك اهتمّ الشاه عبّاس الثاني اهتمامًا بالغًا بالفيض الكاشاني[٢].

وقد طلب الشاه عباس الثاني من الفيض الكاشاني القدوم إلى أصفهان لإقامة صلاة الجمعة فيها والتصدّي للشؤون الدينيّة[٣]، وفعلًا ذهب الفيض الكاشاني إلى أصفهان وقبل بإمامة صلاة الجمعة وصلاة الجماعة استجابةً لطلب الشاه ونزولًا عند رغبته[٤].

ويبدو مما سبق أنّ الفيض الكاشاني عاش في أوج اقتدار الدولة الصفويّة ونهضتها، وهي التي أخذت على عاتقها احترام العلماء ومراعاة ظروفهم. فكانت سياسة الدولة الصفويّة تجاه علماء الدين هي نشر الفكر الشيعي على نحو واسع، ما حثّ علماء الشيعة على تأليف الكتب، ونشر الوعي، وتداول الفكر الفلسفيّ، والاطّلاع على الثقافات الأخرى.

---

(١) ينظر: **تاريخ الدولة الصفويّة في إيران**، محمّد سهيل طقوش، ص٢٢١.

(٢) ينظر: **آفاق الفكر السياسيّ عند الفيض الكاشاني**، عليّ خالقي، ص٢١.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٢.

٢. مصادر ثقافة الفيض الكاشاني

ممّا لا شكّ فيه أنّ أيّ مفكر ذي ثقافة واسعة ومنظومة فكريّة وعلميّة لا بدّ أن يكون قد استند إلى أساس معرفيّ لبناء منظومته، ما أهّله للوصول إلى هذا المستوى العلميّ والفكريّ ليترك أثرًا في تاريخ الفكر الإنسانيّ.

وتظهر نظرة سريعة إلى مؤلّفات الفيض الكاشاني أنّه استند، في بناء فكره وثقافته، في مجالاتها المختلفة، على مصادر متعدّدة، ما جعله من المتصدّرين لإنتاج الكثير من المؤلّفات. لذا، يتجلى لنا أنّ مصادر ثقافة الفيض الكاشاني تنوّعت كما يلي:

أ. القرآن الكريم

القرآن الكريم هو المصدر الأوّل من مصادر التشريع في الإسلام، وقد حفظه الباري (سبحانه وتعالى)، وهو المعجزة التي اتّصفت بالخلود. ولا يخفى على ذي البصيرة والتضلّع في المعارف الحقّة ما للقرآن الكريم من أهميّة عظمى في تنظيم حياة البشر، بما فيهم المسلم وغير المسلم باعتباره دستورًا منظِّمًا لأمورهم المعيشيّة كلّها. ولذا، يتكفّل **القرآن الكريم** – لمن تبعه – بالحياة الآمنة الخالية من الظلم والاضطهاد، ورغد العيش وسلامة الدارَين[١].

وإذا ما تأمّل الباحث في مؤلّفات الفيض الكاشاني، فإنّه

(١) السند، محمّد: **تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم**، ج١، تقرير الشيخ محسن الجصّاني، مؤسّسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط١، ١٤٣٤هـ، ص١٩.





سيلحظ اهتمامه بكتاب اللّه (سبحانه وتعالى).

ويرى الفيض الكاشاني، الذي يتحدث بطريقة أقرب إلى الرمز والطلاسم، أنّ **القرآن** الكريم هو «الترياق الأكبر، والكبريت الأحمر، والخواص الغريبة، والمعجزات العجيبة، ولا يمثّل بالطود الأشمّ، بل هو أفخم، ولا بالبحر الخضمّ، بل هو أعظم»[١].

وذلك لأنّ **القرآن** الكريم «مشتمل على العلوم والأسرار، منطو على المعارف والأنوار، متضمّن لجوامع الكلم ولوامع الحكم، الذي [التي] يعجز [تعجز] العقول عن إدراكها، بل كلّما تغلغل الإنسان في رياض فنونها، وتعمّق في بحار عيونها، انفتحت له مسالك موصلة إلى مقفلاتها، واتّضحت له مدارك تبيّن جمل مشكلاتها، وانكشفت له معالم يدرك بها وجوه صوابها، ولاحت له لوائح تذلّل شديد صعابها، فيستخرج بغوّاص عقله جواهر بحارها»[٢].

وقد دعم الفيض الكاشاني كلامه هذا بالروايات الواردة عن النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ وأهل بيته عَلَيۡهِمُٱلسَّلَامُ. ومن هذه الروايات ما ورد عن الإمام الصادق عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ أنّه قال: «إن العزيز الجبّار أنزل عليكم كتابه وهو الصادق البارّ، فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم، وخبر السماء والأرض، ولو أتاكم من يخبركم عن ذلك لتعجّبتم»[٣].

---

(١) الفيض الكاشاني، محمّد مرتضى: **علم اليقين في أصول الدين**، ج٢، تحقيق وتعليق محسن بيدار فر، منشورات بيدار، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ، ص٧٤٩.

(٢) الفيض الكاشاني، محمّد مرتضى: **أنوار الحكمة**، تحقيق وتعليق محسن بيدار فر، منشورات بيدار، قم، ٢، ١٤٢٥ه، ص١٨٧-١٨٨.

(٣) الأشتياني، أحمد: **لوامع الحقائق في أصول العقائد**، ج١، تعليق حسين بن علي الروشني الكلبايكاني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٩، ص٧٩.

ب. السنّة المطهّرة

وهي المصدر الثاني الذي يعتمده الفيض الكاشاني، والمراد من السنّة المطهّرة أحاديث الرسول الكريم محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. كما اعتمد الفيض الكاشاني في ثقافته على أحاديث أئمّة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لكونهم امتدادًا للنبوّة، ولأنّ جميع الأحكام التي وردت في الكتاب الكريم والسُنة المطهّرة لا يعلمها «إلّا النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ومن أخذ علمه من اللّه تعالى بواسطته من عترته المعصومين وأوصيائه المطهّرين خلفًا بعد سلف»[١].

ويؤكّد الفيض الكاشاني أنّ الشيعة يحملون أحاديث أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ «في الأصول والفروع عن أئمتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بأمرهم وترغيبهم، ويروونها لآخرين، ويروي الآخرون لآخرين وهكذا إلى أن وصلت إلينا»[٢].

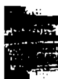
وفي موضع آخر، يشير الكاشاني أنّ اللّه (عزّ وجلّ) «جعل الكتاب والعترة حبلَين ممدودَين بينه وبيننا، ليخرجنا بتمسّكنا بهما من مهوى ضلالتنا ويذهب عنا شيننا، لم يزل أقامها فينا طرف منهما بيده وطرف بأيدينا، منّ بهما علينا وحبّبهما بفضله إلينا، وهما

---

(١) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **الأصول الأصيلة**، تصحيح وتحقيق سيّد أبو القاسم نقيبي وحسن قاسمي، إشراف محمّد الإمامي الكاشاني، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ص٣٥.

(٢) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **سفينة النجاة**، تصحيح وتحقيق سيّد علي جبار كلباغي، إشراف محمّد الإمامي الكاشاني، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ص١٩.





الثقلان اللذان تركهما النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فينا، وخلّفهما لدينا»[١].

ج. كلام علماء الشيعة

والمصدر الآخر الذي استخدمه الفيض الكاشاني لبناء منظومته الفكريّة هو كلام علماء المذهب. فتوجّهه الاعتقاديّ دعاه إلى أن ينهل من مفكّري المذهب الشيعيّ، كالشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي، وغيرهم، لأنّهم كانوا ثقاةً عنده. وأخذت الأجيال على مرّ العصور والأزمان تنهل من علومهم. ولعلّ السرّ في ذلك هو الذي ذكره الفيض الكاشاني، والذي أشرنا إليه في المصدر الثاني من مصادر ثقافته، وهو أنّ الشيعة هم الذين حملوا أحاديث أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إذ إنّهم «كانوا يثبتونها في الصدور، ويسطّرونها في الدفاتر، ويعونها كما يسمعونها، ويحفظونها كما يتحمّلونها، ويبالغون في نقدها، وتصحيحها، ورد زيغها، وقبول صحيحها»[٢].

وعلى سبيل المثال، استعان الفيض الكاشاني بالسيّد رضيّ الدين بن طاووس الذي أفرد له كتابًا خاصًّا تحت عنوان **تسهيل السبيل بالحجّة في انتخاب كشف المحجّة لثمرة المهجة**. وهذا الكتاب منتخب من كتاب ابن طاووس، **كشف المحجّة لثمرة المهجة**، وفيه طرق تحصيل فنيَّ العلم والجهل. وقال الفيض الكاشاني في

---

(١) الفيض الكاشاني، محسن: **تفسير الصافي**، ج١، صحّحه وقدّم له وعلّق عليه الشيخ حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٩.

(٢) **سفينة النجاة**، الفيض الكاشاني، ص١٩-٢٠.

مقدّمة كتاب **تسهيل السبيل بالحجّة** «أوردت فرائده المبتكرة وأبقيت فوائده المشتهرة، وأيّدت بعضه بتأييدات وأضفت إليه تنبيهات»[١].

كما استفاد الكاشاني أيّما استفادة من كلام الشيخ الصدوق، لا سيّما في مسألتَي حدوث العالم[٢] وأسماء اللّه تعالى وإحصائها[٣]. كما اعتمد على المرويات من كتاب **التوحيد** للصدوق، وغير ذلك الكثير.

وتأثّر الفيض الكاشاني بشدّة بالشيخ نصير الدين الطوسي، وذلك واضح في الكثير من مؤلّفاته، من قبيل كتاب **عين اليقين**[٤]، **والكلمات المكنونة**[٥]، وقرّة **العيون**[٦]، **والأصول الأصيلة**[٧]، **ومرآة الآخرة**[٨].

---

(١) الفيض الكاشاني، محمّد بن المرتضى: **تسهيل السبيل بالحجّة**، تحقيق حامد الخفاف، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص١٣.

(٢) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٥٢.

(٤) الفيض الكاشاني، محمّد مرتضى: **عين اليقين** (الملقب بـ«**الأنوار والأسرار**»)، صحّحه واعتنى به الشيخ رضا عيّاش، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص٤٣٠.

(٥) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **الكلمات المكنونة**، ترجمة وتحقيق علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٧٤، ص٢٥٣.

(٦) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **قرّة العيون في أعزّ الفنون**، ترجمة وتحقيق علي عاشور، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٧٤، ص٢٥٣.

(٧) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **الأصول الأصيلة**، ص٢١١.

(٨) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مرآة الآخرة**، تحقيق عليّ عاشور، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص٤٩، ص٧٣، ص٩٥.

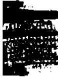




كما اعتمد الكاشاني على التراث اليونانيّ الذي أنتجه الفلاسفة قبل سقراط، وعلى الفلسفة الإسلاميّة المشرقيّة والمغربيّة(*).

(*) ينظر ص٥٥ وما بعدها من الرسالة.





حياة الفيض الكاشاني

١. التعريف بالفيض الكاشاني

هو محمّد بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود، الملقّب بـ«محسن»، والمعروف بـ«الفيض الكاشاني». وجاءت ترجمته في كتب الرجال وغيرها تحت عناوين عدّة منها «محسن»[١]، و«محمّد بن مرتضى»[٢]، و«محمّد محسن»[٣]، و«الفيض»[٤]، و«الملّا محسن الفيض الكاشاني»[٥]،

---

(١) ينظر: الأصبهاني، محمّد باقر الموسوي الخوانساري: **روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات**، ج٦، الدار الإسلاميّة، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص٧٣.

(٢) ينظر: الطباطبائي، محمّد حسين: **سنن النبيّ**، مع ملحقات الشيخ محمّد هادي الفقهي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط٣، ١٤٢٧ هـ، ص٢٨.

(٣) ينظر: الطباطبائي، عبد العزيز: **مكتبة العلّامة الحلّي، مجموعة أهمّ رجال الحديث عند الشيعة**، تحقيق مؤسّسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤١٦ هـ، ص١٧٢.

(٤) ينظر: الطهراني، آغا برزك: **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، ج٥، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ص٨٢.

(٥) ينظر: نعمة، عبد الله: **فلاسفة الشيعة: حياتهم وآراؤهم**، تقديم الشيخ محمّد جواد مغنيّة، دار الفكر اللبنانيّ، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص٦٠١.

وينعت بـ«المتألّه الحكيم»[١].

وأما لقبه «الفيض»، فقد لقّبه به أستاذه وأبو زوجته صدر الدين الشيرازي، بينما أطلق الشيرازي على صهره الثاني، وهو عبد الرزّاق اللاهيجي[٢]، لقب «الفيّاض». فشكت زوجة الفيض إلى أبيها صدر الدين الشيرازي وقالت إنّ لقب «الفيّاض» الذي لقّبت به زوج أختي هو من صيغ المبالغة، ويعطيه مزيّةً على زوجي. فأجابها أبوها قائلًا إنّ ما لُقِّبَ به زوجك أحسن منه لأنّ ذلك عين اليقين[٣].

والفيض الكاشاني هو أوّل المحدثين الثلاثة المتأخّرين[٤]، وأحد أجلّ تلاميذ صدر الدين الشيرازي، لا سيّما في العلوم العقليّة.

وُلِدَ الفيض الكاشاني في سنة ١٠٠٧هـ لأربع عشرة ليلةً مضت

---

(١) ينظر: الطهراني، آغا برزك: **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، ج٥، ص٨٢.

(٢) هو عبد الرزّاق بن عليّ بن الحسين اللاّهيجي الجيلاني القمّي، توفّي عام ١٠٥٠هـ في قم، وهو من ألمع العلماء في القرن الحادي عشر الهجري، ومن كبار الفلاسفة والمنطقيّين. ومن تلاميذ صدر الدين الشيرازي وصهره. كان مدرّسًا في مدرسة المعصومة في قم للفلسفة والكلام. وله مؤلّفات عديدة أبرزها **شوارق الإلهام في علم الكلام**، ينظر: سبهاني، رؤوف: **تاريخ الفلسفة في إيران**، منشورات زين، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص٣٢٩-٣٣٠.

(٣) ينظر: **روضات الجنّات**، الأصبهاني، ج٤، ص١٩٣.

(٤) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد مرتضى: **الحقائق في محاسن الأخلاق**، تحقيق اللجنة العلميّة في مكتبة بارسا وتعليقها، منشورات مؤسّسة دار المجتبى، قم، ط١، ٢٠٠٨، ص٥ (المقدّمة).

من شهر صفر. وقد اخْتُلِف في مكان ولادته، فمنهم من يرى أنّه وُلِدَ في قمّ المقدسّة، ثم انتقل إلى شيراز للتتلمذ على يد السيّد ماجد البحراني[١]، ومنهم من يرى أنّه وُلِدَ في مدينة كاشان[٢].

وأنا أذهب مذهب المحقّق بيدار فر من أنّ ولادة الفيض الكاشاني كانت في مدينة كاشان، وذلك لأنّ بعض مؤلّفات الفيض الكاشاني أكّدت أنّ ولادته كانت في كاشان. وقد استغرب المحقّق بيدار فر من كلام السيّد نعمة اللّه الجزائري، وذلك بقوله: «والعجب من السيّد الجزائري وصاحب **اللؤلؤة** كيف لم ينتبها لمواضع النظر فيها [...] وإذا كانت وفاة والده في الثانية من عمره ولم يره، فكيف يمكن من الاستشارة والإجازة من والده (قدس اللّه سره)؟»[٣].

والظاهر أنّ القائلين بولادة الفيض الكاشاني في قمّ إنّما قد اعتمدوا في رواياتهم على ما ذكره الجزائري وصاحب اللؤلؤة*.

٢. أسرة الفيض الكاشاني

إنّ أسرة الفيض الكاشاني من الأسر العلميّة العريقة التي قلّ نظيرها، والتي أنجبت العديد من العلماء الذين خلّفوا بصمات علميّة وأخلاقيّة وعقائديّة. وما زال كثير من العلماء والمفكّرين ينهلون من

---

(١) ينظر: البحراني، يوسف بن أحمد: **لؤلؤة البحرين**، حققهوعلق عليهالسيد محمد صادق بحر العلوم، مكتبة فخراوي، البحرين، ط١، ١٤٢٩هـ، ص١٢٦.

(٢) ينظر: **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٤.

(٣) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٩ (المقدّمة).

* صاحب كتاب **لؤلؤة البحرين** هو الشيخ يوسف العصفور البحراني.





علومهم الفريدة.

فوالده هو الشاه مرتضى، وكان فقيهًا، نبيهًا، أصوليًّا، متكلمًا، حكيمًا، متألّهًا، مفسّرًا، أديبًا، شاعرًا، بارعًا، عابدًا، زاهدًا، ربانيًّا[1].

وأمّا جدّه، فهو العلّامة تاج الدين شاه محمود بن عليّ الكاشاني الحكيم، المتألّه، العارف، الشاعر النابغة، المحدّث النحرير، وكان من مشاهير علماء كاشان وقبره بها [2].

٣. الأعلام من إخوته وأولاده

من إخوته الأعلام:

١. العلّامة المولى محمّد مؤمن ويُعرَف أيضًا بـ«شاه مؤمن»، كان من أجلّ علماء عصره، فقهًا وحديثًا، ورجالًا، وكلامًا، وفلسفةً، وعرفانًا، وأدبًا، وتفسيرًا[3].

٢. العلّامة المولى ضياء الدين محمّد، كان محدّثًا، فقيهًا، عارفًا[4].

٣. العلّامة المؤمن صدر الدين محمّد، كان عالمًا، محدّثًا،

---

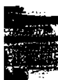
(١) **روضات الجنات**، الأصبهاني، ص٧٤.

(٢) **معادن الحكمة**، ج١، ص١٠.

(٣) الفيض الكاشاني، محسن: **خلاصة الأذكار واطمئنان القلوب**، تحقيق السيّد حسن النقيبي، إشراف أحمد العابدي، انتشارات زائر، قمّ، ص٢٧ (المقدّمة).

(٤) **معادن الحكمة**، ج١، ص١٢.





عارفًا، متكلّمًا[١].

٤. العلّامة المولى عبد الغفور، وهو زميله في أكثر مشايخه[٢].

٥. العالم الفاضل الأديب المولى مرتضى، كان شاعرًا أديبًا[٣].

أمّا أولاده الذين كان لهم آثار في الأدب والعلم، فهم:

١. العلّامة المولى محمّد، المدعو علم الهدى، المكنّى بـ«أبي الخير»، صاحب التصانيف الجيّدة[٤]، وقد وصفه العلّامة الأميني بأنّه صاحب علم، وأدب، وفضل، وحسب. جمع الفضايل موروثًا ومكتسبًا[٥].

٢. العلّامة المولى محمّد، الملقّب بـ«نور الهدى»، المكنّى بـ«أبي حامد»، المُحدّث الفقيه المتكلّم، العارف الشاعر[٦].

٣. العلّامة المولى معين الدين أحمد، كان عالمًا فقيهًا، محدّثًا، عارفًا، صاحب التصانيف الكثيرة التي منها كتاب **مشكاة القاري في التجويد** وكتاب **الفوائد في التفسير**[٧].

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) **الحقائق في محاسن الاخلاق**، الفيض الكاشاني، ص٥ (المقدّمة).

(٥) الأميني، عبد الحسين أحمد: **موسوعة الغدير في الكتاب والسنّة والأدب**، تحقيق مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة، بإشراف السيّد محمود الهاشمي الشاهرودي، ج١١، مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم، ص٤٧٦.

(٦) **معادن الحكمة**، علم الهدى، ص١٦.

(٧) **الحقائق في محاسن الأخلاق**، مصدر سابق، ص٥ (المقدّمة).

٤. وفاته ومدفنه

يجمع المؤرّخون على أنّ وفاة الفيض الكاشاني كانت في مدينة كاشان سنة ١٠٩١هـ في الثاني والعشرين من ربيع الآخر، وهو ابن أربع وثمانين[١]، ومرقده الشريف معروف بالكرامة دار المؤمنين، موئلًا للزائرين والعاكفين، ومطافًا لمن كان بين الطوائف من العارفين[٢]، وعلى قبره لوحة مكتوب فيها «قُبِضَ المعتصم بحبل اللّه المؤمن المهيمن محمّد بن مرتضى المدعوّ بـ«محسن»، سنة إحدى وتسعين وألف، وهو ابن أربع وثمانين سنةً، حشره اللّه مع مواليه المعصومين»[٣].

٥. مكانته العلميّة وثناء العلماء والمفكّرين عليه

لا يمكننا التعرّف إلى أيّ شخصيّة علميّة في التاريخ ما لم نسلّط الضوء على أفكار صاحبها، وآرائه، وكتبه، وآثاره، لأنّها الدليل الأقرب إلى إدراك كنه عظمته. كما نتعرّف إليه من خلال ما قيل عنه

---

(١) الفيض الكاشاني، محمّد بن المرتضى: **تعليقات على الصحيفة السجاديّة**، تحقيق مؤسّسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، منشورات مؤسّسة التحقيقات والبحوث الثقافيّة التابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي، طهران، ط١، ١٤٠٧هـ، ص٥ (المقدّمة)، كذلك ينظر: العاملي، محمّد بن الحسن الحرّ: **وسائل الشيعة**، ج١، تحقيق مؤسّسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨، ص٦٩.

(٢) **روضات الجنّات**، ج٦، ص٧٤.

(٣) **خلاصة الأذكار واطمئنان القلوب** ص٢٧ (المقدّمة)، كذلك: **الحقائق في محاسن الأخلاق**، ص١٤ (المقدّمة).





على ألسنة العلماء والمفكّرين، وذلك لأنّ مؤلّفاتهم وآثارهم تنطوي على انعكاس واضح ومرآة جليّة لفهم جانب من سيرته.

والفيض الكاشاني هو أحد هذه الشخصيّات التي ينبغي تسليط الضوء عليها. لكن على عظمته ودوره البارز في الفكر الإسلاميّ الإماميّ، هو لم يسلم من بعض الألسن التي حاولت التشكيك فيه واتّهامه بالانحراف عن عقائد الإماميّة.

ولم تتّفق آراء العلماء والمفكّرين يومًا في تحليل شخصيّة معيّنة وإبراز ما لها وما عليها، وذلك تبعًا لاختلافهم في الكثير من تطلّعاتهم وآرائهم. ولعلّ هذا الاختلاف يكاد يكون بارزًا ومؤثّرًا بالنسبة إلى الفيض الكاشاني أكثر من غيره(١).

فانقسم الناس تجاه الفيض الكاشاني بين مادح له وذامّ. أمّا ما جاء في مدحه، فمنه ما يلي:

١. قال العلّامة السيّد عليّ خان المدني الشيرازي (ت سنة ١١٢٠هـ)، واصفًا العلماء الذين عاصرهم: «منهم المولى العلّامة محمّد بن المرتضى، الشهير بملا محسن القاشاني، له كتب ومصنّفات جليلة في الفقه، والحديث، والكلام، والحكمة، وهو من

---

(١) ينظر: غيّاض، قاسم شهيد محمّد: **الفيض الكاشاني وجهوده في تفسير الصافي**: منشورات العتبة العلويّة المقدّسة، النجف الأشرف، ٢٠١١، ص٣٣، وكذلك ينظر: كاظم، أزهار عادل: **الفيض الكاشاني ومنهجه في التفسير الأصفى**، بإشراف أ. م. د. مصطفى مؤيّد حميد الرفاعي، رسالة مقدَّمة إلى الجامعة المستنصريّة-كليّة التربية الأساسيّة-قسم التربية الإسلاميّة، وهي جزء من متطلّبات نيل درجة الماجستير في علوم **القرآن**، ٢٠١١، ص٢٥.

أهل العصر الموجودين الآن»[١].

٢. قال الحرّ العاملي، وهو يصف الفيض الكاشاني: «كان فاضلًا، عاملًا، ماهرًا، حكيمًا، متكلّمًا، محدِّثًا، فقيهًا، محقّقًا، شاعرًا، أديبًا، حسن التصنيف»[٢].

٣. قال الخوانساري في **روضاته**: «العلم الفاشي والعلم الأقراشي مولانا الفاضل، الكامل، المؤيّد، المسدّد، محسن ابن الشاه مرتضى ابن الشاه محمود المشتهر بـ«الفيض الكاشاني»، وأمره في الفضل والفهم والنبالة في الفروع والأصول، والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول، وكثرة التآليف والتصانيف مع جودة التعبير والترصيف، أشهر من أن يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد»[٣].

٤. وقال صاحب **الفوائد الرضويّة**: «محمّد بن مرتضى، المدعوّ محسن الكاشاني، عالم ربّاني، وفاضل صمداني، ومحدّث ماهر، أديب، شاعر، محقّق، متألّه، متكلّم، عارف»[٤].

٥. وقال العلّامة الأميني في كتابه **الغدير**، واصفًا ابن الفيض الكاشاني: «هو ابن المحقّق الفيض علم الفقه وراية الحديث،

---

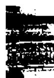
(١) نقيبي، أبو القاسم: **أقوال العلماء في ترجمة المولى محسن الفيض الكاشاني**، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ص١٥.

(٢) العاملي، محمّد بن الحسن الحرّ: **أمل الأمل**، ج٢، تحقيق السيّد أحمد الحسيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص٣٠٥.

(٣) **روضات الجنّات**، الأصبهاني، ج٦، ص٧٣-٧٤.

(٤) **الفوائد الرضويّة**، المحدّث القمّي، نقلاً عن أقوال العلماء في ترجمة الفيض الكاشاني، ص٨٥.





ومنار الفلسفة، ومعدن العرفان، وطود الأخلاق، وعباب العلوم والمعارف، هو ابن ذلك الفذّ الذي قلّ ما أنتج شكل الدهر بمثيله، وعقمت الأيام عن أن تأتي بمشبهه»[١].

٦. ويقول العلّامة جعفر السبحاني: «... هو محمّد ابن الشاه مرتضى ابن الشاه محمود، الملقّب بـ»الفيض الكاشاني«، العارف، الحكيم، الشاعر...»[٢].

٧. أمّا المحقق محسن بيدار فر، فقال عنه[٣]: «وقد امتاز الفيض عن معاصريه بخاصّة - ولكلّ منهم ميزاته - جعلته ينفرد عنهم... وهي جامعيّته في العلم والتأليف والعمل، فإنّه محدّث نحرير، وفقيه فحل، وحكيم إلهيّ، ومتكلّم شهير، وشاعر، وفوق هذا كلّه عارف عامل ذو نسك واجتهاد، وقلّما يتّفق اجتماع هذه الخصوصيّات في شخص واحد و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾»[٤].

يتّضح ممّا تقدّم أنّ أصحاب التراجم والسير أقرّوا بوضوح بالمرتبة العلميّة التي أحرزها الفيض الكاشاني بتتلمذه على يد أكابر الأساتذة في الحديث والحكمة، ما أهّله ليخوض في جميع المعارف، فكتب الكتب والمؤلّفات التي أصبحت موضع عناية العلماء والمفكّرين، وهذا يدّل على غزارة علمه، وسعة تفكيره،

---

(١) **موسوعة الغدير في الكتاب والسنّة والأدب**، الأميني، ج١١، ص٤٧٦.

(٢) السبحاني، جعفر: **تاريخ الفقه الإسلاميّ وأدواره**، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، قم، ط١، ١٤٢٩هـ، ص٤٠٦.

(٣) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٦ (المقدّمة).

(٤) سورة **الحديد**، الآية ٢١، سورة **الجمعة**، الآية ٤.

وإحاطته بالعلوم بمختلف الميادين.

وينقل صاحب **الروضات** أنّه حُكِيَ عن السيّد نعمة اللّه الجزائري أنّه قال: «كان أستاذنا المحقّق المولى الفيض الكاشاني صاحب **الوافي** وغيره قد صنّف ما يقارب مائتي [مئتَي] كتاب ورسالة»[١].

٦. التشنيع على الفيض الكاشاني

على مرّ العصور والأزمان، لم تسلم الشخصيّات العلميّة والثقافيّة من الطعن وسوء الظنّ، لا سيّما إذا كان أصحابها ممّن لديهم باع طويل في العلم والمعرفة. والحقيقة أنّ هذا ناتج إمّا عن الجهل بعلوم هذه الشخصيّة وأفكارها وآرائها، أوعن الحسد المنتشر بين بعض الناس، لا سيّما طلبة العلم.

ومن هذه الشخصيّات التي مسّها التشنيع والتشهير الفيض الكاشاني، الذي لم يسلم من ألسنة المبغضين والحسّاد، إذ اتّهِم عدّة اتّهامات، وشُنِّع به من خلال هجمات ناتجة عن سوء فهم كلامه. ومن الاتّهامات التي ترتبط ببحثنا ثلاثة:

أ. قضيّة التصوّف.

ب. قوله بوحدة الوجود.

ج. طعنه على المجتهدين.

ونوضح كل واحدة من المسائل السابقة في الآتي.

---

(١) ينظر: **روضات الجنّات**، الأصبهاني، ج٦، ص٨٧.





أ. قضيّة التصوّف

من الملاحظ أنّ عصر الفيض الكاشاني شهد انتشار ظاهرة التصوّف. لذا، أشار بعض أصحاب التراجم إلى أنّ كتب الفيض الكاشاني في الأصول «كلّها على قواعد الصوفيّة والفلاسفة، ولاشتهار مذهب التصوّف في ديار العجم وميلهم إليه، بل غلوّهم فيه، صارت لها المرتبة العليا في زمانه، والغاية القصوى في آوانه»[١].

وفي الحقيقة، إنّ توجّه الفيض الكاشاني جاء على لتأثّر أستاذه صدر الدين الشيرازي بأبي حامد الغزالي، وبابن عربي، المتصوّف المعروف. كما يلحظ الباحث أنّ الفيض الكاشاني قد تأثّر بهما أيضًا. لكنّ هذا لا يعني أنّ الفيض الكاشاني قد سلّم تسليمًا مطلقًا بآراء الصوفيّة وأفكارهم.

لا بل لعلّ العكس هو الصحيح، إذ نجد الفيض الكاشاني يقسم الصوفيّة إلى أنواع، ولذلك يقول: «والصوفيّة على أنواع: وطائفة منهم سلكوا مسلك الحقّ حتى وصلوا إلى ما وصلوا بما سبقت لهم الحسنى، وهم الذين اهتدوا بأئمّة الهدى، إمّا في البداية، أو في أثناء السلوك، وهم الأقلّون منهم»[٢].

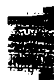
وفي موضع آخر نجد للفيض الكاشاني قولًا آخر بخصوص المتصوّفة، إذ قال: «قوم يسمّون بـ«أهل الذكر والتصوّف»، يدّعون البراءة من التصنّع والتكلّف، يلبسون خرقًا ويجلسون حلقًا، يخترعون

---

(١) **روضات الجنّات**، الأصبهاني، ج٦، ص٨٤.

(٢) **بشارة الشيعة**، الفيض الكاشاني، نقلاً عن كتاب **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٣٩.





الأذكار، ويتغنّون بالأشعار، يعلنون بالتهليل، وليس لهم إلى العلم والمعرفة سبيل، ابتدعوا شهيقًا ونهيًا، واخترعوا رقصًا وتصفيقًا، قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا بالبدع دون السنن»[١].

وقال أيضًا: «ومن الناس من يزعم أنّه بلغ من التصوّف والتألّه حدّاً يقدر معه أن يفعل ما يريد بالتوجّه، وأنه يُسمَع دعاؤه في الملكوت ويستجاب نداؤه في الجبروت»[٢].

يتّضح ممّا سبق أنّ الفيض الكاشاني براء من المتصوّفة الذين ذكرهم في القسم الثاني، قولًا وفعلًا. وإن كان هؤلاء محسوبون على التصوّف، ليس التصوّف تهمةً شنيعةً تُوجَّه إلى الفيض الكاشاني، لكنّ بعض الناس رأوها تهمةً.

ب. القول بوحدة الوجود

قبل الخوض في هذه المسألة التي كثر فيها الخلاف بين علماء الإماميّة، لا بد من الإشارة إلى أنّ هذه المسألة لم تكن نظريّةً كاملةً متّسقةً قبل ابن عربي، وإن ظهرت بعض الاتّجاهات النظريّة، نجدها بين حين وآخر في أقوال الصوفيّة السابقين عليه. ولم يكن ابن عربي أوّل من أرسى دعائم مذهب كامل في وحدة الوجود وحسب، بل ظلّ حتّى اليوم الممثّل الأكبر لهذا المذهب. ولم يأت بعده

---

(١) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **الكلمات الطريفة**، تصحيح وتحقيق سيّد عليّ جبار كلباغي، إشراف محمّد الإمامي الكاشاني، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ص٢١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٦.





من تكلّموا في وحدة الوجود، والقائلين بها ما هم إلا متأثّرين بابن عربي(١).

وقد اتّفق مشايخ العرفاء على أنّ وحدة الوجود هي هويّة عينيّة متحققّة بنفس ذاتها(٢). وتعني وحدة الوجود «أنّ الأشياء موجودة في الخارج... وهي موجودة بوجود واحد هو الحقّ سبحانه، لا أنّها موجودة بوجود زائد على الوجود الحقّ سبحانه»(٣).

وقد أشار العارف حيدر الآملي إلى هذه الحقيقة، إذ قال:

«إنّه قد تقرّر عند أهل اللّه باتّفاق أكثر العقلاء أنّ الوجود واحد، وذلك دائر بين المحبّ والمحبوب، والعارف والمعروف، والطالب والمطلوب... فالمحبوب الحقيقيّ عند التحقّق هو اللّه فقط، والمحبّ ما سواه من المخلوقات والموجودات جمادًا، أو نباتًا، أو حيوانًا، أو إنسانًا، أو جنًّا، أو ملكًا... وبناءً على هذا، يصدق على الكلّ أنّهم محبّون له، متوجهّون إليه، سايرون إلى حضرته، وإن حقّق عرف أنّه المحبّ والمحبوب، والطالب والمطلوب، والعارف والمعروف، لأنّ من هذه الاعتبارات يلزم الغيريّة والكثرة ومشاهدة الغير، وهذا خلاف التوحيد الحقيقيّ والمقصد ليس إلّا التوحيد»(٤).

---

(١) ينظر: عفيفي، أبو العلا: **التصوّف: الثورة الروحيّة في الإسلام**، دار الشعب، بيروت، ص١٧٥.

(٢) **شرح فصوص الحكم**، القيصري، تحقيق جلال الدين الأشتياني، ص٢٥.

(٣) العجم، رفيق: **موسوعة مصطلحات التصوّف الإسلاميّ**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ص١٠٣٤.

(٤) الآملي، حيدر: **تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضمّ في تأويل كتاب اللّه العزيز الحكيم**، المجلد الثالث، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه السيّد محسن =

ومن المعلوم أنّ صدر الدين الشيرازي وافق ابن عربي بالقول بوحدة الوجود بلا أدنى ريب. فابن عربي يرى أنّ الوحدة عين الوجود، ويرى الشيرازي أنّ الواحد - تعالى - منحلّ في عالم الكثرة من خلال أسمائه وصفاته المبثوثة في عالم الإمكان[(١)]، إذ يقول «الوحدة عندنا غير زائدة على الوجود»[(٢)].

ويعتقد بعضهم أنّ الفيض الكاشاني وافق أستاذه الشيرازي في هذه المسألة، بالنظر إلى بعض النصوص الواردة في كتابه، **الكلمات المكنونة**[(*)]، إذ يقول «كما أنّ وجودنا هو بعينه وجوده سبحانه... وكذا الحال مع صفاتنا الأخرى كالحياة، والقدرة، والإرادة، وما إلى ذلك، لأنّ هذه هي عينها صفاتها»[(٣)].

ويقول أيضًا: «وإن شئت فهم هذه الحقيقة واستيعابها جيّدًا،

= الموسوي التبريزي، منشورات المعهد الثقافي نور على نور، مطبعة الأسوة، ط٤، ١٤٣١ هـ، ص١٦٠-١٦١.

(١) روضان، رياض سحيب: **علم الكلام عند صدر الدين الشيرازي: دراسة في الإلهيّات**، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠١٢، ص٢١٠.

(٢) الشيرازي، صدر الدين محمّد: **الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة**، ج٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٥، ١٩٩٩، ص٨٧.

(*) تجدر الإشارة إلى أنّ الباحث اعتمد هذا النصمن خلال كتاب **معرفة الله** للعلامة الطهراني ولم يجد هذا النصفي النسخة المترجمة لأنّ كتاب **الكلمات المكنونة** يجمع بين اللغتَين الفارسيّة والعربيّة فاضطررنا إلى اعتماد هذا النصمن الكتاب المذكور.

(٣) الفيض الكاشاني، محمّد مرتضى: **الكلمات المكنونة**، نقلاً عن: الطهراني، محمّد الحسين الحسيني: معرفة الله، ج٣، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ص٣٤٥.

فانظر إذًا إلى حياتك كيف أنّها مملوكة لك، ومنسوبة إليك، ومقيّدة بك! لأنّك لا تجد هنا إلا روحًا واحدةً مختصّةً بك، وتلك الروح هي حادثة، وإذا رفعت نظرك عن كونها مختصّة بك وتحسّست بقلبك، من حيث الشهود والوجدان، بأنّ حياة ووجود أيّ موجود حيّ إنّما تكون في حياة ووجود الحقّ كما كانت حياتك أنت هكذا أيضًا، وشاهدت ولاحظت سريان وجريان تلك الحياة في جميع الموجودات، فستعلم أنّ حياتك هذه هي عينها الحياة القائمة بالموجود الحيّ والذي [الذي] به يقوم العالم كلّه، وتلك هي الحياة الإلهيّة»[1].

ويعلّق العلّامة الطهراني على كلام الفيض الكاشاني ردًّا على الشيخ أحمد الأحسائي الذي رفض مسألة وحدة الوجود، إذ يقول: «فهل يمكن القول إنّ صهره [صهر الملّا صدرا] الملّا محسن لم يفهم ذلك أيضًا، ولم يسر على ذلك الممشى كذلك؟!»[2].

ويقول أيضًا: «فأيّ قول غيره يعني القول بوحدة الوجود؟! بل إنّ هذا الكلام يشير بوضوح إلى القول بوحدة الوجود ووحدة الموجود معًا»[3].

ويتّضح ممّا سبق، بحسب ما يرى الطهراني، أنّ الفيض الكاشاني هو من القائلين بنظريّة وحدة الوجود، شأنه شأن باقي

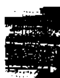
---

(١) الفيض الكاشاني، محمّد مرتضى: **الكلمات المكنونة**، نقلًا عن: الطهراني، محمّد الحسين الحسيني: معرفة الله، ج٣، ص٣٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٤٦.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.





العرفاء، كما أنّه يتّفق مع أستاذه في هذه المسألة، فما هو الضير في ذلك إذا كان لا يتعارض مع المفاهيم الإسلاميّة ولا يؤدّي بالقائل به إلى الكفر؟

ج. الطعن على المجتهدين

ذكر صاحب **لؤلؤة البحرين** أنّ الفيض الكاشاني: «كان كثير الطعن على المجتهدين، ولا سيّما في رسالته الموسومة **سفينة النجاة**، حتّى أنّه يُفهَم منها نسبة جمع من العلماء إلى الكفر، فضلًا عن الفسق، مثل إيراده الآية ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[١]؛ أي ولا تكن مع القوم الكافرين»[٢].

وقد وقعت بيدي نسخة من كتاب **سفينة النجاة**. وبعد الاطّلاع عليها، وجدت أنّ الفيض الكاشاني يرى أنّ الأدلة الشرعيّة لدى مذهب الإماميّة منحصرة **بالقرآن** والسنّة. ولكون الكاشاني أخباريًّا*، اعتبر الاجتهاد باطلًا، لأنّ الاجتهاد هو العمل بالظنّ، ويرى أنّ الشارع المقدّس هو «أوّل من منع من اقتفاء الرأي واتّباع الظنّ»[٣]، مستدلًّا على ذلك بقوله تعالى ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾[٤] و﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾[٥] أي «يقولون

---

(١) سورة **هود**، الآية ٤٢.

(٢) **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١١٦.

(٣) * الأخباريّة هم طائفة من الشيعة الذين يعطون الأولويّة للنصّ على العقل.

() **سفينة النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٧٣.

(٤) سورة **النجم**، الآية ٨٢.

(٥) سورة **الأنعام**، الآية ١١٦، سورة **يونس**، الآية ٦٦.





بالتخمين»[١].

وقد انتقد الفيض الكاشاني أصحاب الاجتهاد لأنّهم يعملون بالظنّ، قائلًا: «وما معنى تحصيل الظنّ بالاجتهاد؟! ثمّ كم قدر الظنّ المعتبر فيه حتى يصبح عليه الاعتماد؟!»[٢].

وبما أنّ الفيض الكاشاني يرى أنّ الأدلّة منحصرة **بالقرآن** والسنّة - وهذا ما جعله أخباريًّا - فطريقته في انتقاد أصحاب الاجتهاد، الذين يستنبطون الحكم الشرعيّ من خلال الظنّ، إنّما هو انتقاد بنّاء لا يدلّ بالضرورة على أنّه يرميهم بالكفر، كما هو واضح ومعلوم لكّل ذي نظر.

وأمّا ما ذكره صاحب **اللؤلؤة** من أنّ كلام الكاشاني يُفهَم منه نسبة جمع من العلماء إلى الكفر، مثل إيراده الآية المباركة: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾، فأنا أعتقد أنّ في هذه الآية إشارة إلى طريق النجاة الذي يؤمن به الفيض الكاشاني، وهو الاعتماد على **القرآن الكريم** والروايات الشريفة عن النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وأهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

بناءً على ذلك، قال الفيض الكاشاني[٣]: «وحيث انتهت سفينتنا في بحر الاختلاف إلى ساحل النجاة، وجرت بنا إلى منازل الهداة، فلنرسلها عن الجريان ونمسك القلم عن الطغيان، فـ﴿بِسۡمِ

(١) **سفينة النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٥.

(٣) **سفينة النجاة**، الفيض الكاشاني، ص١٣٢.





ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾[١] فـ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[٢]، وأدخل معك من تبعنا ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[٣] وتميّز القول الميّت من الحيّ، وكشف الغطاء من البين، ولاح الصبح لذي عينين، ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾»[٤].

---

(١) سورة **هود**، الآية ٤١.

(٢) سورة **هود**، الآية ٤٢.

(٣) سورة **البقرة**، الآية ٢٥٧.

(٤) سورة **البقرة**، الآية ١٣٧.

سيرة الفيض الكاشاني العلميّة

١. سيرة الفيض الكاشاني العلميّة

تنقسم حياة الكاشاني العلميّة إلى مراحل عدّة، هي:

المرحلة الأولى: اشتغل الفيض الكاشاني بتحصيل المقدّمات والعلوم الظاهريّة إلى أن بلغ رتبة الاجتهاد فيها، وذلك عند اشتغاله بالتعلّم في مدينة كاشان ثم رحلته إلى أصبهان[١] وشيراز[٢].

فالفيض الكاشاني قضى برهةً من الزمن في خدمة خاله الذي كان من الممتازين في عصره في مدينة كاشان، إذ كان مشتغلًا بتعلّم التفسير، والحديث، والفقه وأصول الدين، وما تتوقف عليه هذه العلوم من العربيّة، والمنطق، وغيرها[٣].

ولمّا علم الكاشاني بقدوم المحقّق الكبير السيّد ماجد

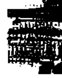
---

(١) لعلّ المراد منها أصفهان.

(٢) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٨ (المقدّمة).

(٣) ينظر: الفيض الكاشاني، **رسالة شرح الصدر**، نقلًا عن **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٩.





البحراني الصادقي إلى شيراز، عزم على الرحيل إليه لينهل منه العلوم الشرعيّة كالفقه، والتفسير، والحديث، وغيره. لكن قبل ارتحاله إلى شيراز لأخذ العلوم من السيّد البحراني، تردّد والده في الرخصة له في الذهاب، ثمّ تقرّر بتّ الأمر بالاستخارة، فلما فتح **القرآن الكريم**، طالعته الآية المباركة: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾[١]، ثم بعد ذلك تفاءل بالديوان المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فجاءت الأبيات هكذا:

تغرّب عن الأوطان في طلب العلى　　وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرّج همّ واكتساب معيشة　　وعلم وآداب وصحبة ماجد [٢]

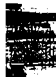
ومن الواضح أنّ هذه الأبيات تناسب المطلوب، لا سيّما قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وصحبة ماجد». فسافر الكاشاني إلى شيراز وأخذ العلوم الشرعيّة من البحرانيّ[٣]. كما درس الفيض الكاشاني على يد الشيخ البهائي، وتعلّم العلوم العقليّة على يد الفيلسوف صدر الدين الشيرازي، وتزوّج بابنته[٤].

المرحلة الثانية: تبدأ هذه المرحلة منذ رجوعه من شيراز إلى أصبهان، وصولًا إلى رحلته إلى قمّ وإقامته فيها، ورجوعه مع أستاذه صدر الدين إلى شيراز، واصطحابه أستاذه معه إلى كاشان وبقائه

---

(١) سورة **التوبة**، الآية ١٢٢.
(٢) **روضات الجنّات**، الأصبهاني، ج٦، ص٨٧.
(٣) **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٦.
(٤) فيض، عليّ رضا: **الفقه والاجتهاد: عنصر التأصيل والتجديد والمعاصرة**، ج٢، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي (سلسلة الدراسات الحضاريّة)، بيروت، ط٢، ٢٠١٠، ص٤٨١.





فيها[١].

ولم يجد الكاشاني في ما حصّله في المرحلة الأولى رواء غلّته وشفاء علّته. فأخذ - بعد ما أحكم العلم الظاهر - ينشد من عنده شيء من علم الباطن، وإن كان من أوّل أمره راغبًا في ذلك، سائلًا عنه. فسافر في البلاد حتى وصل به المطاف إلى أستاذه صدر الدين الشيرازي، فأقام عنده سنين مشتغلًا بالرياضيّات وتحصيل علم الباطن. وكان، في هذه المرحلة، ذا شوق، واهتمام، وجدّ[٢]. ونلحظ أنّ الفيض الكاشاني هو أوّل من أيّد صدر الدين الشيرازي في العلوم العقليّة، وأسبغ في شرح عقائده وآرائه، لا سيما في كتابَيه المعروفَين، **علم اليقين** و**عين اليقين**[٣].

المرحلة الثالثة: تبدأ هذه المرحلة بعدما تكامل الفيض الكاشاني وحصّل العلوم والتجارب الضروريّة في العلم والعمل، ونال من العوامّ والخواصّ من معاصريه ما نال، فرأى النجاة والراحة في الإعراض عن الخلق باطنًا والكون معهم ظاهرًا، والإقبال على الاهتمام بالنفس عملًا، والتمسّك بالثقلَين والتفكّر فيهما علمًا.

وفي هذه المرحلة نراه عالمًا عارفًا معتدلاً، بلا إفراط ولا تفريط، يراعي الظاهر والباطن، يعيش مع الخلق، ويكتب لهم، ويهديهم في الظاهر، ولا يختلط بهم، وينعزل عنهم، ويكمل مسيره

---

(١) **علم اليقين**، ج١، ص٨ (المقدّمة).

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) ينظر: **الفقه والاجتهاد**، عليّ رضا فيض، ج٢، ص٤٨١-٤٨٢.

في الباطن[1].

يصرّح الفيض الكاشاني بهذه الحقيقية قائلاً: «فاشتغلت مدّةً بعد ذلك في ظلّ القناعة بترويج الدين قوّةً وفعلًا حسب المقدور، وكنت ببركة العلم، والعمل، ومحبّة أهل البيت أزداد يومًا فيومًا من استكشاف أسرار كلماتهم (سلام اللّه عليهم)، وأفوز بفتوحات وفيوضات في المعارف الدينيّة والمعارف اليقينيّة، ويُفتَح لي في كلّ برهة باب من علم، وفي كل باب أبواب أخر»[2].

٢. أساتذة الفيض الكاشاني

درس الفيض الكاشاني على يد جملة من جهابذة عصره، وقد أخذ منهم العلوم الشرعيّة والعقليّة. فكان لدراسته عند هؤلاء العظماء الأثر البالغ في صقل شخصيّته العلميّة ونموّ موهبته، حتّى شهد له الكثيرون بالفضل، والورع، والتقوى. أمّا أبرز أساتذته الذين نهل منهم العلم والمعرفة، فهم:

١. **محمّد بن محمود الكاشاني:** وهو خال الفيض الكاشاني، ومن شيوخه، وأحد أساتذته في العلوم العقليّة في كاشان. وهو أحد المتميّزين في عصره في التفسير، والحديث، والفقه وأصول الدين[3]، وقد عُرِفَ عنه أنّه رجل فاضل، وشاعر، وأديب، ومن

---

(١) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٨ (المقدّمة).

(٢) **رسالة شرح الصدر**، الفيض الكاشاني، نقلاً عن كتاب **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١١.

(٣) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٠ (المقدّمة).





تلامذة المقدّس الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ) [١].

٢. **ماجد البحراني:** أحد مشايخ الفيض الكاشاني وقد أخذ عنه الحديث، ووصفه صاحب **لؤلؤة البحرين** بكونه محقّقًا مدقّقًا شاعرًا ليس له نظير في جودة التصنيف وبلاغة التحبير. كما أنّه أوّل من نشر الحديث في شيراز[٢]، وهو فاضل، أديب، جليل القدر في العلم والعمل[٣]. وقد ذكره الفيض الكاشاني في كتابه **الوافي** حيث يقول: «إنّي أروي الأصول الأربعة تارةً عن أستاذي، ومن إليه في العلوم الشرعيّة استنادي، وعليه اعتمادي السيّد ماجد بن هشام الصادقي البحراني»[٤].

٣. **الشيخ بهاء الدين العاملي المعروف بـ«الشيخ البهائي» (٩٥٣هـ-١٠٣١هـ)**: درس عنده الفيض الكاشاني علم الرياضيّات والحساب[٥]. وصفه صاحب **اللؤلؤة** بأنّه علّامة، فهّامة، محقّق دقيق النظر، جامع لجميع العلوم، حسن التقرير. ومن كتبه **الجامع العباسي** بالفارسيّة، و**الزبدة في أصول الفقه**، و**مفتاح الفلاح**، و**العروة الوثقى في تفسير القرآن**[٦].

---

(١) ينظر: الطهراني، محمّد محسن: **طبقات أعلام الشيعة**، ج٥، تحقيق عليّ نقي منزوي، مؤسّسة إسماعليان، قم، إيران، ط٢، ص٢٩٨.

(٢) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٣٦ ١٣٧.

(٣) ينظر: **أمل الأمل**، العاملي، ج٢، ص٢٢٦.

(٤) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **الوافي**، ج١، منشورات مكتبة أمير المؤمنين (ع) العامّة، أصفهان، ط١، ١٣٧٠هـ، ص١٢.

(٥) ينظر: **رسالة شرح الصدر**، نقلاً عن **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٩.

(٦) **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص٢٠-٢١.





وبهاء الدين العاملي هو أحد الشخصيّات المهمّة التي تحتاج إلى بحوث مستفيضة وجادّة للنظر في إمكانيّاته المتعددة في الفكر، واللغة، والأدب، والهندسة، والفلك، وغير ذلك.

٤. **الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن زين الدين العاملي (٩٨٠هـ-١٠٣٠هـ)**: ذكره العاملي في **أمل الأمل** بكونه عالمًا، فاضلًا، محقّقًا، مدقّقًا، متبحّرًا، جامعًا، كاملًا، صالحًا، ورعًا، ثقةً، فقيهًا، محدّثًا، متكلّمًا، حافظًا، شاعرًا، أديبًا، جليل القدر، عظيم الشأن، حسن التقرير. ومن كتبه **شرح تهذيب الأحكام**، و**شرح الاستبصار** الذي هو على منوال **مجمع البيان**، و**شرح الإثني عشريّة**[١]. ذكره الفيض الكاشاني في رسالته، حيث يقول: «تشرّفت في هذا السفر بخدمة الشيخ محمّد بن الشيخ حسن زين الدين العاملي، واستفدت منه، وأخذت منه إجازة الحديث أيضًا»[٢].

٥. **السيّد محمّد باقر بن محمّد الحسيني الأسترابادي المعروف بـ«المحقّق الداماد» (ت ١٠٤١هـ)**: وهو الأستاذ الذي تتلمذ الفيض الكاشاني على يدَيه وأخذ عنه العلوم العقليّة[٣]. امتاز المحقّق الداماد بكونه من العلماء والحكماء الجامعين للعلوم والمعارف، وله مؤلّفات عديدة، منها **القبسات**[٤]، و**الرواشح السماويّة**[٥]، و**تقويم الإيمان**[٦]،

---

(١) **رسالة شرح الصدر**، نقلاً عن **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٠.

(٢) **رسالة شرح الصدر**، نقلاً عن **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٠.

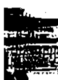
(٣) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٣١.

(٤) طُبِعَ باهتمام الدكتور مهدي محقّق، ينظر: المصدر نفسه.

(٥) طُبِعَ بإشراف مكتبة المرعشي النجفي، سنة ١٤٠٥هـ، ينظر المصدر نفسه.

(٦) طُبِعَ مؤخّرًا مع شرحه بعنوان **كشف الحقائق** بتحقيق وتقديم علي اوجبي، ينظر المصدر نفسه.





والصراط المستقيم[١]، **ورسالة الإيقاظات**[٢]، **والأفق المبين**[٣]. والداماد هو أحد روّاد العلوم العقليّة.

٦. **صدر الدين محمّد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بـ«الملّا صدرا» (٩٧٩هـ- ١٠٥٠هـ)**: وهو من أكابر العلماء، وقد أحدث ثورةً في الفلسفة الإسلاميّة، إذ أتحف الفكر الإسلامي في مطلع القرن السابع عشر بأعمق فلسفة شهدها على الإطلاق[٤]. له مؤلّفات عديدة، أبرزها **الحكمة المتعالية**.

٧. **الشيخ محمّد صالح المازندراني (ت ١٠٨٦ه)**: وهو من مشايخ الفيض الكاشاني، ويوصف بأنّه عالم جليل القدر، رفيع المنزلة والشأن، فاضلًا، كاملًا، متبحّرًا في العلوم العقليّة والنقليّة. ومن مؤلّفاته كتاب شرح أصول الكافي[٥].

٨. **الشيخ محمّد طاهر بن محمّد بن حسين الشيرازي (ت ١٠٩٨هـ)**: من أساتذة الفيض الكاشاني. وصفه صاحب **أمل الأمل** بأنّه عالم، محقّق، ثقة، فقيه، متكلّم، محدّث، جليل القدر، عظيم الشأن. ومن مؤلّفاته كتاب **الأربعين في فضائل أمير المؤمنين**[٦].

٩. **الشيخ خليل بن الغازي القزويني (ت ١٠٨٩هـ)**: من مشايخ

---

(١) طُبِعَ مؤخّرًا بتحقيق وتقديم علي اوجبي، ينظر: المصدر نفسه.
(٢) طُبِعَ مؤخّرًا بتحقيق وتصحيح حامد ناجي أصفهاني، ينظر: المصدر نفسه.
(٣) طُبِعَ مؤخّرًا بتحقيق وتصحيح حامد ناجي أصفهاني، ينظر: المصدر نفسه.
(٤) ينظر: الصدر، محمّد باقر: **اقتصادنا**، منشورات مركز الأبحاث والدراسات التخصّصية للشهيد الصدر، ط١، قم، ١٤٢٤هـ، ص١٣٦.
(٥) ينظر: **أمل الأمل**، العاملي، ج٢، ص٢٧٦.
(٦) ينظر: **أمل الأمل**، العاملي، ج٢، ص٣٩٠-٣٩١.

الفيض الكاشاني، وقد وُصِفَ بأنّه فاضل، عالم، علّامة، حكيم، متكلّم، محقّق، فقيه، محدّث، ثقة. له مؤلّفات منها **شرح الكافي**، و**شرح العدّة في الأصول**، و**رسالة الجمعة**، و**حاشية مجمع البيان**[١].

٣. تلامذة الفيض الكاشاني

بعد أن وصل الفيض الكاشاني إلى المكانة العلميّة المرموقة التي وصل إليها، أصبح طلاب العلم والمعرفة يختلفون إليه ويتلقّون منه العلوم الإسلاميّة المختلفة والمتنوّعة، حتّى ذاع صيته ودرس عنده جملة من العلماء الذين تشهد لهم مؤلّفاتهم، والذين أصبحت كتبهم مرجعًا لكلّ الباحثين والدارسين. ومن هؤلاء الذين تتلمذوا على يد الفيض الكاشاني:

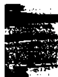
١. **الشيخ محمّد باقر المجلسي (١٠٢٧هـ- ١١١٠هـ)**: من تلامذة الفيض الكاشاني، وصفه صاحب **أمل الأمل** بأنّه علّامة، فهّامة، فقيه، متكلّم، محدّث، ثقة، جامع للمحاسن والفضائل[٢]. من أشهر مؤلّفاته وأكبرها **بحار الأنوار**، وهو ٢٥ مجلّداً كبيرًا، يبلغ كلّ مجلد منها عشرات المجلّدات الصغيرة والمتوسّطة، وهو- على ما فيه - دائرة معارف شيعيّة لا مثيل لها أثبت فيها جلّ آثار الشيعة وأخبارهم وعلومهم[٣]. وله أيضًا كتاب **مرآة العقول في شرح أخبار الرسول**، وهو

(١) ينظر: الأمين، محسن: **أعيان الشيعة**، ج٦، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣، ص٣٥٥.

(٢) **أمل الأمل**، الحرّ العاملي، ج٢، ص٣٣٦.

(٣) ينظر: الأميني، محسن: **أعيان الشيعة**، ج٩، ص١٨٣.





شرح أصول الكافي[١]. وربّما كان للفيض الكاشاني التأثير الكبير الذي أدّى إلى تبنّي العلامة المجلسي المذهب الأخباري.

٢. **السيّد نعمة الله الجزائري الشوشري (١٠٥٠هـ - ١١١٢هـ):** من تلامذة الفيض. وصفه صاحب **اللؤلؤة** بأنّه فاضل، محدّث، مدقّق، واسع الدائرة في الاطّلاع على أخبار الإماميّة، وتتبع الآثار المعصوميّة[٢]، وقال صاحب **أمل الأمل** إنّه جليل القدر، مدرّس من المعاصرين[٣]. من مؤلفاته **قصص الأنبياء** و**زهر الربيع**.

٣. **القاضي سعيد محمّد بن محمّد مفيد القمّي (ت ١١٠١هـ-١١٠٢هـ):** وهو من تلامذة الفيض الكاشاني، وهو من أعظم علماء الحكمة، والأدب، والحديث[٤]. من مؤلّفاته **شرح توحيد الصدوق**، [٥]و**كتاب الأربعينيّات**[٦].

٤. **محمّد بن محمّد بن مرتضى الفيض الكاشاني:** وهو ابن الفيض ومن تلامذته. وُلِدَ في سنة ١٠٣٩هـ. عُرِفَ بأنّه عالم فاضل. وقد قرأ على أبيه وجدّه لأمه صدر المتألّهين. له من المؤلّفات كتاب

---

(١) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص٥٥.

(٢) ينظر: **أعيان الشيعة**، الأميني، ج١٠، ص٤٦.

(٣) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، ص١١١.

(٤) الشاهرودي، علي النمازي: **مستدرك سفينة البحار**، ج٨، تحقيق وتصحيح الشيخ حسن بن عليّ النمازي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ١٤١٩هـ، ص٥٤٨.

(٥) وهو في ثلاثة مجلّدات، طُبِعَ بتحقيق نجفقلي حبيبي، ينظر: المصدر نفسه، منشورات وزارت فرهنك وارشاد إسلامي، ١٣٧٣ش.

(٦) وهو في مجلّد واحد مطبوع بتحقيق نجفقلي حبيبي، ينظر المصدر نفسه، منشورات ميراث مكتوب، ١٣٨١ش.

في الأصول والفروع والأخلاق، وله كتاب **معادن الحكمة**[١].

٥. **الشيخ محمّد هادي ابن الشيخ مرتضى الثاني:** وهو من تلامذة الفيض الكاشاني. وقد امتاز بكونه من أجلّ الفقهاء والمحدّثين والأصوليّين والمتكلّمين والمحقّقين والأدباء والفلاسفة. من مؤلّفاته كتاب **مستدرك الوافي** وكتاب **منتخب المحجّة البيضاء**[٢].

٦. **الشيخ محمّد مؤمن بن عبد الغفور ابن الشيخ مرتضى الأوّل:** وهو من تلامذة الفيض الكاشاني، وهو فقيه، محدّث، زاهد. أخذ عن والده، وعمّه الفيض الكاشاني، وروى عنهما. من أشهر مؤلّفاته **أخلاق المؤمن** و**شرح الشرائع وأصول الفقه**[٣].

٧. **الشيخ نور الدين ابن الشيخ مرتضى الثاني (ت ١١١٥هـ):** من تلامذة الفيض الكاشاني وحفيد أخيه. وهو من أجلّ علماء عصره في كاشان، وكان فقيهًا، محدثًا، عارفًا، أديبًا، أخباريّ المسلك، متحاملًا على الأصوليّين. أجازه الفيض الكاشاني في سنة ١٠٧٩هـ. من مؤلّفاته **المعين**، و**درر البحار**، و**الحقائق القدسيّة**، و**الكلمات النوريّة**، وغيرها[٤].

---

(١) **الذريعة**، الطهراني، ج٢٤، ص٢٤٦.

(٢) ينظر: **معادن الحكمة**، علم الهدى، ج١، ص٢٥-٢٦.

(٣) **معادن الحكمة**، علم الهدى، ج١، ص٢٥.

(٤) ينظر: الحسيني، أحمد: **تلامذة المجلسي**، طُبِعَ بعناية السيّد محمود المرعشي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي العامّة، قم، ط١، ١٤١٠هـ، ص٦٥.





مؤلّفات الفيض الكاشاني

للفيض الكاشاني العديد من المؤلّفات التي أثّرت بالساحة المعرفيّة لما تحتوي من مادّة علميّة غزيرة عادت بالفائدة على الكثير من الباحثين والكتّاب في دراساتهم وبحوثهم، إذ تُعَدُّ مؤلّفات الفيض الكاشاني أساسًا معرفيًا يعتمد عليه الباحثون، وينهل منه طلاب العلم والمعرفة. وتشير مؤلّفات الفيض الكاشاني إلى أنّه قد تناول العديد من الموضوعات المختلفة حتى وصل الأمر إلى ترجمة كتاباته بطبعات عديدة نتيجةً لرغبة الناس في قراءة كتب هذا العالم الذي أغنى المكتبة الإسلاميّة بكلّ ما هو جديد.

نلحظ في كتب الفيض الكاشاني أنّه كثير التحليل والتدقيق في عموم المسائل، ما يدلّ على قدرته العلميّة وبراعته المعرفيّة التي تخوّله التعمّق بالمعارف التي اكتسبها مباشرةً أو غير مباشرة. أمّا الآن، فنتطرّق إلى مؤلّفاته وفق منهج البحث العلمي الذي وضعته للتعرّف إلى هذه الشخصيّة، التي قلّما تُسلَّط الأضواء عليها في الدراسات الأكاديميّة، لا سيّما الفلسفيّة منها:

ويمكن تقسيم مؤلّفات الفيض الكاشاني إلى ثلاثة أقسام:

١. آثاره في مجال الدين

وتشمل كتب التفسير، والحديث، والفقه، وغيرها. أذكر منها:

- **الوافي**: يحتوي على جملة من علوم **القرآن الكريم**، وجميع ما تضمّنته كتب أصولنا الأربعة؛ أي **الكافي**، **والفقيه**، **والتهذيب**، **والاستبصار**[١]. فرغ الكاشاني من تصنيف هذا الكتاب في سنة ثمان وستين بعد الألف[٢]، وهو مطبوع.

- **الشافي**: وهو منتخب من كتابه **الوافي**، وهو جزءان: جزء منه في العقائد والأخلاق، وجزء في الشرائع والأحكام، وفي كلّ جزء اثنا عشر كتابًا، يحتوي على ما يناهز ستّةً وعشرين ألف بيت، وقد خطّه في سنة اثنَين وثمانين بعد الألف[٣]، وهو مطبوع[٤].

- **النوادر**: الكتاب يجمع الأحاديث غير المذكورة في الكتب الأربعة، وهو في سبعة آلاف بيت. وهو مكمّل لقسم الأصول من كتاب **الوافي**، ويتألّف من سبعة كتب: كتاب العقل، وكتاب العلم، وكتاب التوحيد، وكتاب النبوة والإمامة، وكتاب الفتن، وكتاب أنباء القائم، وكتاب المعاد. في كلّ كتاب منها أبواب[٥]،

---

(١) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١١٣.

(٢) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١١٧.

(٣) ينظر: **روضات الجنّات**، الأصفهاني، ج٦، ص٨٤- ٨٥. وكذلك ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١١٧.

(٤) طُبِعَ بتحقيق مهدي الأنصاري القمّي وتصحيحه، عن دار اللوح المحفوظ، طهران، ط٢، ١٤٢٩هـ.

(٥) الطهراني، آغا بزرك: **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، ج٢٤، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ص٣٤٨.





وهو مطبوع[١].

- **الأربعين**: يحتوي الكتاب على أربعين حديثًا في مناقب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، انتخبها الكاشاني من كتاب لبعض الأصحاب في فضائله عَلَيْهِ السَّلَامُ. يناهز الكتاب ثلاثة آلاف وثلاث مئة بيت[٢]، والكتاب غير مطبوع[٣].

- **الصافي في تفسير القرآن**: وهو حول ما وصل إلينا من الأئمّة الاثني عشر المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من البيان. جُمِعَت فيه مواضيع شتّى، وقد وقع الفراغ من تأليفه في سنة خمس وسبعين بعد الألف[٤]، وهو مطبوع.

- **الأصفى**: انتخبه الكاشاني من تفسيره الكبير، **الصافي**. وأوجز فيه ولخّصه في واحد وعشرين ألف بيت اقتصر على تفاسير أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[٥]. ووقع الفراغ منه بعد **الصافي** بسنتَين، وهو مطبوع.

- **تنوير المواهب**: وهو تعليقات على تفسير **القرآن** المنسوب إلى الكاشفي، والمعروف باسم **المواهب العليّة**[٦]. يرد في الكتاب ما خالف الإماميّة في تفسير الآيات في ثلاثة آلاف بيت، وهو غير

---

(١) طُبِعَ بتحقيق مهدي الأنصاري القمّي عن دار الأندلس (لبنان /النجف)، ط١، ٢٠١٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٥، كذلك ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢١.

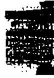
(٣) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٥٨ (المقدّمة).

(٤) المصدر نفسه، ص٦٨.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢١.





مطبوع[١].

- **أبواب الجنان**: وهو كتاب في وجوب الجمعة وآدابها وفضل الجماعة وآدابها. كتبه الكاشاني بالفارسيّة في خمس مئة بيت، وخطّه سنة ١٠٥٥هـ، وهو غير مطبوع[٢].

- **أذكار الطهارة**: يشتمل على الأذكار المتعلّقة بالطهارة في خمسين بيت[٣]، وهو غير مطبوع[٤].

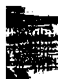
- **الحق المبين**: ويُعرَف أيضًا باسم **الحق المبين في كيفيّة التفقّه في الدين**. يناهز الكتاب المئتَين والخمسين بيتًا[٥]، وقد صنّفه في سنة ثمان وستّين بعد الألف[٦]، وهو مطبوع[٧].

- **الأصول الأصيلة**: يشتمل على عشرة أصول مستفادة من الكتاب والسنّة تبيّن كيفيّة استنباط المسائل الدينيّة[٨]. يناهز الكتاب ألفَين وثمان مئة بيت كتبها الكاشاني في سنة أربع وأربعين

---

(١) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٦٢ (المقدّمة).
(٢) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١١، ص٧٧.
(٣) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٣.
(٤) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٥٨ (المقدّمة).
(٥) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢١.
(٦) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٦٣-٦٤ (المقدّمة).
(٧) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج٤، تصحيح وتحقيق حسن قاسمي، إشراف محمّد الإماميّ الكاشاني، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ص٢١٧-٢٣٩.
(٨) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٥٩ (المقدّمة).





بعد الألف[١]، وهو مطبوع[٢].

- **تحقيق ثبوت الولاية على البكر في التزويج:** وهي رسالة في تحقيق الولاية على البكر في التزويج وما يتعلّق بذلك في مئة وثمانين بيتًا[٣]، وهي مطبوعة[٤].

- **ترجمة الحجّ:** وهي رسالة تتضمّن آداب الحجّ، وأحكامه، وما يتعلّق به، في ثلاث مئة بيت[٥]، وهي مطبوعة[٦].

- **ترجمة الزكاة:** وهي رسالة في بيان أحكام الزكاة وأسرارها[٧]، وهي مطبوعة[٨].

- **ترجمة الشريعة:** وهي رسالة بالفارسية، فيها معنى الشريعة، وفائدتها، وكيفيّة سلوكها، وبيان أقسام الحسنات والسيئات في

---

(١) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢١، وكذلك: روضات الجنّات، الأصفهاني، ج٦، ص٨٦.

(٢) طُبِعَ ضمن مجموعة مؤلّفات الفيض الكاشاني التي قامت ب طُبِعَها المدرسة العليا للشهيد المطهّري في طهران.

(٣) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٥.

(٤) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **الرسائل الفقهيّة**، تصحيح وتحقيق سيّد أبو القاسم نقيبي، إشراف محمّد الإماميّ الكاشاني، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ١٣٨٧ ش، ص٢١٧-٢٣٧.

(٥) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٤، ص٩٦.

(٦) ينظر: الفيض الكاشاني، محسن: مجموعة رسائل، ج٢، تصحيح وتحقيق مسيح توحيدي، إشراف محمّد الإماميّ الكاشاني، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ص٢٦٠.

(٧) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٤، ص١٠٦.

(٨) ينظر: الفيض الكاشاني، محسن: **مجموعة رسائل**، ج٢، ص١٥٤.





سبع مئة وعشرين بيتًا[١]، وهي مطبوعة[٢].

- **ترجمة الصلاة:** وهي رسالة ترجم فيها أذكار الصلاة إلى الفارسيّة، مع بيان آدابها وسننها[٣] في أربع مئة وخمسين بيتًا[٤]. صنّف الرسالة في سنة ثلاث وأربعين بعد الألف[٥]، وهي مطبوعة[٦].

- **ترجمة الصيام:** وهو مثل ترجمة الزكاة[٧]، يقارب الثلاث مئة بيت[٨]، وهو مطبوع[٩].

- **جهاز الأموات:** في أمّهات مسائل الجنائز وأحكام الأموات[١٠] التي توزّعت على ثلاث مئة بيت[١١]، وهو مطبوع[١٢].

- **سفينة النجاة:** يشتمل على مآخذ الأحكام الشرعيّة في الكتاب والسنّة[١٣]، يقارب الألف والخمس المئة بيت. وقد صنّفه

---

(١) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٤.
(٢) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج٢، ص٢٨١-٢٥٢.
(٣) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٦١ (المقدّمة).
(٤) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٤، ص١١٣.
(٥) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٣.
(٦) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج٢، ص٢٩-٧٧.
(٧) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٣.
(٨) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٤، ص١١٤.
(٩) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج٢، ص٢٦١-٢٨٠.
(١٠) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٥، ص٢٩٨.
(١١) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **الرسائل الفقهيّة**، ص١٥٥-٢١٣.
(١٢) طُبِعَ بإشراف المدرسة العليا للشهيد المطهّري في طهران.
(١٣) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٢، ص٢٠٢.





في سنة ثمان وخمسين بعد الألف[١]، وهو مطبوع[٢].

- **الضوابط الخمس**: وهي رسالة في أحكام الشكّ، والسهو، والنسيان في الصلاة[٣]. احتوت على ملخّص الأحكام في ثلاثين بيتًا، وهي مطبوعة[٤].

- **زاد الحاجّ**: رسالة كتبها بالفارسيّة، وفيها كيفيّة أداء مناسك الحجّ والعمرة على سبيل الإيجاز. كُتِبَت في سنة خمسة وستّين بعد الألف في ثلاث مئة وخمسين بيتًا، وهي غير مطبوعة[٥].

- **طريق الصواب**: كتاب باللغة الفارسيّة في بيان كلّ من اختلاف فرق الإسلام، ودافع الأصوليّين وراء التدوين، ومعنى الإجماع في خمس مئة بيت. فرغ الكاشاني من تأليفه سنة إحدى وأربعين بعد الألف، ورتّبه في اثنَي عشر سؤالًا وجوابًا[٦].

- **المحاكمة**: تشتمل على محاكمة بين فاضلَين من مجتهدي أصحابنا في معنى التفقّه في الدين[٧]، وهي مطبوعة[٨].

- **معتصم الشيعة في أحكام الشريعة**: مخطوط فيه أمّهات

---

(١) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢١.

(٢) طُبِعَ بإشراف المدرسة العليا للشهيد المطهّري.

(٣) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٥.

(٤) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **الرسائل الفقهيّة**، ص٢٥٧-٢٦٥.

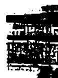
(٥) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٦٦.

(٦) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٠، ص٦٤.

(٧) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٥.

(٨) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج٤، ص٢٤١-٢٥٠.





المسائل مع ذكر الأقوال والدلائل[١]، وقع الفراغ منه في سنة تسع وعشرين بعد الألف[٢]، وهو مطبوع[٣].

- **مفاتيح الشرائع**: مختصر لمخطوط **معتصم الشيعة**[٤]، يقارب الخمسة عشر ألف بيت، وقع الفراغ منه في سنة تسع وعشرين بعد الالف[٥]. يحتوي على أمّهات مسائل الفقه[٦]، وهو مطبوع[٧].

- **مفتاح الخير**: يتعلّق بسوابق الصلاة ولواحقها[٨]، وفصولها وأقسامها، وما يتدارك خللها وفوائتها[٩]، بالفارسيّة. يقارب المئتَين والخمسين بيتًا[١٠]، وهو غير مطبوع[١١].

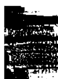
- **النخبة**: يشتمل على خلاصة أبواب الفقه، فرغ منه في سنة خمسة وخمسين بعد الألف[١٢]، وهو مطبوع[١٣].

- **النخبة الصغرى**: تشتمل على لُبَاب فقه الطهارة، والصلاة،

---

(١) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢١، ص٢١٠.
(٢) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١١٨.
(٣) طُبِعَ مؤخّرًا بإشراف المدرسة العليا للشهيد المطهّري في طهران.
(٤) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٦، ص٢١٢.
(٥) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١١٩.
(٦) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٧٤ (المقدّمة).
(٧) طُبِعَ مؤخّرًا بتحقيق الشيخ محمّد الأصبهاني.
(٨) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٣.
(٩) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢١، ص٣٣٠.
(١٠) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٣.
(١١) ينظر: الفيض الكاشاني، محسن: **مجموعة رسائل**، ج٢، ص١٣٣-١٦٠.
(١٢) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١١٨.
(١٣) طُبِعَ بتحقيق مهدي الأنصاري القمّي وتقديمه عن مركز الطباعة والنشر لمنظّمة الإعلام الإسلامي، ط٢، ١٤١٨هـ.





والصيام بأوجز لفظ وأعمّ نفع، في ثلاث مئة وستين بيتًا[١]، وقد يُسمَّى **نخبة العلوم**. فرغ منه في سنة خمسين بعد الألف، وطُبِعَ مستقلًّا في سنة ١٣٢٤هـ[٢].

- **النخبة الكبرى**: فصّل فيه ما أجمله، وبيّن ما أبهمه في **النخبة الصغرى**. وهو أشبه بتعليقة تقرب من أصلها في الحجم أو تزيد عليها[٣].

- **نقد الأصول الفقهيّة**: يشتمل على خلاصة علم أصول الفقه، صنّفه في عنفوان شبابه وهو أول تصنيف له. يقارب الألفَين والثلاث مئة بيت[٤]، وهو مطبوع[٥].

- **أصول العقائد**: كتاب في تحقيق الأصول الدينيّة الخمسة، يقارب الثمان مئة بيت[٦]. فرغ من تأليفه سنة ١٠٢٦ هـ[٧]، وهو مطبوع[٨].

- **التوحيد**: من هذا الكتاب نسخة في مكتبة السيّد راجه محمّد مهدي في ضلع فيض آباد، ذكره صاحب **الذريعة**[٩].

---

(١) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٤.

(٢) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢٤، ص٩٦.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٢.

(٥) طُبِعَ بإشراف المدرسة العليا للشهيد المطهّري في طهران.

(٦) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٢.

(٧) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢، ص١٩٨.

(٨) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج٤، ص١٢٧-١٤٧.

(٩) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٤، ص٤٨١.



- **الجبر والاختيار**: ذكر صاحب **الذريعة** هذا الكتاب الذي طُبِعَ ضمن مجموعة كلمات المحقّقين في سنة ١٣١٥هـ[١].

- **الجبر والتفويض**: وهو ضمن كتاب **الجبر والتفويض** للميرداماد، كما يذكر صاحب **الذريعة**[٢].

- **جلاء العيون**: في بيان أذكار القلب[٣]، في مئتَي بيت[٤]، خطّه عن أربع وثمانين سنةً[٥]. وقد يسمى جلاء القلوب [٦]، أو القول السديد[٧].

- **جواب الأبهري**: يتناول كيفيّة علم اللّه تعالى بالموجودات في الأزل، وإذا ما كان علمه تعالى بالأشياء قبل وجودها أم لا[٨]، وهو مطبوع[٩].

- **جواب بعض الإخوان**: رسالة أخلاقيّة اعتذر فيها عن انشغاله عن قضاء حاجات المؤمنين، معرّضًا بالمرسل إليه ومعاتبًا له على نحو لطيف[١٠]. وتشتمل الرسالة على شرح بعض أحواله وابتلائه

---

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص٨٢.
(٢) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٥، ص٨٢.
(٣) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٠.
(٤) ينظر: **روضات الجنّات**، الأصفهاني، ج٦، ص٨٥.
(٥) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٥، ص١٢٥.
(٦) المصدر نفسه، ص١٢٦، كذلك ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٦٢ (المقدّمة).
(٧) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٥، ص١٢٦.
(٨) المصدر نفسه، ص١٧٢.
(٩) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٦٣ (المقدّمة).
(١٠) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٥، ص١٧٨.





بالوقوع في المهالك[١]، وهي مطبوعة[٢].

- **جواب مسألة الوجود:** رسالة في بيان إذا ما كان الوجود مشترك لفظيّ أو مشترك معنويّ[٣]، وهي غير مطبوعة[٤].

- **ذريعة الضراعة:** مجموعة من الأدعية المأثورة عن الأئمّة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في المناجاة مع قاضي الحاجات في خمسة آلاف بيت، خطّها سنة ١٠٥١ هـ[٥]، وهي مطبوعة[٦].

- **رفع الغواية أو رفع الفتنة:** كتاب بالفارسيّة في حقيقة العلم والعلماء وأصنافهم، ومعنى الزهد والعبادة وأصحابها[٧]، ومنع الجهّال من الطعن في أحد الفريقَين والتخاصم في ذات البين، وهو مطبوع[٨].

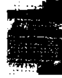
- **زاد العقبى:** ملخّص عن **منتخب الأوراد** مع ذكر ثواب كلّ ورد وترجمته، يقارب ثلاثة آلاف بيت[٩].

- **السانح الغيبيّ:** في تحقيق معنى الإيمان والكفر ومراتبهما[١٠]،

---

(١) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٦٣ (المقدّمة).
(٢) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٥، ص١٧٨.
(٣) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٥، ص١٩٣.
(٤) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٦٣ (المقدّمة).
(٥) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٠، ص٣٠.
(٦) طُبِعَ بإشراف المدرسة العليا للشهيد المطهّري في طهران.
(٧) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١١، ص٢٤٤.
(٨) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٦٥-٦٦ (المقدّمة).
(٩) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٢، ص٥.
(١٠) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٣.





بين كفر الجحود، وكفر النفاق، وكفر الشهور، وكفر الضلالة، وكفر الفسوق، ومراتب الإيمان والكفر[١]، في مئتَين وأربعين بيتًا[٢].

- **شرائط الإيمان**: وهو منتخب من كتابه الكبير **راه صواب**. وقع الفراغ منه في سنة ١٠٦١ هـ[٣]، ويقارب المئتَين والخمسين بيتًا[٤].

- **شرح الصحيفة السجاديّة**: شرح منها ما لعلّه يحتاج إلى الشرح بإيجاز واختصار[٥]. يقارب الشرح ألفًا وثمانين بيتًا، فرغ منه في سنة ١٠٥٥ هـ[٦]، وهو مطبوع[٧].

- **اللبّ**: وهي رسالة في لبّ القول في معنى حدوث العالم[٨]، في ثلاث مئة وسبعين بيتًا[٩]، وهي مطبوعة[١٠].

- **اللباب**: وهي رسالة في لباب القول في الإشارة إلى كيفيّة علم الله سبحانه بالأشياء من جزئيّات، وكليّات، ومحسوسات، ومعقولات[١١]، في مئتَي بيت[١٢]،

---

(١) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٢، ص١٢٤.

(٢) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٦٦ (المقدّمة).

(٣) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٣، ص٤٤.

(٤) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ص١٢١.

(٦) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٧) طُبِعَ بتحقيق مؤسّسة آل البيت (ع) لإحياء التراث.

(٨) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج، ص٢٨٢.

(٩) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٠.

(١٠) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج٣، ص٢٩٢-٣١٥.

(١١) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٨، ص٢٧٨.

(١٢) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٠.





وهي مطبوعة[١].

- **لبّ الحسنات:** منتخب مختصر من الأوراد مع ذكر ثوابها[٢]، وهو مطبوع[٣].

- **منتخب رسائل إخوان الصفا:** وهي الرسائل الإحدى والخمسون في ألفَي بيت[٤].

- **ميزان القيامة:** في تحقيق الميزان في يوم القيامة[٥]، يقارب الستّ مئة بيت. فرغ من تأليفه في سنة أربعين بعد الألف[٦].

٢. آثاره في مجالَي الحكمة والعرفان

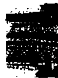
وله في هذا المجال مؤلّفات عديدة نذكرها تباعًا:

- **علم اليقين في أصول الدين:** ويشتمل على العلم بالله، والملائكة، والكتب، والرسائل، واليوم الآخر، على نحو مستفاد من الكتاب والسنّة وأخبار أهل البيت. فرغ منه في سنة ١٠٤٢ه[٧]، وهو مطبوع[٨].

---

(١) ينظر: الفيض الكاشاني، محسن: **مجموعة رسائل**، ج٣، ص٣١٧-٣٢٩.
(٢) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٨، ص٢٨٦.
(٣) طُبِعَ بإشراف المدرسة العليا للشهيد المطهّري في طهران.
(٤) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢٢، ص٤٠٦.
(٥) المصدر نفسه، ج٢٣، ص٣١٧.
(٦) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج٤، ص٣- ٥٣.
(٧) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٥، ص٣٢٦.
(٨) طُبِعَ بتحقيق محسن بيدار فر في مجلّدَين سنة ١٤٢٦ه.





- **أنوار الحكمة**: وهو مختصر من كتاب **علم اليقين**، مع فوائد حكميّة خاصّة به. فرغ منه سنة ١٠٤٣هـ[١]، وهو مطبوع[٢].

- **المعارف**: وهو ملخّص عن كتاب **علم اليقين**[٣]، وهو مطبوع[٤].

- **عين اليقين**: في أصول الدين، وقد رتّبه على مقدّمة في فضيلة علم التوحيد وشرف أهله. فرغ منه سنة ١٠٣٦ه[٥]، وهو مطبوع[٦].

- **الإنصاف**: وهي رسالة في طريق العلم بأسرار الدين المختصّ بالخواص والأشراف، وبيان الفرق بين الحقّ والاعتساف. خطّها سنة ١٠٨٣هـ[٧]، وهي مطبوعة[٨].

- **خلاصة الأذكار واطمئنان القلوب**: تشتمل على الأذكار الواردة في الكتاب والسنّة لكلّ فعل، وعمل، وحركة، وسكون واقعة في آناء الليل وأطراف النهار[٩]. وقد صُنّفَت في سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف[١٠]،

---

(١) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٠.

(٢) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢، ص٤٢٥.

(٣) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١١٨.

(٤) طُبِعَ بإشراف المدرسة العليا للشهيد المطهّري في طهران.

(٥) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٥، ص٣٧٤.

(٦) طُبِعَ بتحقيق الشيخ رضا عيّاش وعنايته في العام ٢٠١١.

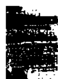
(٧) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢، ص٣٩٨.

(٨) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج١، ص١٤١-١٥٧.

(٩) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٧، ص٢١١.

(١٠) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٢.





وهي مطبوعة[١].

- **ضياء القلب**: في تحقيق الحكّام الخمسة التي تحكم على الإنسان في باطنه[٢]، وما يتعلّق بها من ترجيح بعضها على بعض، والاستعانة ببعضها على بعض، فرغ منه سنة ١٠٥٧هـ[٣]، وهو مطبوع[٤].

- **الأذكار المهمّة**: مختصر من خلاصة الأذكار، فارسيّ، وهو في ثلاث مئة وأربعين بيتًا[٥].

- **قرّة العيون في أعزّ الفنون**: ويشتمل على المعارف والحكم وقد شرحه الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، وأورد عليه إيرادات كثيرة، ثمّ ردّ الحاج المولى هادي السبزواري إيرادات الشيخ أحمد في بعض تصانيفه[٦]. وهذا الكتاب في ثلاثة آلاف وخمس مئة بيت[٧]، فرغ الكاشاني منه في عام ثمانية وثلاثين وألف، وهو مطبوع[٨].

---

(١) طُبِعَ بتحقيق السيّد حسن النقيبي وإشراف أحمد العابدي.

(٢) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٠-١٢١.

(٣) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٥، ص١٢٧.

(٤) طُبِعَ بتحقيق السيّد عليّ عاشور، وكذلك بتحقيق المدرسة العليا للشهيد المطهّري.

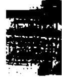
(٥) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١، ص٤٠٦.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ج١٧، ص٧٥.

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٨) طُبِعَ بتحقيق السيّد عليّ عاشور، وكذلك بتحقيق المدرسة العليا للشهيد المطهّري.





- **الكلمات المكنونة**: ويشتمل على المعارف الدينيّة وكلمات العرفاء[١]، يقارب أربعة آلاف وأربع مئة بيت[٢]. صُنِّفَ في سنة سبع وخمسين بعد الألف[٣]، وهو مطبوع[٤].

- **الكلمات المخزونة**: المنتزعة من الكلمات المكنونة[٥]، يقارب ألفًا وسبع مئة بيت[٦]، فرغ من كتابتها في سنة ١٠٨٩ه [٧]، وهي مطبوعة[٨].

- **الكلمات الطريفة**: يشتمل الكتاب على منشإ اختلاف الأمّة المرحومة[٩]، فرغ منه في سنة ١٠٦٦ه[١٠]، وهو مطبوع[١١].

- **الكلمات المضنونة**: يشتمل على بيان التوحيد في ثمان مئة بيت صُنّف في سنة تسعين وألف[١٢]، وهو مطبوع[١٣].

---

(١) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٨، ص١١٩.

(٢) ينظر: **روضات الجنّات**، ج٦، الأصفهاني، ص٨٥.

(٣) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١١٩.

(٤) طُبِعَ بترجمة السيّد عليّ عاشور وتحقيقه.

(٥) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٨، ص١١٩.

(٦) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١١٩.

(٧) ينظر: الذريعة، الطهراني، ج١٨، ص١١٩.

(٨) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج٣، تصحيح عليّ رضا اصغري ومهدي حاجيان، إشراف محمّد الإمامي الكاشاني، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ص٢١-١٣٢.

(٩) ينظر: **روضات الجنّات**، الأصفهاني، ج٦، ص٨٥.

(١٠) ينظر: الذريعة، الطهراني، ج١٨، ص١١٧.

(١١) طُبِعَ بإشراف المدرسة العليا للشهيد المطهّري في طهران.

(١٢) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١١٩.

(١٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.





- **الكلمات السرّيّة:** يشتمل على الأدعية المنتزعة من أدعية المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[١] في ثلاث مئة وثلاثين بيتًا[٢]، وقد فرغ منه سنة ١٠٨٨هـ.

- **اللآلئ:** رسالة تشتمل على طائفة من الكلمات المكنونة، وهي مطبوعة[٣].

- **المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء:** يعني تهذيب كتاب **إحياء علوم الدين**، للغزالي، عن بعض الزوائد والأخبار[٤]، وقع الفراغ منه سنة ستّ وأربعين بعد الألف[٥]، وهو مطبوع[٦].

- **الحقائق:** كتاب في أسرار الدين ومكارم الأخلاق، وهو ملخّص عن **المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء**[٧]. جمع فيه أسرار الدين من كتاب اللّه وسنّة نبيه وأحاديث آله[٨]. فرغ منه في سنة ١٠٩١هـ[٩]، هو مطبوع[١٠].

---

(١) ينظر: الفيض الكاشاني، محسن: **مجموعة رسائل**، ج٣، ص٢٣٥-٢٩٢.

(٢) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٨، ص١١٥.

(٣) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج٣، ص١٣٥-٢٣٤.

(٤) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢، ص١٤٥.

(٥) ينظر: **روضات الجنّات**، الأصفهاني، ج٦، ص٨٥.

(٦) لقد تكـرّرت طبعات هذا الكتاب، فاعتمد الباحث النسـخة الصادرة عن مؤسّسـة الأعلمي للمطبوعات في بيروت.

(٧) ينظر: **روضات الجنّات**، الأصفهاني، ج٦، ص٨٥.

(٨) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٧، ص٢٨.

(٩) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١١٩.

(١٠) طُبِعَ بتحقيق اللجنة العلميّة في مكتبة بارسا وتعليقها في قم سنة ٢٠٠٨.

- **مرآة الآخرة**: كتاب في حقيقة الجنّة والنار، ووجودهما الآن، ومحلّهما في الدنيا[١]، وقد صُنِّفَ في سنة أربع وأربعين بعد الألف[٢]، وهو مطبوع[٣].

- **آينه شاهي**: وهي رسالة بالفارسيّة انتخبها من **ضياء القلب**[٤]، تقارب ثلاث مئة بيت. فرغ منها سنة ستّ وستين بعد الألف[٥].

- **منهاج النجاة**: كتاب يشتمل على بيان العلم الذي طلبه فريضة على كلّ مسلم، صُنِّفَ سنة اثنتَين وأربعين بعد الألف [٦]، وهو مطبوع [٧].

- **المشواق**: رسالة بالفارسيّة في تهييج الشوق والمحبّة للّه والأُنس به في ثلاث مئة وستين بيتًا[٨].

- **إثبات الحركة الجوهريّة**: وهي رسالة صغيرة بالفارسيّة في إثبات الحركة الجوهريّة، وهي مطبوعة[٩].

---

(١) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢٠، ص٢٦٠.

(٢) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٠.

(٣) طُبِعَ مؤخّرًا في بيروت بتحقيق السيّد عليّ عاشور.

(٤) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١، ص٥٣.

(٥) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٤.

(٦) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٢.

(٧) طُبِعَ بتحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسّسة البعثة في طهران وتعليقه سنة ١٤٠٧هـ.

(٨) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج١، ص٢١٣-٢٢٧.

(٩) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢١، ص٦٧.





٣. آثاره في مجالات متعدّدة كالشعر وغيره

وللفيض الكاشاني مؤلّفات في مجالات أخرى غير ما مرّ نذكرها هنا:

- **الأحجار الشداد**: وهي رسالة تحت عنوان **الأحجار الشداد والسيوف الحداد في إبطال جواهر الأفراد**[١]، في مئتَي بيت[٢]، غير مطبوعة[٣].

- **الاعتذار**: يشتمل على شرح بعض أحواله، بما فيها الاعتذار لابتلائه بالوقوع في المهالك، وكذلك يشتمل على نصائح لأبناء الزمان، ولا سيّما السالكين منهم، في ثلاث مئة بيت[٤].

- **أعمال الأشهر الثلاثة**: كتاب بالفارسيّة، في مكتبة محمّد عليّ الخوانساري منه نسخة، كما يذكر صاحب **الذريعة**[٥].

- **أجوبة المكتوبات**: وهي رسالة تتضمّن أجوبة مكتوبات وسؤالات منتزعات من كتب العلماء وأهل المعرفة وأشعارهم[٦].

- **الأمالي**: ينقل عنه الأمير محمد أشرف تلميذ العلامة

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٤.

(٢) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٥٨ (المقدّمة).

(٣) في مكتبة المرعشي النجفي في قم منه نسخة مخطوطة، ينظر: **فهرس مخطوطات الفيض الكاشاني**، بإشراف محمود المرعشي النجفي ومحمّد حسين أميني، ٢٠٠٨، ص١٧.

(٤) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢، ص٢٢٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٤٤.

(٦) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٥.





المجلسي في كتابه **فضائل السادات**، وهو مطبوع[١].

- **آداب الضيافة:** منظوم فارسيّ ذكره صاحب **الذريعة** وقد عدّه من مصنّفات الفيض الكاشاني[٢].

- **أهمّ ما يُعمِل به:** يشتمل على مهمّات ما ورد في الشريعة من العمل في الليل، والنهار، والأسبوع، والسنة، في خمس مئة بيت[٣].

- **بيان أخذ الأجرة على الواجبات:** وهي رسالة في حكم أخذ الأجرة على العبادات والشعائر الدينيّة. تقارب المئة وخمسين بيتًا[٤]، وهي مطبوعة[٥].

- **ترجمة خبر معلّى بن خنيس:** وهي رسالة بالفارسيّة فيها شرح لحديث معلّى بن خنيس عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في خواص عيد النوروز والأسماء الثلاثون لأيّام الشهر حسب ما كان متداولًا عند الفرس قبل الإسلام[٦]، وهي مطبوعة[٧].

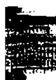
- **أنموذج أشعار أهل العرفان:** في التوحيد في سبعين غزلًا[٨].

- **تسهيل السبيل في الحجّة:** في انتخاب كشف المحجّة للسيّد

---

(١) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢، ص٣١٢.
(٢) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١، ص٢٤.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٨٤.
(٤) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٥.
(٥) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **الرسائل الفقهيّة**، ص٢٤١-٢٥٤.
(٦) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢٤، ص٣٨٠.
(٧) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة** رسائل، ج١، ص١٦٩-١٩١.
(٨) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢، ص٤٠٣.





ابن طاووس العلويّ، يقارب التسع مئة بيت[١]، وهو مطبوع[٢].

- **آب زلال**: رتّبه على جرعتَين، في كلّ جرعة ثلاثة أنفاس، الجرعة الأولى في الخطاب مع اللّه، والثانية في الخطاب مع النفس[٣].

- **ديوان الفيض الكاشاني**: وهو ديوان بالفارسيّة مرتّب على حروف القوافي في الغزل في ٤٣٦ صفحةً[٤]، وهو مطبوع[٥].

- **الخطب**: تشتمل على مئة خطبة ونيّف لجمعات السنة والعيدَين[٦]. فرغ من جمعها في سنة ١٠٧٠ه[٧]، وهي غير مطبوعة[٨].

- **تنفيس الهموم**: عدّه صاحب **الذريعة** من مثنويات الفيض الكاشاني[٩].

- **دهر آشوب**: وهي مجموعة قصائد فارسيّة من شعره، أوردها

---

(١) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢١.
(٢) طُبِعَ بتحقيق حامد الخفاف في العام ١٩٩٣.
(٣) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٩، ص١٠٣.
(٤) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٩، ص٤٣١.
(٥) طُبِعَ حديثًا في مؤسّسة بيمان في طهران، سنة ١٣٩٠ش من دون مقدّمة المؤلّف.
(٦) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٢.
(٧) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٧، ص١٨٥.
(٨) بحوزة الباحث نسخة من هذه المخطوطة.
(٩) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٤، ص٤٥٩.





في فهرس مصنّفاته،كما يذكر صاحب **الذريعة**[١].

- **التسنيم**: من شعر الفيض الكاشاني، ذكره في فهرس تصانيفه، كما جاء في **الذريعة**[٢].

- **ألفت نامه**: وهي رسالة تشتمل على ترغيب الإخوان في التآلف، والتآنس، وبيان ما به يُتَوَسّل إلى ذلك، وآدابه، وشروطه في مئتَي بيت[٣]، وهي مطبوعة[٤].

- **شوق العشق**: انتزعه الفيض الكاشاني من ديوانه **كلزار قدس** كما يذكر صاحب الذريعة[٥].

- **شرح الصدر**: رسالة تشتمل على مجمل ما مضى عليه من الحالات والنوائب في عمره من أيّام ظعنه وإقامته. وقد صُنّفت في سنة خمس وستين وألف[٦]، وهي مطبوعة[٧].

- **شوق المهدي**: غزليّات بالفارسيّة في ظهور المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ والشوق إليه (عجّل اللّه تعالى فرجه)[٨]، وهي مطبوعة[٩].

---

(١) المصدر نفسه، ج١٩، ص١٨٢.

(٢) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٤، ص١٨١.

(٣) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٤، كذلك ينظر: الذريعة، الطهراني، ج٢، ص٢٩٣.

(٤) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج٤، ص٢٧٥- ٢٩٣.

(٥) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٤، ص٢٤٧.

(٦) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٦.

(٧) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **مجموعة رسائل**، ج١، ص٩٣-١٣٩.

(٨) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٤، ص٢٤٧.

(٩) ينظر: **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٦٨ (المقدّمة).





- **شوق الجمال**: انتزعه من ديوانه **كلزار قدس**[١].

- **السلسبيل**: من أشعاره، كما ورد في فهرس مصنّفاته، وكما يذكر صاحب **الذريعة**[٢].

- **غنية الأنام في معرفة الساعات والأيّام**: ويُسمَّى أيضًا **من لا يحضره التقويم**[٣]، وهو مطبوع[٤].

- **معيار الساعات**: وهو يشبه **غنية الأنام** إلّا أنّه بالفارسيّة[٥].

- **منتخب الأوراد**: يشتمل على الأذكار والدعوات المتكرّرة في اليوم، والليلة، والأسبوع، والسنة، يقارب خمسة آلاف بيت[٦]. فرغ منه سنة سبع وستين وألف[٧].

- **منتخب الفتوحات المكيّة**: منتخب لبعض أبوابه في أربعة آلاف بيت، كما ورد في فهرس مصنّفاته[٨].

- **وصف الخيل**: كتاب بالفارسيّة في ذكر ما ورد من اتّخاذ الخيل، ومعرفتها، وعلاماتها عن الأئمّة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[٩].

---

(١) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج١٤، ص٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١٢، ص٢١٥.

(٣) **الذريعة**، الطهراني، ج١٦، ص٦٥.

(٤) طُبِعَ مؤخّرًا، ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد بن المرتضى: **غنية الأنام في معرفة الساعات والأيّام (من لا يحضره التقويم)**، تحقيق الشيخ ماجد بن أحمد العطيّة، دار الراية البيضاء (بغداد)، والدار البيضاء (بيروت)، ط١، ٢٠١٢.

(٥) ينظر: **لؤلؤة البحرين**، البحراني، ص١٢٥.

(٦) المصدر نفسه، ص١٢٢.

(٧) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢٢، ص٣٧٦.

(٨) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢٢، ص٤١٨.

(٩) ينظر: **الذريعة**، الطهراني، ج٢٥، ص٩٨.



فرغ منه سنة ١٠٦٧هـ[١].

- **فهرست تصانيف الفيض:** كتبه بنفسه في ذكر تصانيفه، وعدد أبياته، وتاريخ فراغها[٢].

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) المصدر نفسه، ج١٦، ص٣٧٩.



الفصل الثاني

الآراء الفلسفية عند الفيض الكاشاني

أولًا: الوجود والمعرفة

التمهيد

قبل الخوض في المباحث الفلسفيّة وآراء الفيض الكاشاني في الفلسفة، من المفيد الإشارة إلى المصادر التي منها ثقافته، وهي على النحو الآتي:

١. الفلسفة اليونانيّة

من عناصر التواصل الفكريّ بين الحضارات تبرز الترجمة التي اختصرت البعد المكانيّ والزمانيّ بين الثقافات والمشارب المتعدّدة، والتي عزّزت فهم مدى التطوّر الحضاريّ الحاصل. فالثقافة اليونانيّة قد ملأت الدنيا بالأفكار الفلسفيّة التي نهلت منها الأمم والحضارات الأخرى. وكان تأثيرها واضحًا حتى بالفلاسفة المسلمين أنفسهم، أمثال الفارابي، وابن سينا، وصدر الدين الشيرازي، وصولًا إلى الفيض الكاشاني الذي نجده قد استعان بالفلاسفة اليونانيّين في العديد من كتبه.

وأنا أرى أنّ تناول الفيض الكاشاني مواضيع الفلسفة اليونانيّة يشير إلى ما يلي:

١- معرفته بالتراث الفلسفيّ اليونانيّ.

٢- نقده بعض آراء القدماء أو تقبّلها.

وتجدر الإشارة إلى أمرَين. أوّلًا، إنّما يأتي حديثنا عن القدماء عند الفيض الكاشاني لتوضيح ظروف عصره، وثقافته، ومصادر معرفته. ثانيًا، لا يعني اقتصارنا على بعض الأفكار أنّه لم يتطرّق إلى غيرها، بل سوف نتحدّث عن ذلك في الفصول المقبلة. ومن أهمّ الفلاسفة اليونانيّين الذين كان لهم حضور في فلسفة الفيض الكاشاني:

أ. طاليس (٦٣٤ق.م. - ٥٤٣ق.م.)

ينقل الفيض الكاشاني كلامًا حول وجود صانع لهذا العالم، إذ يقول: «قال تالس [طاليس] الملطي، وهو أوّل من تفلسف بالملطيّة، بعدما قدم إليها من مصر، إنّ للعالم مبدعًا لا تدرك صفته العقول من جهة هويّته، وإنّما يُدرَك من جهة آثاره، وإبداعه، وتكوينه للأشياء»[١].

وفي المسألة نفسها يقول طاليس: «إنّ القول الذي لا مردّ له هو أنّ المبدع كان ولا شيء مُبدَع، فأبدع الذي أبدع ولا صورة له عنده في الذات؛ لأنّه قبل الإبداع إنّما هو فقط، وإذا كان هو فقط فليس يقال -حينئذٍ- جهة وجهة، حتّى يكون هو وصورة، أو حيث وحيث، حتّى يكون هو ذو صورة، والوحدة الخالصة تنافي هذَين الوجهَين، والإبداع هو تأييس ما ليس بشيء، وإذا كان هو مؤيّس الآيسات، فالتأييس لا من شيء يتقادم، فمؤيّس الأشياء لا يحتاج

---

(١) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٤٨٥.





[إلى] أن تكون عنده صورة الأيس بالأيسيّة»[١].

وينقل الفيض الكاشاني كلامًا آخر لطاليس، فيقول: «لكنّه عنده العنصر الذي فيه صور الموجودات، والمعلومات كلّها، فانبعثت منه كلّ صورة موجودة في العالم، على المثال الذي في العنصر الأوّل، وهو محلّ الصور، ومنبع الموجودات، وما من موجود في العالم العقليّ والعالم الحسيّ إلّا وفي ذات العنصر صورة ومثال عنه»[٢].

ويؤيّد الفيض الكاشاني ما أورده طاليس في هذا النصّ من خلال نقله كلام الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيقول: «ويشهد لقوله هذا [طاليس] ما نقلناه فيما [في ما] سبق عن مولانا زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البرّ والبحر، وإنّه تأويل قوله (عزّ وجلّ): ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[٣]، هذا إن أُريدَ بالعرش العلم أو الملك دون الجسم»[٤].

ب. فيثاغورس

ينقل الفيض الكاشاني عن فيثاغورس كلامًا حول عروجه إلى العالم العلويّ، يقول: «وحُكِيَ عن بعض الحكماء المتقدّمين أنّه عرج بنفسه

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) سورة **الحجر**، الآية ٢١.

(٤) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٤٨٦.

إلى العالم العلويّ، فسمع بصفاء جوهر نفسه وذكاء قلبه، نغمة الأفلاك، وأصوات حركات الكواكب، ثم رجع إلى البدن، ورتّب عليه الألحان والنغمات، وكمّل علم الموسيقى»[١].

وفي موضع آخر يستشهد الفيض الكاشاني بكلام لفيثاغورس، إذ يقول: «وفي كلام فيثاغورس - وهو من أعاظم الحكماء الأقدمين - أنّك ستعارض لك في أفعالك، وأقوالك، وأفكارك، وسيظهر لك من كلّ حركة فكريّة، أو قوليّة، أو عمليّة صورة روحانيّة وجسمانيّة. فإن كانت الحركة غرضيّةً أو شهويّةً، صارت مادة لشيطان يؤذيك في حياتك، ويحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك. وإن كانت الحركة عقليّةً، صارت ملكًا تلتذّ بمنادمته في دنياك وتهتدي به في آخرتك إلى جوار اللّه ودار كرامته»[٢].

وبغضّ النظر عن فهم الفيض الكاشاني لحقيقة فيثاغورس، تشير إشاراته إلى معرفته بأهمّ الآراء الفيثاغوريّة، ومنها صفاء الجوهر، ونغمات الأفلاك، وحركة الكواكب، ورجوع البدن، والألحان، وغيرها.

ج. سقراط (ت ٣٩٩ق.م.)

وهو أستاذ أفلاطون، وأحد أهمّ الفلاسفة الكبار. ونجد تأثّر الفيض الكاشاني به واضحًا، لا سيّما في مسألة ارتكاب الكبائر الأخلاقيّة

---

(١) ينظر: **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٢٦٨.

(٢) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص٤١.





التي لعلّها تُنسَب إليه. فيقول الكاشاني: «وعن سقراط، معلّم أفلاطون الإلهيّ، أنّه قال: وأمّا الذين ارتكبوا الكبائر، فإنهم يُلقَون في طرطاوس ولا يخرجون منه أبدًا. وأمّا الذين ندموا على ذنوبهم مدّة عمرهم وقصرت آثامهم عن تلك الدرجة، فإنّهم يُلقَون في طرطاوس سنةً كاملةً حتّى تنفذ [تنفد]، ومن ثّم يلقيهم الموج إلى موضع ينادون منه خصومهم يسألونهم الإحضار على القصاص لينجوا من الشرور، فإن رضوا عنهم، وإلّا أُعيدُوا إلى طرطاوس، ولم يزل ذلك دأبهم إلى أن يرضى عنهم خصومهم. والذين كانت سيرتهم فاضلة يتخلّصون من هذه المواضع من هذه الأرض، ويستريحون من المجالس، ويسكنون الأرض النقيّة»(١).

ثمّ يوضح الفيض الكاشاني معنى «طرطاوس» الذي ورد ذكره في كلام سقراط فيقول: «قال المترجم: «طرطاوس شقّ كبير، وأهوية يسيل إليها الأنهار، على أن يصفه بما يدلّ على التهاب النيران فيه»»(٢).

وإذا تغاضينا عن طريقة تأويل الفيض الكاشاني للنصّ الذي أخذه عن سقراط، تدلّ هذه النصوص على توظيفه لآراء القدماء في آرائه وثقافته.

د. أفلاطون (٤٢٧ق.م.- ٣٤٧ق.م.)

ونلحظ تأثّر الفيض الكاشاني بأفلاطون أيضًا، لا سيّما في مسألة

---

(١) المصدر نفسه، ص١٥.

(٢) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص١٥-١٦.

وجود صانع للعالم، وذلك من خلال نقله كلام أفلاطون في هذه المسألة، فيقول: «وقال أفلاطون الإلهيّ، المعروف بالتوحيد والحكمة، من اليونانيّين، إنّ للعالم صانعًا، مبدعًا، محدثًا، أزليًّا، واجب بذاته، عالمًا بجميع معلوماته على نعت الأسباب الكليّة، كان في الأزل، ولم يكن في الوجود رسم ولا طلل الأمثال عند الباري (جلّ اسمه)، وربما يُعبَّر عنه بالعنصر الأوّل»[١].

وقد نُقِلَ عنه، كما يقول الفيض، أنّه كان يحيل وجود حوادث لا أوّل لها[٢]، ويعلّل الفيض الكاشاني سبب ذلك، فيقول: «لأنّك إذا قلت: «حادث»، فقد أثبتّ الأوليّة لكلّ واحد، وما يثبت لكل واحد يجب أن يثبت للكلّ»[٣].

هـ. أرسطو (٣٤٠ق.م.-٣٢٢ق.م.)

لعلّ أرسطو له النصيب الأكبر من التأثير بالفيض الكاشاني الذي نقل عنه في موارد عدّة. ومن الأمور التي نقلها عنه قاعدة الإمكان الأشرف، إذ يقول الفيض: «ومن القواعد المقرّرة، الكثيرة الفوائد، قاعدة الإمكان الأشرف الموروثة من بعض أكابر القدماء»[٤]، إشارةً إلى أرسطو. ويوضح الفيض الكاشاني معنى هذه القاعدة بقوله: «إنّه لا يجوز أن يوجد الممكن الأخسّ، إلّا وقد وُجِدَ الممكن الأشرف

---

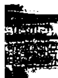
(١) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٤٨٦.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٣٦.





قبله، وإلّا لم يبق للصانع جهة خلق الأشرف، فإذا فرض الأشرف موجودًا، استدعى جهة أشرف ممّا عليه الصانع»[١].

وفي موضع آخر، ينقل الفيض الكاشاني كلامًا لأرسطو، وقد أسماه هذه المرّة «صاحب **أثولوجيا**»، فيقول: «قال «صاحب **أثولوجيا**» لمّا كان من شأن الجسم أن يتفرّق ويتقطّع، فلا يجوز أن يكون هو علّة لوحدانيّة ذاته واتّصالها، فلو لم يكن له نفس تحفظ وحدانيّته واتّصاله، لم يثبت على حال واحد»[٢].

كما ينقل كلامًا آخر لأرسطو، فيقول: «من وراء هذا العالم سماء، وأرض، وبحر، وحيوان، ونبات، وناس سماويّون، وكلّ من في ذلك العالم سماوي، وليس هناك [وما من] شيء أرضيّ، والروحانيون الذين هناك ملائمون للأنس الذين هناك، لا ينفر بعضهم عن بعض، وكلّ واحد لا ينافر صاحبه، ولا يضادّه، بل يستريح إليه»[٣].

ويذكر الفيض الكاشاني أرسطو في مواضع عدّة[٤] تعبّر عن شدّة تأثّره بهذا الفيلسوف الذي أقام دعائم الفلسفة التي ما زال الفلاسفة، حتّى هذا اليوم، ينهلون منها.

---

(١) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٦٢.

(٤) يراجع: **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص١٦٣، ص٤٨٦- ٤٨٧، ص٤٢٥، ص٥٢٦؛ وكذلك **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص٣٢٧





و. جالينوس (١٢٩م-١٩٩م)

وهو من الأطّباء المشهورين. استفاد منه الفيض الكاشاني حين تطرّق إلى مسألة البدن، إذ يقول: «وعدد كلّ ما في البدن من العضلات خمسمائة [خمس مئة] وتسع وعشرون عضلةً، على رأي جالينوس»[1]. وكذلك تطرّق إلى رأي جالينوس في مسألة النفس، وتجرّدها، وتجسّمها[2].

٢. الفلسفة الإسلاميّة

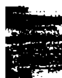
بعد أن تكلّمنا عن الحضارة اليونانيّة، ومدى تأثيرها بالفلاسفة المسلمين، نلحظ أنّ الفلاسفة المسلمين اضطلعوا ببعد معرفيّ. فطوّروا ما جاءت به تلك الفلسفات السابقة بواسطة الدين الإسلاميّ، الذي أغنى الكثير من الأفكار الفلسفيّة، وعزّز قدرة الفلاسفة المسلمين على فهم الكثير من المسائل بعمق ودقّة، وابتكار المسائل الجديدة. هذا كلّه ساعد الفيض الكاشاني على أن ينهل من هذه الأفكار التي طورّها الفلاسفة المسلمون. وكان للفلسفة المشرقيّة دور بارز عند الفيض الكاشاني، لا سيّما فلسفة إخوان الصفا وابن سينا.

---

(١) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٣٥٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٥٢.





أ. إخوان الصفا

كما تأثّر الفيض الكاشاني بجانب آخر من الفلسفة المشرقيّة متمثّل بفلسفة إخوان الصفا، إذ نجد أنّه استعان بآرائهم في مواضع عدّة.

قال الفيض الكاشاني: «وأمّا إخوان الصفا (قدّس اللّه أسرارهم)، فقد ذكروا في رسائلهم ما حاصله: «إنّ الأفلاك كلّها إنّما تتحرّك من المشرق إلى المغرب، لأنّ طبيعة الأفلاك والكوكب كلّها طبيعة واحدة في الحركة الدوريّة، وقصدها قصد واحد، وإنّما اختلفت حركاتها في السرعة والإبطاء من أجل أنّها في أفلاك متحركات ومحرّكات، فإن الفلك المحيط، الذي هو المحرّك الأوّل عن الحركة الأولى، التي هي من النفوس الكلّيّة، يدور حول الأرض في كلّ أربعة [أربع] وعشرين ساعة...»»(١).

وأمّا في مسألة المذاهب، والأديان، والاختلاف بينها، فيستند الفيض الكاشاني إلى كلام إخوان الصفا، وذلك جليّ في قوله: «قال صاحب كتاب إخوان الصفا - وهو من حكماء الشيعة - في «رسالة بيان اللغات» من كتابه: «اختلفت المذاهب، والآراء، والديانات، والاعتقادات فيما [في ما] بين أهل دين واحد ورسول واحد لافتراقهم في موضوعاتهم، واختلاف لغاتهم، وأهوية بلادهم، وتباين مواليدهم، وآراء رؤسائهم، وعلمائهم الذين يُحزّبونهم ويخالفون بينهم طلبًا لرئاسة الدنيا...»»(٢).

---

(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٢٨٨.

(٢) **الأصول الأصيلة**، الفيض الكاشاني، ص٢١٥، وكذلك يراجع: **سفينة النجاة**، الفيض الكاشاني، ص١٠٨.





والفيض الكاشاني كان بحوزته كتاب بعنوان **منتخب رسائل أخوان الصفا**، يحوي أبرز رسائل إخوان الصفا التي يبلغ عددها إحدى وخمسين رسالةً، كما يظهر من مؤلّفاته.

ب. ابن سينا (٩٨٠م-١٠٢٧ م)

إذا نظرنا في كتب الفيض الكاشاني، نلحظ تأثّره بالفيلسوف ابن سينا، وذلك لاستعراضه آراء ابن سينا وتبنّيها. فمثلًا حين يتطرّق الفيض الكاشاني إلى مسألة اللذّة والألم، يستشهد بكلام ابن سينا إذ يقول:

«قال في **الإشارات**: «وقد يمكن أن ينبّه من جملتهم من له تمييز ما، فيقال له، أليس ألذّ ما تصفونه من هذا القبيل هو المنكوحات، والمطعومات، وأمور تجري مجراها، وأنتم تعلمون أن المتمكّن من غلبة ما، ولو في أمر خسيس كالشطرنج والنرد، قد يعرض له مطعوم ومنكوح فيرفضه لما يعتاضه من لذّة الغلبة الوهميّة... فإذا كانت اللذات الباطنة أعظم من الظاهرة، وإن لم تكن عقليّة، فما قولك بالعقليّة؟»»[1].

وأمّا في مسألة الجوهر والعرض، ولا سيّما حين يتطرّق إلى أصول الأعراض، يذكر الكاشاني تعريفًا لـ«الملك» وذلك بقوله: «هيئة تحصل للشيء بسبب ما يحيط به»[2]، ثم يذكر كلام ابن سينا حول هذه المفردة فيقول: «قال صاحب الشفاء: «أمّا أنا فلا أعرف هذه المقولة حق المعرفة...»»، وقال في **الشفاء**: «ولم يتّفق لي إلى

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٦-٦٧.

(٢) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص١٣٠.





هذه الغاية فهمها، ولعلّ غيري يفهمها فيتأمّل ذلك في كتبهم»[١].

ويستشهد الفيض الكاشاني بكلام ابن سينا، لا سيّما في كتابه **النجاة**، حين يتطرّق إلى مسألة الأبخرة واحتباسها في داخل الأرض، فيقول: «وقال في **النجاة**: «وهذه الأبخرة إذا نبعت عيونًا أمدّت البحار بصبّ الأنهار إليها، ثمّ ارتفعت من البحار، والبطائح، والأنهار، وبطون الجبال خاصّةً أبخرة أخرى، ثم قطرت ثانيًا إليها، فقامت بدل ما تحلّل منها على الدور دائمًا»»[٢].

وكذلك حين يتعرّض إلى مسألة انبعاث العيون من الأرض الصلبة أو في جوار أرض صلبة، يقول الفيض الكاشاني: «قال في **الشفاء**: وإذا تتبّعت الأودية المعروفة في العالم، وجدتها كلّها منبعثةً من عيون جبليّة»[٣].

ج. الغزالي (١٠٥٨م-١١١١م)

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ أحد أهم كتب الفيض الكاشاني، الذي أصبح مرجعًا في الأخلاق، هو كتاب **المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء**. ومن المعلوم أنّ هذا الكتاب هو تهذيب لكتاب الغزالي **إحياء علوم الدين** - وهو من أعظم مؤلفات الغزالي - عن بعض الزوائد والأخبار التي قد لا تتلائم مع عقيدة الكاشاني.

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٣٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٢٤.





يقول الفيض الكاشاني في مقدّمة كتابه **المحجة البيضاء**: «وكان كثير من مطالبه [الغزالي]، خصوصًا ما في فنّ العبادات منها، مبتنيًا على أصول عاميّة فاسدة، ومبتدعات لأهل الأهواء كاسدة. وكان أكثر الأخبار المرويّة فيه مستندة عن [إلى] المشهورين بالكذب والافتراء على اللّه ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ممّن لا وثوق بأقوالهم»(١).

ويقول أيضًا: «وكان فيه من الحكايات العجيبة والقصص الغريبة المرويّة عن الصوفيّة ما لا يتلقّاه أكثر العقلاء بالقبول، لبعدها عن ظواهر العقول مع قلّة فائدتها، ونزارة عائدتها، إلى غير ذلك من الأمور التي كان يشمئزّ عنها [منها] قلوب أهل الحقّ من الفرق الناجية الإماميّة»(٢).

وكانت الغاية من تهذيب كتاب الغزالي، إحياء علوم الدين، ما وضّحه الفيض الكاشاني بقوله:

«[...] فرأيت أن أهذّبه تهذيبًا يزيل عنه ما فيه من الوصمة والعيب، وأبني مطالبه كلّها على أصول أصيلة محكمة لا يتطرّق إليها شكّ ولا ريب، وأضيف إليها في بعض الأبواب ما ورد عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وشيعتهم في ذلك الباب من الأسرار والحكم المختصّة بهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»(٣).

وفي ما يتعلّق بمدى تأثّر الكاشاني بالكتاب، فهو يعدّه من

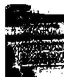
---

(١) الفيض الكاشاني، محمّد بن المرتضى: **المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء**، المجلّد الأوّل، صحّحه وعلّق عليه عليّ أكبر الغفاري، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص٣١.

(٢) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، المجلّد الأوّل، ص٣١.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢.





أشهر كتب الغزالي، إذ يقول:

«فإنّه [...] اشتهر في الأقطار اشتهار الشمس في رائعة النهار، واشتمل من العلوم الدينيّة المهمّة النافعة في الآخرة على ما يمكن التوصّل به إلى الفوز بالدرجات الفاخرة مع حسن البيان والتحرير»[١].

إنّ ما رأيناه من تهذيب هذا الكتاب، ونقده، وتحليله خير دليل على مدى تأثّر الفيض الكاشاني بالغزالي الذي ولد بطوس، وعاش بنيسابور، وتنقّل بين مكّة ودمشق. كما نلحظ تأثّر الفيض الكاشاني بالغزالي في عدد من كتبه، من قبيل كتاب **الأصول الأصيلة**[٢]، وكتاب **تسهيل السبيل بالحجّة**[٣]، وكتاب **علم اليقين**[٤]، وغيرها.

د. ابن عربي (١١٦٥م-١٢٤٠م)

ولم تخل كتب الفيض الكاشاني من كلام ابن عربي وآرائه أيضًا، بل اقتبس من كتبه الكثير. لذلك، كان يشير إلى ابن عربي تارةً بـ«العارف» وتارةً أخرى بـ«العارف المحقّق».

ومن مؤلّفات الفيض التي تحتوي على آراء ابن عربي كتاب **عين اليقين**[٥]، وكتاب **مرآة الآخرة**[٦]، وكتاب **ميزان**

---

(١) المصدر نفسه، ص٣١.
(٢) **الأصول الأصيلة**، الفيض الكاشاني، ص٢١٣-٢١٤.
(٣) **تسهيل السبيل بالحجّة**، الفيض الكاشاني، ص٣٦-٣٧.
(٤) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٢٧٥، ٢٧٨، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٦، إلخ.
(٥) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٣١، ٥٥، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٨، إلخ.
(٦) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص١٦، ١٨، ٥٢، ٧٢، ١٠٧، ١١١.





القيامة[١]، وكتاب **الكلمات المخزونة**[٢]، وكتاب **اللآلئ**[٣]، ورسالة **اللباب في علم الله تعالى**[٤]، وغيرها.

٣. مدرسة الحكمة المتعالية

إنّ أوّل من استعمل مصطلح «الحكمة المتعالية» هو الفيلسوف ابن سينا في كتابه **الإشارات**، حيث يقول «ثمّ إن كان ما يلوحه ضرب من النظر مستورًا إلّا على الراسخين في الحكمة المتعالية»[٥]. ويقول الطوسي في شرحه على **الإشارات**: «وإنّما جعل هذه المسألة من الحكمة المتعالية لأنّ حكمة المشّائين بحثيّة صرفة، وهذه وأمثالها إنّما تتمّ - مع البحث والنظر - بالكشف والذوق»[٦]. ويُطلَق اسم «الحكمة المتعالية» على المدرسة التي أسّسها وشيّد أركانها صدر

---

(١) **ميزان القيامة**، الفيض الكاشاني، ص٣٢، ٥٠.

(٢) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **الكلمات المخزونة**، مطبوعة ضمن مجموعة **رسائل الفيض الكاشاني**، ج٣، تصحيح وتحقيق علي رضا اصغري ومهدي حاجيان، بإشراف محمّد الإمامي الكاشاني، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ١٣٨٧، ص٨٨، ١٢٨، ١٢٩.

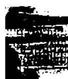
(٣) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **اللئالئ**، مطبوعة ضمن مجموعة **رسائل الفيض الكاشاني**، ج٣، ص٥١.

(٤) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: **اللباب في علم الله تعالى**، المطبوعة ضمن مجموعة **رسائل الفيض الكاشاني**، ج٣، ص٥.

(٥) ابن سينا: **الإشارات والتنبيهات**، القسم الرابع، مع شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق سليمان دنيا، مؤسّسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٣، ص١٢٢.

(٦) **الإشارات والتنبيهات**، ابن سينا، ص١٢٣.





الدين الشيرازي، وهي ما زالت قائمةً بفضل الفلاسفة المعاصرين الذين ينتمون إليها بشكل أو بآخر[١].

واستطاعت هذه المدرسة أن تعالج قضايا الكون المحوريّة بطريقتها الخاصة، وعلى ضوء الأسس التي أرستها[٢]. وكان صدر الدين الشيرازي قد ابتكر طريقةً فلسفيّةً جامعةً أحدثت انقلابًا فكريًّا في تاريخ الفلسفة والعلوم، فجمع بين الفلسفة والآراء الدينيّة من ناحية، وبين الفلسفة والعرفان من ناحية ثانية. كما دمج العناصر المشّائيّة، والإشراقيّة، والعرفانيّة، والدينيّة، وصيّرها فلسفةً متعاليةً بزغت من خلالها حضارة فكريّة وفلسفيّة جديدة[٣].

ولعلّ أهمّ ما تمتاز به مدرسة الحكمة المتعالية مسألة أصالة الوجود واعتباريّة الماهيّة. وقد استخدمت المدرسة هذه المسألة استخدمتها لحلّ الكثير من المشكلات الفلسفيّة التي كان لها نتائجها في مختلف أبواب الفلسفة. فهذه المسألة هي المفتاح في نظام الحكمة المتعالية، وقد تمكّن صدر الدين الشيرازي من خلالها من فتح الأقفال الفلسفيّة المغلقة، وكُتِبَ له في ذلك النجاح والتوفيق في الكثير من المجالات[٤].

---

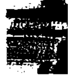
(١) نيكزاد، عبّاس: **التوفيق بين الدين والعقل في مدرسة الحكمة المتعالية**، ترجمة عليّ آل دهر الجزائري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ (سلسلة الدراسات الحضاريّة)، بيروت، ط١، ٢٠١٢، ص٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) ينظر: الشيرازي، صدر الدين محمّد بن إبراهيم: **مقدّمات وتعليقات مفاتيح الغيب**، ج١، تعليقات عليّ النوري، تقديم محمّد خواجوي، اعتنى بهفاتن محمّد خليل اللبون، مؤسّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ص٤٠-٤١.

(٤) ينظر: عبوديت، عبد الرسول: **النظام الفلسفيّ لمدرسة الحكمة المتعالية**، =





وإذا تتبّعنا مؤلّفات الفيض الكاشاني، نجد أن ّمنهجه يقوم على مجموعة من الأسس الفكريّة، أهمّها استحالة التناقض بين العقل والوحي. وهو يوافق في ذلك الكثير من الفلاسفة السابقين عليه، وعلى رأسهم أستاذه صدر الدين الشيرازي، الذي يعتقد أنّ رسالته تكمن في حلّ التناقضات التي قد تظهر لبعض الناس بين النصوص الدينية وبين البرهان العقليّ والكشف الشهوديّ[١].

بذل الفيض الكاشاني جهدًا كبيرًا في مجال العرفان وفي سلوك مراتب التصوّف، ولكنّه، مع ذلك، كان يراعي أصول الدين وموازين الشريعة، ولا يغفل عن واجباته الدينيّة. وكان يوصي دائمًا بالزهد، والتقوى، وعدم التعلق بالدنيا الفانية، والأخذ بالأمور الموجبة للفلاح في العالم الآخر. ولهذا، يمكن عدّ الفيض الكاشاني من الزهّاد والأتقياء المخلصين[٢].

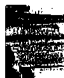
بمعنًى آخر، تأثّر الفيض الكاشاني بمدرسة الحكمة المتعالية وكانت آراؤه في الفلسفة والكلام توافق عقائد أستاذه صدر الدين الشيرازي. لذلك، يمكن عدّ الفيض الكاشاني أحد رجالات مدرسة الحكمة المتعالية الذي أخذ عطاءه منها ونهل من علومها.

= ج١، تعريب عليّ الموسوي، مراجعة الدكتور خنجر حميّة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ (سلسلة الدراسات الحضاريّة)، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص٧٩.

(١) ينظر: الفيض الكاشاني، محمّد بن مرتضى: **أصول المعارف**، تقديم محمّد حسن زراقط، **دار المعارف الحكميّة**، ٢٠١٠، ص٨ (المقدّمة).

(٢) ينظر: الفيض الكاشاني، محسن بن مرتضى: **نوادر الأخبار**، تحقيق مهدي الأنصاري القمّي، دار الأندلس بيروت/ النجف، ط١، ٢٠١٠، ص٢١ (المقدّمة).





الفلسفة والكلام عند الفيض الكاشاني

يقوم منهج الفيض الكاشاني على مجموعة من الأسس الفكريّة التي تبنّتها مدرسة الحكمة المتعالية، والتي تقوم على استحالة التناقض بين العقل والوحي، أو بين الحكمة والشريعة. فالكاشاني حاول التوفيق ما بين العقل والشرع، وسعى إلى الكشف عن الحقائق الإلهيّة مستعينًا بالعقل، كما يتّضح من خلال تسليط الضوء على جملة من مؤلّفاته.

وقد تبع، في ذلك، أستاذه صدر الدين الشيرازي، لأنّ مدرسة الحكمة المتعالية استطاعت أن تنفي التناقضات التي قد تظهر لبعض الناس بين النصوص الدينيّة من جهة، والبرهان العقليّ والكشف الشهودي من جهة أخرى.

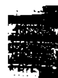
يستضيء الفيض الكاشاني بمشكاة أنوار سيّد المرسلين، ويقتفي آثار أهل بيت النبوّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كما يستفيد من مصنّفات علماء الشيعة الذين هم بتعبيره: «عبارة عن الخواص من أهل اللّه، المشايعين لهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في سلوك سبيل اللّه، علمًا وعملًا، الحافظين لأسرارهم، المطيعين لأوامرهم ونواهيهم، المستفيدين من علومهم، المستضيئين بأنوارهم»[١].

فالفيض الكاشاني، من خلال مؤلّفاته، يطرح آراءه الفلسفيّة أو الكلاميّة، على ضوء الآيات القرآنيّة والروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بالإضافة إلى المفاهيم التي تعلّمها من العلماء

---

(١) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٢٤.





السابقين عليه، والتي لا يحيد عنها قيد أنملة.

وللكاشاني رأي خاصّ حول الفلاسفة، والمتصوّفة، وعلماء الكلام. فقد انتقد من مزج الفلسفة بالكلام، وذلك بقوله:

«ومن الناس من خلط الفلسفة بالكلام، ومزج البرهان بالجدل. لم يحكم علمًا قطّ، ولم يأت بخير في عمل. تراه مرّةً برهانيًا، ومرّةً جدليًا... ينظر بعقله في أسرار الدين من غير تهذيب نفس وتطهير، ويتفلسف بفكره في المجادلين من دون تزكية قلب وتنوير، ثمّ يصحّح بنظره اعتقاده، وعلى تحذيقه يكون اعتماده، وإلى آرائه في الدين استناده، يميل حيثما مال هواه»[١].

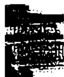
ثمّ إنّ الفيض الكاشاني يلوم ويذمّ من عكف على الفلسفة من دون أن يكون له إلمام بالشريعة المقدّسة. ويرى أنّ من يروم تعلّم الفلسفة عليه أن يتقن الشريعة، أصولها وفروعها، ويعي ما جاء به النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله في ذويه. وهذا ما نجده واضحًا من كلامه، إذ يقول:

«ومنهم من أولع النظر إلى كتب الفلاسفة؛ ليس له طول عمره همّ سواه، ولا يكون له في غير هواه من قبل أن يحكم علمًا شرعيًا أصليًّا أو فرعيًّا [...] كأنّه حسب أنّ العلوم الفلسفيّة أعلى من العلوم الدينيّة، أم حسب أنّهم حصّلوها بدون الرياضيات العمليّة. كلّا، إنّهم ما استفادوا [من] موادّها إلّا من الأنبياء، ولا نتائجها إلا بالمجاهدات الشرعيّة والعناء: ﴿أَفَمَن يَهْدِيَ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن

---

(١) **الكلمات الطريفة**، الفيض الكاشاني، ص١٩٩.





لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾»[١].

من هنا، تتّضح لنا أولويّة المصادر النصيّة على المصادر العقليّة، لأنّ الأنبياء هم أكثر دقّةً ويقينًا من الفلاسفة. والشيء الآخر الذي يُفهَم من كلام الفيض الكاشاني أنّ العقل والشرع متطابقان متلازمان. لذا، فهو يقول: «إنّ العقل لن يهتدي إلّا بالشرع، والشرع لن يتبيّن إلّا بالعقل. والعقل كالأسّ، والشرع كالبناء»[٢].

وقد أشار الفيض إلى هذه الحقيقية - الجمع بين العقل والشرع - بقوله:

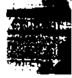
«إرادتي أن أجمع بين طريقة الحكماء الأوائل في المعارف والأسرار، وبين ما ورد في الشرع المبين من العلوم والأنوار فيما [في ما] وقع فيه الاشتراك، ليتبيّن لطالب الحقّ أنّ لا منافاة بين ما أدركته عقول العلماء العقلاء، ذوو [ذوي] المجاهدات والخلوات، أولو [أولي] التهيّؤ لوارادات ما يأتيهم في قلوبهم عند صفائها من العالم العلويّ، وبين ما أعطته الشرائع والنبوّات، ونطقت به ألسنة الرسل والأنبياء (صلوات اللّه عليهم)»[٣].

ومن خلال مؤلّفات الفيض، نجد أنّه اعتمد في منهجيّته في التأليف، لا سيّما في الفلسفة، والعرفان، والكلام، على أمور عدّة، أهمّها[٤]:

---

(١) **الكلمات الطريفة**، الفيض الكاشاني، ص١٩٧.
(٢) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٢٥.
(٣) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص١٥.
(٤) ينظر: **أصول المعارف**، الفيض الكاشاني، ص١٦.





١. الغنى والتنوّع في الاستدلال، وذلك باعتماده على بيانات حكميّة، وبراهين عقليّة، وأذواق كشفيّة، وشواهد فرقانيّة، وتأييدات نبويّة تشهد بها الطباع السليمة والأذواق المستقيمة، ويصدّقها نور الإيمان وصحّة الوجدان، ويراها أهل العرفان ببصيرة الإيقان.

٢. التوجّه إلى الهدف مباشرةً، وذلك باعتماده على مخّ العلم، ولبّ الحكمة، وزبدة نتائج الأفكار.

٣. الوسطيّة في الطرح، فكلّ موضوع له جامعيّته مع كامل الاختصار.



المبحث الأوّل



الوجود والماهيّة

١. الوجود لغةً واصطلاحًا

الوجود لغةً يأتي بمعنى «التحقّق، والحصول، والثبوت، والكون، وهو خلاف العدم»[١]. أمّا اصطلاحًا، فهو من المفاهيم البديهيّة في الفلسفة. والمفهوم البديهي هو المفهوم الذي لا يحتاج إلى توسّط شيء في معرفته. لذلك، إنّ مفهوم الوجود من أكثر المفاهيم وضوحًا وجلاءً، وهو غنيّ عن التعريف، بل لا يمكن تعريفه منطقيًّا. وبهذا الصدد، يقول صدر الدين الشيرازي: «إنّ التعريف إمّا أن يكون بالحدّ أو بالرسم، وكلا القسمَين باطل في الوجود». أمّا القسم الأوّل، فلأنّه إنّما يكون بالجنس والفصل، والوجود – لكونه أعمّ الأشياء – لا جنس له، فلا فصل له، ولا حدّ له. وأمّا الثاني، فلأنّه تعريف بالأعرف، ولا أعرف من الوجود».

وتبع الفيض الكاشاني أستاذه صدر الدين الشيرازي في مسألة كون الوجود لا يُعرَّف لا بالحدّ ولا بالرسم، إذ يقول: «من ثمّة، لا

---

(١) ابن منظور: **لسان العرب**، ج١٥، ضبط نصّه وعلّق عليه الدكتور خالد رشيد القاضي، دار صبح/إديسوفت، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص٢٢٣.

يمكن تصوّر الوجود بالحدّ، ولا بالرسم، ولا بصورة مساوية له»[١].

ويتّضح من خلال ما ذكره صدر الدين الشرازي وتلميذه الفيض الكاشاني أنّ الوجود لا ماهيّة له، والذي لا ماهيّة له لا يمكن تعريفه، لأنّ التعريف خال من الحدّ والرسم. لذلك، لا يمكن تصوّر مفهوم الوجود، «إذ تصوّر الشيء عبارة عن حصول معناه وانتقاله من حدّ العين إلى حدّ الذهن. وكلّ ما كان حقيقته أنّه في الأعيان، فيمتنع أن يكون في الأذهان، وإلّا لزم انقلاب الحقيقة عما كانت بحسب نفسها»[٢].

ولتوضيح ذلك، ذكر المناطقة أنّ التعريف الحقيقيّ يتأتّى عن قسمَي التعريف اللذَين هما الحدّ والرسم، واللذَين ينقسمان إلى تامّ وناقص. فأمّا الحدّ التامّ، فهو «التعريف بجميع ذاتيّات المعرَّف [...] ويقع بالجنس والفصل القريبَين»[٣]، كما لو قيل: «ما الإنسان؟» فيكون الجواب: «حيوان ناطق». فالحيوانيّة هي جنس للإنسان، والناطقيّة هي فصل له. وأمّا الحدّ الناقص، فهو «التعريف ببعض ذاتيّات المعرَّف [...]، ولا بدّ أن يشتمل على الفصل القريب على الأقلّ، ولذا سمّي ناقصًا. وهو يقع تارةً بالجنس البعيد والفصل القريب، وأخرى بالفصل وحده»[٤]، من قبيل قولنا: «ما الإنسان؟» فيكون الجواب «جسم نام» (ناقص). والرسم التامّ يكون بالجنس والخاصّة، كتعريف الإنسان بأنّه حيوان ضاحك. أمّا الرسم الناقص،

---

(١) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص١٦.

(٢) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٤٢.

(٣) المظفّر، محمّد رضا: **المنطق**، ج١، دار المتقين، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١١، ص٥٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٨٦.





فيكون تعريفه بالخاصّة وحدها، كتعريف الإنسان بأنّه ضاحك[١].

ويدلّ قول صدر الدين الشيرازي «ولا أعرف من الوجود» على أنّ الوجود ظاهر بنفسه، وغنيّ عن التعريف، لشدّة ظهوره ووضوح معناه، فلا يمكن تعريفه حقيقةً. وفي موضع آخر يقول: «وهو أبسط من كلّ متصوَّر وأوّل من كلّ متصوَّر»[٢]، وهذا يعني أنّه «لا يمكن تعريفه بما هو أجلى منه، لفرط ظهوره وبساطته»[٣].

كما يشير الفيض الكاشاني إلى حقيقة مهمّة يوافق فيها أستاذه على أنّ الوجود «بسيط من جميع الوجوه، إذ لو كان مركّبًا لكان محتاجًا، وكلّ من أجزاءه [أجزائه] محتاجًا له [محتاج إليه]، فيلزم تقدّم الشيء على نفسه»[٤].

كما أورد تعريفات للوجود من قبيل أنّه «الثابت العين»[٥] أو «الذي يمكن أن يخبر عنه»[٦] فهما عن طريق تعريف الاسم تعريفًا

---

(١) ينظر: الحيدري، كمال: **دروس في الحكمة المتعالية**، شرح كتاب بداية الحكمة، ج١، دار فراقد، مطبعة ستارة، ط٢، ١٤٢٤هـ، ص١٥٨.

(٢) الشيرازي، صدر الدين محمّد: **المبدأ والمعاد في الحكمة المتعالية**، ج١، تصحيح وتحقيق ومقدّمة الدكتور محمّد ذبيحي والدكتور جعفر شاهنظري، بإشراف محمّد خامنائي، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص١٩.

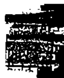
(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، تحقيق عليّ عاشور، ص٢٢.

(٥) التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله: **شرح المقاصد**، قدّم له ووضع حواشيه وعلّق عليه إبراهيم شمس الدين، المجلّد الأوّل، دار الكتب العلميّة، بيروت، منشورات محمّد عليّ بيضون، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٤٢.

(٦) الحلّي، **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**، صحّح هوقدّم له وعلّق علي هآية الله الشيخ حسن حسن زاده آملي، مؤسسة النشر الإسلاميّ، ط١٠، ١٤٢٥هـ، ص١٢٦.





لفظيًا. والتعريف اللفظيّ «يحصل ببيان لفظ من الألفاظ بواسطة لفظ آخر»[١] مرادف له، وهذا ما تكفّل به اللغويّون. أمّا التعريف الحقيقيّ، فهو شرح ذاتيّات المفهوم كما في الحدّ والرسم؛ والحدّ والرسم يتألّفان من الأجناس الثلاثة التي هي «الجنس، والفصل، والخاصّة». كما أنّ المقسَّم الذي يتفرّع عنه الجنس، والفصل، والخاصّة هو الماهيّة، في مقابل الوجود، فلا معرّف حقيقيّ للوجود[٢].

بذلك، يتّضح أنّ الوجود لا تعريف له، ويستحيل تعريفه بالحدّ والرسم، إذ إنّ الوجود لا يخضع للقوانين المنطقيّة المتعارف عليها في التعريف، وذلك لأنّ الوجود هو المُظهِر للأشياء، التي به تُعرَّف وتكتسب حقيقية التعيّن، سواءً كان ذلك في الخارج أو في الذهن. والوجود، كما يقول الحكماء، كالشمس ظاهر بذاته، مظهر لغيره، ولا شيء أعرف منه، وهو يُعرَف بديهيًّا. وكما قال صاحب المنظومة:

معرّف الوجود شرح الاسم   وليس بالحدّ ولا بالرسم[٣]

ويرى الفيض الكاشاني أنّ مفهوم الوجود يرتسم في النفس ارتسامًا أوّليًّا، لكونه أجلى المفاهيم وأظهرها، وأنّ ارتسامه في

---

(١) الطباطبائي، محمّد حسين: **بداية الحكمة**، شرح وتحقيق محمّد مهدي المؤمن، ج١، منشورات ذوي القربى، مطبعة سبهر، ط١، ١٤٢٢ هـ، ص٢٣.

(٢) الرفاعي، عبد الجبّار: **مبادئ الفلسفة الإسلاميّة**، ج١، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ص١٨١.

(٣) السبزواري، هادي: **شرح المنظومة في المنطق والحكمة**، ج١، تحقيق وتعليق محسن بيدار فر، انتشارات بيدار، مطبعة شريعت، قم، ط١، ١٤٢٨هـ، ص١٧٨-١٧٩.





النفس ليس حقيقة الوجود، وإنّما هو «وجه من وجوهه وعنوان من عنواناته»[١] و«حيثيّة من حيثيّاته»[٢].

٢. الماهيّة

عرّفها الجرجاني بقوله إنّها «ما به الشيء هو هو، وهي من حيث هي، لا موجودة ولا معدومة، ولا كلّيّ ولا جزئيّ، ولا خاصّ ولا عامّ»[٣]؛ أي إنّ الماهيّة - من حيث هي - لا كلّيّة ولا جزئية، ولا واحدة ولا متعدّدة. فالتعدّد من لواحق الواقع الخارجيّ، وجميع الأفراد المتحقّقة إنّما تشملها ماهيّة واحدة من دون لحاظ هذه الماهيّة في الذهن، سواء كانت متكثّرة أم لا. إذ ليس من شروط الماهيّة في الذهن أن تكون كذلك، وهي، وإن تحققت مصاديقها في الخارج وعقلت ذهنًا، فهي مجردة من التعدّد والتكثّر.

وقد عرّفها أرسطو بقوله: «هي مطلب ما هو، كسؤالك: «ما الخلاء؟»، فمعناه بحسب الاسم «ما المراد من الخلاء؟» أو كسؤالك: «ما الإنسان؟» فمعناه، بحسب الذات، «ما هي حقيقة الإنسان؟؟ ومطلب ما هو مقابل لمطلب هل هو، الأوّل يراد به الماهيّة، والثاني يراد به الجوهر»[٤].

---

(١) **أصول المعارف**، الفيض الكاشاني، ص١٣.

(٢) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٤٢.

(٣) الجرجاني، أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ الحسيني: **التعريفات**، وضع حواشيه وفهارسه محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩، ص١٩٥.

(٤) صليبا، جميل: **المعجم الفلسفيّ**، ج٢، منشورات ذوي القربى، مطبعة سليمان =





وهـي تُطلَق غالبًا على الأمـر الـذي يتعقّله الإنسـان، وهـو الحيوان الناطق، مع صرف النظر عن الوجود الخارجـيّ. لذا يقول الجرجاني «والأمـر المتعقَّل، من حيث أنّه مقول في جـواب «ما هـو؟»، يُسمَّى ماهيّةً، ومن حيث ثبوته في الخارج، يسمى حقيقةً، ومن حيث امتيازه عن الأغيار هويّةً»[١]. وبهذا الصدد، يرى العلّامة الحلّي أنّ هـذه اللفظة - الماهيّة- «إنّما تُطلَق، في الغالب من الاستعمال، على الأمر المعقول، وإذا لحظ مع ذلك الوجود قيل حقيقة وذات»[٢]. وقد تكون الماهية أعمّ من الحقيقة «لأنّ الحقيقة لا تُستعمَل إلّا في الموجودات، والماهيّات تُستعمَل في الموجودات والمعدومات»[٣]. وتُستعمَل هذه الكلمة بمعنيَين:

١. الماهيّة بالمعنى الأخصّ.

٢. الماهيّة بالمعنى الأعمّ.

أمّا **الماهيّة بالمعنى الأخصّ**، فهي «مشتقّة عمّا هو، وهي ما به يجاب عن السؤال بما هو»[٤]، ومثل هذه الماهيّة «قالب ذهنيّ كلّيّ للموجودات العينيّة، أو الحدّ العقليّ الذي ينعكس في الذهن من

= زاده، قم، ط١، ١٣٨٥ش، ص٣١٤.

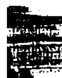
(١) **التعريفات**، الجرجاني، ص١٩٥.

(٢) **كشف المراد**، العلاّمة الحلّي، ص١٢٦.

(٣) النراقـي، محمّـد مهدي: **قرّة العيـون في الوجـود والماهيّة**، دراسـة وتحقيق وتعليق حسـن مجيـد العبيـدي، دار المحجّة البيضـاء، بيـروت، ط١، ٢٠٠٩، ص١٣٨.

(٤) الحلّـي، **غاية المرام فـي علم الكلام**، ج١، إشـراف جعفر السـبحاني، تحقيق فاضل العرفان، الناشـر مؤسّسـة الإمام الصادق (ع)، مطبعة اعتماد، قم، ط١، ١٤١٩هـ، ص١٦٢.





الموجودات المحدودة. ومن الطبيعي أنّها لا تُستعمَل إلّا في مورد الموجودات القابلة للمعرفة الذهنيّة»[١]. ومثال على ذلك أنّك إذا قلت: ««ما هو الإنسان؟»، فقد سألت عن حقيقته وماهيّته. فإذا قلت: «حيوان ناطق»، كان هذا الجواب هو ماهيّة الإنسان»[٢].

وأمّا **الماهيّة بالمعنى الأعمّ**، فيراد منها «ما به الشيء شيء ليشمل الواجب تعالى»[٣]؛ أي ما به يتحقّق الشيء. وهنا، أودّ أن أشير إلى مبحث ذكره صدر الدين الشيرازي في إثبات أصالة الوجود واعتبارية الماهيّة، إذ عاب على شيخ الإشراق السهروردي قوله بأصالة الماهيّة واعتبارية الوجود، معلِّلًا ذلك بالوجود الإلهيّ الذي لا ماهيّة له، كما ذكر الحكيم السبزواري في منظومته، «فالحقّ ماهيّته إنيّته إذ مقتضى العروض معلوليّته»[٤]. وهي التي لها جزئيّات متكثّرة من جهة التعيّن الخارجيّ، لكنّها متّحدة في الذهن. فمجموع الأفراد (زيد، عمر...) تجمعهم ماهيّة الإنسان عمومًا. أمّا الاتّحاد في الجنس، فهو يرتبط بالتعريف من جهة أنّ جميع الأنواع الواقعة تحت جنس الحيوان تكون داخلةً ضمنه، لكنّها مختلفة بالفصول المتنوّعة لكلّ حقيقة، «وبهذا الاصطلاح تكون شاملةً للماهيّة بالمعنى الأخصّ والموجودات [وللموجودات] التي لا ماهيّة لها»[٥].

---

(١) **دروس في الحكمة المتعالية**، كمال الحيدري، ج١، ص١٨٦.

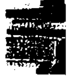
(٢) **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**، العلامة الحلّي، ص١٢٦.

(٣) الطهراني، هاشم الحسيني: **توضيح المراد: تعليقة على شرح تجريد الاعتقاد**، العلامة الحلّي، ج١، مطبعة المصطفوي، ص٦٧.

(٤) **شرح المنظومة**، هادي السبزواري، ج١، ص١٨٢.

(٥) **دروس في الحكمة المتعالية**، كمال الحيدري، ج١، ص١٨٦.





وتناول الفيض الكاشاني طبيعة الماهيّات بقوله: «الماهيّة لما وُجدَت شخصيّةً، وعُقلَت كلّيّةً، عُلِمَ أنّه ليس من شرطها أن تكون في نفسها كلّيّةً ولا شخصيّةً، ولا واحدةً ولا كثيرةً»[١]. ويرجع الكاشاني ذلك إلى أنّ الماهيّة الكليّة «ما لم تتشخّص ولم تصر جزئية، لم توجد في الحسّ ولا في العقل المشوب إلّا بنحو من الاعتبار»[٢]. والماهيّة: «قد تؤخَذ وحدها بأن يتصوّر معناها فقط بحيث يكون كلّ ما يقارنه زائدًا عليه، منقسمًا إليه؛ فإذا اعتبر المجموع من حيث المجموع، كانت الماهيّة جزءًا له، متقدّمةً عليه في الوجود، فيمتنع حملها عليه، لانتفاء شرط الحمل، وهو الاتّحاد في الوجود»[٣].

وقد «تؤخَذ من حيث هي هي، من غير اشتراط قيد عدميّ أو وجودي»[٤]. والماهيّة من حيث هي هي «إنّما هي في التصوّر لا في الخارج»[٥]. والماهيّة قد تكون غير متحصّلة في نفسها، فهي: «قابلة لأن تكون مشتركة بين أشياء متخالفة المعاني [...] وقد تكون متحصّلةً في ذاتها، غير مفتقرة إلى ما يحصّلها معنى معقولًا، بل تفتقر إلى ما يجعلها موجودة في الحسّ فقط، فهي في نفسها نوع، سواء كان بسيطًا أو مركّبًا»[٦].

والمحصّلة من ذلك كلّه أنّ الماهيّة، كما قيل، واقعة في جواب

---

(١) **أصول المعارف**، الفيض الكاشاني، ص٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٦

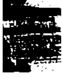
(٣) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٧٦

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) **توضيح المراد**، هاشم الطهراني، ج١، ص١٥

(٦) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٧٧





ما هو الشيء. وإذا عدنا إلى مفهوم الإمكان، سوف نلحظ أنّه استواء طرفَي النسبة بين الوجود والعدم، من دون أن يصحّ تقدّم أحدهما على الآخر. فلو تقدّم أحدهما على الآخر لحصل الانقلاب، وهذا ما سوف يأتي بيانه في مبحث أصالة الوجود واعتباريّة الماهيّة.

٣. قراءة فلسفيّة في أصالة الوجود واعتبارية الماهيّة

قبل الحديث عن رأي الفيض الكاشاني في أصالة الوجود واعتباريّة الماهيّة، يتوجّب قول إنّ مسألة أصالة الوجود واعتباريّة الماهيّة لم ترد مستقلّةً في كتب الفلاسفة المسلمين إلّا حينما ظهرت مدرسة الحكمة المتعالية على يد مؤسّسها صدر الدين الشيرازي. وهذه المسألة هي من المسائل المستحدثة في الفلسفة الإسلاميّة، فهي لم تُطرَح في فلسفة أرسطو، ولا في فلسفة الفارابي أو ابن سينا. بمعنًى آخر، لم تكن المسألة مطروحةً لديهم لكي يؤيّدوا أصالة الوجود واعتباريّة الماهيّة أو الطرح المقابل[١].

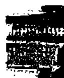
فأوّل من طرح هذه المسألة هو أستاذ صدر الدين الشيرازي، محمّد باقر الداماد، الذي كان يؤيّد القول بأصالة الماهيّة. وقد اقتفى أثره تلميذه صدر الدين الشيرازي، ثمّ رفض، بعد ذلك، أصالة الماهيّة، وأيّد أصالة الوجود. وكان ذلك من أهمّ إبداعاته الفلسفيّة[٢].

---

(١) ينظر: المطهّري، مرتضى: **بحوث موسّعة في شرح المنظومة**، ج١، ترجمة عبد الجبّار الرفاعي، انتشارات ذوي القربى، مطبعة شريعت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ص٥٥-٥٦.

(٢) ينظر: **مبادئ الفلسفة الإسلامية**، عبد الجبّار الرفاعي، ج١، ص١٩٨-١٩٩.





كما أنّنا لا نجد هذه المسألة معنونةً حتّى في كتب شيخ الإشراق، السهروردي. نعم، ذكر في كتابه **حكمة الإشراق** بحثًا تحت عنوان «حكومة في عدم زيادة الوجود على الماهيّة في الخارج»، ما يعني «أنّ الوجود والماهيّة في الخارج ليسا شيئَين اثنَين، حيث [إذ] افترض في البداية للماهيّة عينيّةً ولم يقل بعينيّة زائدة على عينيّة الماهيّة للوجود»[١]. لذا، اشتُهِر بين دارسي الفلسفة «أنّ القول بأصالة الوجود منسوب إلى المشّائين، والقول بأصالة الماهيّة منسوب إلى الإشراقيّين»[٢]. وأشار الآملي إلى هذه الحقيقة بقوله:

«إعلم أنّ أصالة الوجود واعتباريّة الماهية أمر أصيل قويم عند أساطين الحكمة ومشايخ العرفان قديمًا وحديثًا، إلّا أنّ الشيخ شهاب الدين السهروردي تفوّه أوّلًا بأصالة الماهيّة واعتباريّة الوجود، وعدم تحقّقه في الأعيان، وهو أوّل من أبدع تلك الشبهة»[٣].

وقد ذكر صدر الدين الشيرازي في **أسفاره** حقيقة هذا الأمر؛ أي نفي السهروردي تحقّق الوجود. ويرى الشيرازي أنّ شيخ الإشراق متمسّك بهذا الرأي، وينقل قوله «أنّ الوجود لو كان حاصلًا في الأعيان، فهو موجود، لأنّ الحصول هو الوجود، وكل موجود له وجود فلوجوده وجود إلى غير النهاية»[٤].

عودًا على بدء، يرى شيخ الإشراق السهروردي أصالة الماهيّة

---

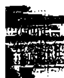
(١) **بحوث موسّعة في شرح المنظومة**، المطهّري، ج١، ص٥٧.

(٢) **مبادئ الفلسفة الإسلاميّة**، عبد الجبار الرفاعي، ج١، ص١٩٨-١٩٩.

(٣) السبزواري، هادي: **شرح المنظومة**، ج٢، علّق عليه حسن زاده آملي، تقديم وتحقيق مسعود طالبي، منشورات نشر ناب طهران، ١٣٨٤ ش، ص٦٦.

(٤) **الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة**، الشيرازي، ج١، ص٤٠.





دونًا عن أصالة الوجود، كما جاء على لسان الفلاسفة والمحقّقين. وهو أوّل من أثار هذه المسألة في الفكر الفلسفيّ الإسلاميّ. فشيخ الإشراق اهتمّ خاصّةً بمعرفة الاعتبارات، وعارض مسألة أصالة الوجود، ساعيًا إلى إبطالها عن طريق محاولة إثبات أنّ الوجود اعتباريّ[1]. وحتّى صدر الدين الشيرازي تأثّر، في بادئ الأمر، بأصالة الماهيّة، وقد سار على منهج السهروردي وأستاذه الداماد. وهو صرّح بهذه الحقيقة في كتابه **الأسفار**، إذ قال:

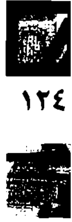
«وإنّي قد كنت شديد الذبّ عنهم في اعتباريّة الوجود وتأصّل الماهيّات حتى أن هداني ربّي، وانكشف لي انكشافًا بيّنًا أن الأمر بعكس ذلك؛ وهو أنّ الوجودات هي الحقائق المتأصّلة الواقعة في العين، وأن الماهيّات المعبَّر عنها في عرف طائفة من أهل الكشف واليقين بالأعيان الثابتة ما شمّت رائحة الوجود»[2].

ويُعدّ مبحث أصالة الوجود واعتبارية الماهيّة من أهمّ المباحث الفلسفيّة عند الشيرازي، وقد أصبح مرجعًا لحلّ الكثير من المسائل الفلسفيّة. ومن تلك المسائل: «مسألة العليّة وحقيقة علاقة المعلول بالعلّة [...] بالنسبة لعلّته [إلى علّته] المانحة للوجود، وعلى أساس ذلك تُحَلُّ كثير من المسائل المهمّة، من قبيل نفي الجبر والتفويض، وإثبات التوحيد الأفعالي و[...] مسألة الحركة الجوهريّة الاشتداديّة والتكامليّة، فإنّ تبنّيها متوقّف أيضًا

---

(١) ينظر: اليزدي، محمّد تقي مصباح: **المنهج الجديد في تعليم الفلسفة**، ج١، ترجمة محمّد عبد المنعم الخاقاني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٩٩٨، ص٣١٩.

(٢) **الحكمة المتعالية**، صدر الدين الشيرازي، ج١، ص٤٩.



على التسليم بأصالة الوجود»[١].

ويتوجّب علينا، لفهم رأي الكاشاني، التطرّق إلى آراء صدر الدين الشيرازي أوّلًا، لتبيان آرائه الفلسفيّة في هذا المجال.

٤. أدلّة الشيرازي على أصالة الوجود واعتبارية الماهيّة

استدلّ الشيرازي على أصالة الوجود واعتباريّة الماهيّة بعدّة أدلّة منها:

أ. الدليل الأوّل:

«لمّا كانت حقيقة كلّ شيء هي خصوصيّة وجوده التي [الذي] يثبت له، فالوجود أولى من ذلك الشيء، بل من كّل شيء، بأن يكون ذا حقيقة، كما أنّ البياض أولى بكونه أبيض ممّا ليس بياض ويعرض له البياض. فالوجود بذاته موجود، وسائر الأشياء، غير الوجود، ليست بذواتها موجودةً، بل بالوجودات العارضة لها، وبالحقيقة [بحقيقة] أنّ الوجود هو الموجود»[٢].

وهذا الدليل من أهمّ الأدلّة التي استخدمها الشيرازي لإثبات أصالة الوجود، وقد اعتمده عدد من الفلاسفة، كالطباطبائي في **نهاية الحكمة**. وتقرير هذا الدليل هو أنّ كلّ شيء لا يتّصف بالموجوديّة، ولا تكون له حقيقة خارجيّة، لا يمكن أن يكون له وجود

---

(١) **المنهج الجديد**، اليزدي، ج١، ص٣٢٦.

(٢) **الحكمة المتعالية**، الشيرازي، ج١، ص٣٨-٣٩.





إلّا إذا صار مصداقًا للوجود، وأنّ الشيء «إنّما ينال الواقعيّة إذا حمل عليه الوجود واتّصف به»[١].

ويمكننا، وجدانًا، ملاحظة أنّ الماهيّات لا يمكن أن تتّصف بالموجوديّة إلّا من خلال توسّط الوجود الذي يضفي عليها الواقعيّة العينيّة. ومن هنا قالوا: «إذا لم يكن الوجود موجودًا في الخارج، لزم عدم تحقّق أيّ واقعيّة من الواقعيّات في الوجود العينيّ. لكن ثبت بالضرورة والوجدان تحقّق تلك الواقعيات في الأعيان، فيبطل فرض عدم موجوديّة الوجود في الخارج»[٢].

وفي موضع آخر، يرى الشيرازي أنّ الوجود أحقّ الأشياء بالتحقّق لأنّ غيره يكون به متحقّقًا. ويقصد، بـ«غيره»، الماهيّات التي تتحقّق بتوسّط الوجود، «فهو الذي به ينال كلّ ذي حقّ حقيقته. فكيف يكون أمرًا اعتباريًّا كما يقول المحجوبون عن شهوده؟»[٣]

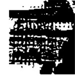
---

(١) الطباطبائي، محمّد حسين: **نهاية الحكمة**، صحّحهو علّق عليه الشيخ عبّاس عليّ الزراعي السبزواري، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ١٤٢٤ه، ص١٠.

(٢) الحيدري، كمال: **الفلسفة: شرح كتاب الأسفار**، ج٢، بقلم الشيخ قيصر التميمي، منشورات دار فراقد، قم، ط١، ٢٠٠٨، ص٣١٤.

(٣) الشيرازي، صدر الدين: **الشواهد الربوبيّة في المناهجالسلوكيّة**، مع حواشي الحكيم المحقّق الحاج ملّا هادي السبزواري، تعليق وتصحيح وتقديم السيّد جلال الدين الأشتياني، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م، ص٦.





ب. الدليل الثاني:

من الواضح أنّ الخارج والذهن، في قولنا «هذا موجود في الخارج» و«ذاك موجود في الذهن»، ليسا من قبيل الظروف، والأمكنة، والمحال؛ بل يعني كون الشيء في الخارج أنّ له وجودًا تترتّب عليه آثار وأحكام، وكونه في الذهن يناقض ذلك. فلو لم يكن للوجود حقيقةً غير تحصُّل الماهيّة، لما اختلف الخارج عن الذهن، وذلك محال، فالماهيّة قد تكون متحصّلةً في الذهن وغير موجودة في الخارج»[١]. من خلال هذا الدليل، يؤكّد الشيرازي أنّ الوجود الذهنيّ والوجود الخارجيّ متغايران في الآثار، وأنّ الماهيّة في الذهن عين الماهيّة في الخارج، واختلاف الماهيّتَين إنّما يكون بالوجود[٢]. ويرجع والاختلاف والتباين إلى ذات الوجودَين الذهنيّ والخارجيّ، وذلك لأنّ الوجود «لا ينتقل من نشأة إلى نشأة، وكذلك آثاره. فالخارجيّ خارجيّ أبدًا، والذهنيّ ذهنيّ أبدًا»[٣] خلافًا للماهيّات. فإنّ الثابت منها في الذهن ثابت في الوجود الخارجيّ أيضًا، فالماهيّة في الذهن عين الماهيّة في الخارج؛ وإنّما يكون الاختلاف والتغاير، كما ذكرنا، في الوجود الذهنيّ والخارجيّ. فلو لم يكن التغاير في الوجود

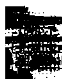
---

(١) الشيرازي، صدر الدين: **كتاب المشاعر**، مقدّمة هنري كوربان، ترجمة المقدمة ابتسام الحموي، تعليق وتصحيح فاتن محمّد خليل اللبون، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠ه، ص٦٢.

(٢) ينظر: الحيدري، كمال: **فلسفة صدر المتألّهين: قراءة في مرتكزات الحكمة المتعالية**، بقلم الشيخ خليل رزق، دار الصفوة، بيروت، ط١، ١٤٣١ه، ص١٥٤.

(٣) الآملي، حسن زاده: **النور المتجلّي في الظهور الظلّيّ: تحقيق أنيق حول الوجود الذهنيّ**، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨، ص١٨.





للزم أن يحترق الذهن بمجرّد تصوّر النار، على سبيل المثال[١].

من هنا، يتّضح أن الأصالة للوجود، والماهيّة اعتباريّة. فلو كانت الماهيّة أصيلةً ومنشأً لترتُّب الآثار، للزم احتراق الذهن بمجرّد إدراكه النار. ولأنّ الماهيّة ليست كذلك - أي ليست منشأً لترتّب الآثار - كان من المتعيَّن أن يكون الوجود هو المنشأ لترتُّب الآثار لما تبيّن من أصالته بحسب ما قدّمه صدر الدين الشيرازي من أدلّة، وحجج، وبراهين[٢].

٥. أدلّة الفيض على أصالة الوجود واعتباريّة الماهيّة

كما قلنا في مبحث سابق، إنّ الفيض الكاشاني هو من المتأثّرين بمدرسة الحكمة المتعالية التي أسّسها صدر الدين الشيرازي، بل هو أحد أتباعها. «وقد استخدم الفيض الكاشاني منهج الحكمة المتعالية بالمزج بين القرآن، والبرهان، والعرفان، لبناء مطالبه الفلسفيّة والكلاميّة»[٣]. فالوجود عند الفيض هو موجود، ولكنّ وجوده بالذات. أما ما وُجِدَ غير الوجود فسيكون وجوده زائدًا عليه، ويستدعي هذا «أن يكون له وجود قبل وجوده، لأنّ ثبوت شيء

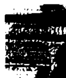
---

(١) المصدر نفسه، ص٢١.

(٢) ذكر صدر الدين الشيرازي عدّة أدلّة وحججعلى أصالة الوجود في جملة من كتبه. لمعرفة تفاصيل هذه الأدلّة، يراجع كتاب **الحكمة المتعالية**، ج١، ص٣٨؛ وكتاب **المشاعر**، ص٦٠ وما بعدها؛ وكتاب **الشواهد الربوبيّة**، ص٦ وما بعدها.

(٣) **علم الكلام عند صدر الدين الشيرازي: دراسة في الإلهيّات**، رياض سحيب، ص٤٦٤.





لشيء فرع لثبوت المثبَت له، أو جزءًا [جزء] له»[١]، وهو محال. أمّا بالنسبة إلى الماهيّة، فهي ليست موجودةً بالذات، بل بالعرض؛ أي بتبعيّة الوجود، لأنّ العقل ينتزع من الموجودات الممكنة معنًى غير الوجود، ومن شأنه أن يلاحظه وحده من غير ملاحظة الوجود، وعدم اعتبار الشيء ليس اعتبارًا لعدمه[٢].

هنا، يطرح الفيض الكاشاني سؤالًا مفاده: «لم لا يجوز أن تكون الماهيّة هي الأصل في التحقّق، ويكون الوجود معنًى اعتباريًّا منتزعًا منها، لا تأصّلًا لها؟» ويجيب:

«لأنّ الماهيّة، قبل انضمام الوجود إليها، أو اعتبار الوجود معها، أو صيرورتها بحيث يمكن انتزاع الوجود عنها، هي غير موجودة. وإنّها إذا اعتُبِرَت بذاتها، لا مع اعتبار الوجود، وإن كان بعد الوجود، فهي غير موجودة ولا معدومة، فإذًا لو لم يكن وجود، ولو بالاعتبار والانتزاع، لما وُجِدَت ماهيّة، وما لم توجد، لم يمكن ثبوت وجود لها، ولا انضمامه إليها، ولا اعتباره معها، ولا انتزاعه عنها، لأنّ ثبوت شيء لشيء، أو انضمامه إليه، أو اعتباره معه، أو انتزاعه عنه، أو ما شئت فسمّه، فرع لثبوت المثبّت له، والمنضمّ إليه، والمعتبَر معه، والمنتزَع عنه. وهذا، مع اشتماله على الدور الظاهر، مقتض لأن لا يوجد موجود أصلًا»[٣].

بمعنًى آخر، إنّ الماهية من حيث هي هي ليست إلّا هي، إذ إنّها ليست موجودةً ولا معدومةً، وإنّما توجد بتوسّط الوجود.

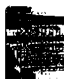
---

(١) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص١٤.

(٢) ينظر: **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٣٨

(٣) **أصول المعارف**، الفيض الكاشاني، ص٧-٨.





فهو يضفي عليها صفة الوجوديّة، مع اعتباره معها. وأمّا إذا اعتُبِرَت بذاتها، فهي غير موجودة. ويورد الفيض دليلًا آخر على اعتباريّة الماهيّة، فيقول: «لو كانت الماهيّة هي الأصل دون الوجود، وكان الوجود أمرًا اعتباريًّا، لم يبق فرق بين الوجود الخارجيّ والوجود الذهنيّ إلّا بحسب الاعتبار، دون صدور الآثار»[١]. ومن الأدلّة التي ساقها على أصالة الوجود، تقدّمه على الماهيّة، وتوضيح ذلك كما يلي:

«الماهيّات كلّها وجودات خاصّة في الواقع، عينًا وذهنًا، وإن كان المفهوم من الماهيّة غير المفهوم من الوجود في اعتبار العقل، فهما متحدّان اتّحاد الأمر العينيّ مع المفهوم الاعتباريّ؛ ولكلّ منهما تقدّم على الآخر، لا بمعنى التأثير، إذ لا معنى لتأثير الماهيّة في الوجود - وإلّا لزم أن تكون قبل الوجود موجودةً - ولا لتأثير الوجود في الماهيّة، لأنّها ليست مجعولةً ولا موجودةً في نفسها لنفسها. بل تقدّم الوجود عليها عبارة عن أصالته في التحقّق ومتبوعيّته لها. وتقدّمها على الوجود عبارة عن صحّة ملاحظة العقول إيّاها وحدها من غير ملاحظة الوجود - لا العينيّ ولا الذهنيّ - وبهذا الاعتبار يصير الوجود نعتًا لها، ويُحكَم عليه بأنّه زائد عليها؛ وإلّا فالحقيقة العينيّة ليست إلّا للوجود»[٢].

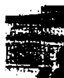
ومن الأدلّة الأخرى على أصالة الوجود هو الطرح التالي: كيف لا يكون للوجود حقيقة عينيّة وغير الوجود يكون متحقّقًا به؟ فمن خلال الوجود ينال كلّ ذي حقّ حقّه، «فهو أحقّ الأشياء بأن يكون

---

(١) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٣٩.

(٢) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص١٥-١٦.





ذا حقيقة، كما أنّ البياض أولى بأن يكون أبيض ممّا ليس ببياض، ويعرض له البياض. ومن هنا قيل «الوجود حقيقته أنّه في الأعيان، لا غير» وكيف لا يكون في الأعيان ما هذه حقيقته؟»[١].

ومن الملاحظ أنّ هذا نفس الدليل الذي اعتمده صدر الدين الشيرازي في إثبات أصالة الوجود كما أسلفنا سابقًا. والدليل الآخر على أصالة الوجود هو أنّ «الوجود نقيض العدم، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، والعدم لا تحقّق له في الأعيان أصلًا؛ فالوجود متحقّق فيها قطعًا»[٢].

هذه جملة من الأدلّة التي تثبت أنّ منشأ الآثار الخارجيّة هو نفس الوجود، وأنّ الماهيّة لا تحقّق خارجيّ لها، ولا يمكن أيضًا أن يكون الوجود زائدًا على الشيء كما في القاعدة المعروفة: «إنّ ثبوت الشيء للشيء فرع لثبوت المثبت له»[٣]، لأنّ الوجود إنّما هو ثبوت الشيء لا ثبوت شيء للشيء. لذلك، ليس الوجود زائدًا على الشيء، إذ لو كان كذلك، لتحقّق شيئان، أحدهما ثابت للآخر، وأحدهما علّة في وجود الآخر، وهذا غير ممكن[٤].

ومن هنا قيل: «إنّ العقل الصحيح الفطرة يشهد بأنّ الماهيّة إذا كانت موجودةً – بنفس وجودها لا قبل وجودها – بوجود آخر،

---

(١) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص١٥-١٦، يراجع وأيضًا: **أصول المعارف**، الفيض الكاشاني، ص٨.

(٢) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص١٥-١٦.

(٣) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٣٨، **وأنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص١٥، **وأصول المعارف**، الفيض الكاشاني، ص٧.

(٤) ينظر: **علم الكلام عند صدر الدين الشيرازي**، رياض سحيب، ص٤٧٦.





يكون الموجود بالذات وبالأصالة منهما لا محالة هو نفس الوجود، لا نفس الماهيّة»[١].

وهنا يتّضح أنّ الفيض الكاشاني هو من القائلين بأصالة الوجود واعتباريّة الماهيّة، وهو ينحى بذلك منحى مدرسة الحكمة المتعالية المتمثّلة بأستاذه صدر الدين الشيرازي، لا سيّما في المباحث الفلسفيّة.

٦. العلّة والمعلول

من الأمور العامّة والمعلومات الضروريّة مبدأ العلّة والمعلول، وهو من لواحق الماهيّة. وقد طُرِح هذا المبدأ على طاولة البحث الفلسفيّ منذ زمن أرسطو[٢]، وذُكِر في جميع المنظومات الفلسفيّة. ومفاد هذا المبدإ هو «إذا استتبع شيء شيئًا آخر، فالأوّل علّة، والثاني معلول، وبعبارة أخرى: إذا صدر شيء من [عن] شيء إمّا استقلالًا أو بانضمام، فالثاني علّة، والأوّل معلول»[٣]. وهذان المفهومان هما من أقسام الوجود عند صدر الدين الشيرازي[٤]، «فوجود العلّة يكون سببًا لوجود شيء آخر غيره [غيرها] في المرتبة

---

(١) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٣٩.

(٢) لمعرفة تفاصيل موقف أرسطو من مبدإ العلّة، يراجع: كرم، يوسف: **تاريخ الفلسفة اليونانيّة**، دار القلم، بيروت، ص١٣٧ وما بعدها.

(٣) الحلّي، مقداد بن عبد الله السيوري: **اللوامع الإلهيّة في المباحث الكلاميّة**، تعليق محمّد تقي المصباح اليزدي، تحقيق مجمع الفكر الإسلاميّ، قم، ط١، ١٤٢٤ﻫ، ص٧٣.

(٤) **الشواهد الربوبيّة في المناهج السلوكيّة**، صدر الدين الشيرازي، ص٦١-٦٢.



الوجوديّة من حيث القوّة والضعف، والتقدّم والتأخّر»[١]. والعلّة لا يجوز أن تكون نفس المعلول، لأن العلّة «متقدّمة على المعلول، والشيء لا يتقدّم على نفسه»[٢]. ويعرّف الفيض العلّة والمعلول كما يلي:

العلّة: «ما يجب الشيء بوجوده ويمتنع بعدمه»[٣].

المعلول: «ما يجب بوجوده الشيء ويمتنع بعدمه أو عدم شيء منه»[٤].

ويتّفق الفيض مع من سبقه من الفلاسفة على كون العلل أربعًا[٥]، اثنتان منهما علّتان للوجود، هما: العلّة الفاعليّة، والعلّة الغائيّة؛ واثنتان منهما علّتان للماهيّة، هما: العلّة الماديّة، والعلّة الصوريّة.

أمّا معنى هذه العلل بحسب فلسفة الكاشاني، فهو كما يلي:

---

(١) **علم الكلام عند صدر الدين الشيرازي**، رياض سحيب، ص٤٥.

(٢) الحلّي، جمال الدين مقداد بن عبد اللّه: **إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين**، تحقيق مهدي الرجائي، اهتمام محمود المرعشي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي العامّي، قم، ١٤٠٥ه، ص١٥٨.

(٣) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٩٣، وأيضًا **أصول المعارف**، الفيض الكاشاني، ص٩٥.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٥) تجدر الاشارة إلى أنّ أرسطو قد ردّ العلل إلى أربعة أقسام كما ورد أعلاه، واستفاد الفلاسفة الآخرون منه. ولمعرفة تفاصيل هذا التقسيم عند أرسطو، ينظر: فخري، ماجد: **تاريخ الفلسفة اليونانيّة**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص١٠٩.





أ. العلّة الفاعليّة: هي «ما به الشيء»، وهي «بداية للتغيير والسكون»، كالنجّار مثلًا إذا كان بنّاءً أو «كان علّةً للبيت بالعرض من حيث هو نجّار، وبالذات من حيث هو بنّاء»[١].

ب. العلّة الغائيّة: هي «ما لأجله وجود الشيء، كاستواء السرير»[٢]. وهذه العلّة «ثابتة لكلّ قاصد»[٣]، لأنّ كلّ فاعل بالقصد والإرادة «فإنّه إنّما يفعل لغرض وغاية ما، وإلا لكان عبثًا، على أنّ العبث لا يخلو من غاية»[٤]؛ أي إنّ هذه الغاية ترجع إلى الفاعل «فالنجار للسرير لأجل الجلوس، أو الباني للبيت لسكنى غيره [...] كلّهم إنّما فعلوا أفاعيلهم لأمر يرجع أخيرًا إلى نفوسهم»[٥]؛ أي إنّ العلّة الغائيّة «علّة فاعليّة لفاعليّة الفاعل»[٦].

ج. العلّة المادّيّة: «هي التي عنها الشيء، كالخشب للسرير، فهي التي يكون الشيء معها بالقوّة»[٧]، لأنّ مادّة السرير إنّما هي «حاملة إمكانه واستعداده، لا بما له صورة خشبيّة، بل بما له قوّة قبول أشياء كثيرة، منها السرير»؛ أي إنّها مادّة لها إمكانيّة الخشبيّة،

---

(١) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٩٣، وأيضًا **أصول المعارف**، الفيض الكاشاني، ص٩٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) **كشف المراد**، العلاّمة الحلّي، ص١٩٨.

(٤) حسنين، غلام: **عصمة العقائد من أخطائها في شرح كشف المراد وتجريد الاعتقاد**، ج١، منشورات مجمع الذخائر الإسلاميّة، مطبعة كوثر، قم، ط١، ١٤٢٧ه، ص٤٩٣.

(٥) **أصول المعارف**، الفيض الكاشاني، ص٦٦.

(٦) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٩٣.

(٧) **أصول المعارف**، الفيض الكاشاني، ص٦٥.





لا فعليّة صور العناصر، وهذه المادّة منشؤها النقص والقصور[١].

د. العلّة الصوريّة: «هي التي يلزم منها وجود الشيء، فمعها يكون الشيء بالفعل، كصورة السرير»[٢]. ويؤكّد الكاشاني أنّ العلّة الغائيّة هي عين العلّة الفاعليّة دائمًا، ماهيّةً ووجودًا، «غير أنّ نفس الغاية، وإن كانت متّحدةً مع العلّة الغائيّة في الماهيّة، لكنّهما مختلفتان في نمط الوجود ومرتبته»[٣]. ومن الأمثلة على ذلك أنّ الجائع «إذا أكل ليشبع، فإنّما أكل لأنه تخيّل الشبع فحاول أن يستكمل له وجود الشبع، فيصير من حدّ التخيّل إلى حدّ العين، فهو من حيث أنّه شبعان، تخيُّلًا، هو الذي يأكل ليصير شبعانَ وجودًا، بالشبعان [فالشبعان] تخيُّلًا هو العلّة الفاعليّة بما يجعله فاعلًا تامًّا، وهو بعينه العلّة الغائيّة»[٤]. ويظهر من ذلك اتّحاد العلّتَين - الفاعليّة والغائيّة - وجودًا وماهيّةً، لكن باعتبارَين مختلفَين، أي بكون الوجود العلميّ فاعلًا وعلّةً غائيّةً، وكون الوجود العينيّ غايةً. والعلّة الغائيّة «تتحقّق دائمًا في عالم الذهن في حين لا تظهر نفس الغاية إلّا في عالم الخارج»[٥].

---

(١) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٣.

(٣) الديناني، غلام حسين الإبراهيمي: **القواعد الفلسفيّة العامّة**، ج٢، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص٣٠٩.

(٤) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٩٥.

(٥) **القواعد الفلسفيّة**، الديناني، ج٢، ص٣٠٩.





٧. الحركة الجوهريّة

كان الفلاسفة قبل صدر الدين الشيرازي يقولون بحصول الحركة في الأعراض، ما يجعلهم متأثّرين بأرسطو. ولكن قبل الدخول في تفاصيل هذه المسألة، ينبغي لنا أن نعطي صورةً واضحةً وتعريفًا دقيقًا لمفهوم الحركة. والحركة «هي الخروج من القوّة إلى الفعل على سبيل التدريج؛ أي وقوع الشيء في زمان بعد زمان»[١]. وللحركة «وجود ضعيف تدريجيّ، بعضه سابق، وبعضه لاحق، وليس موجوديّتها في الخارج إلّا تحقّق حدّها فيه»[٢].

ومن المعروف أنّ الحركة تقع في الأعراض، أي إنّ الحركة «قد تكون في الكمّ، كالنموّ والذبول، والسمن والهزال، والتخلخل والتكاثف. وقد تكون في الكيف، كتسخّن الماء وتبرّده، وكانتقال الجسم من البياض إلى السواد على التدريج، وتُسمّى استحالةً. وقد تكون في الأين، كانتقال الجسم من أين إلى آخر تدريجًا، وتُسمّى نقلةً. وقد تكون في الوضع، كحركة الكرة في مكانها، فإنّ بها تختلف نسب أجزائها بعضها إلى بعض، وإلى الأمور الخارجة على التدريج. وقد تكون الحركة في الجوهر»[٣].

بمعنًى آخر، إنّ الحركة في الجوهر تعني وقوع الحركة في الجوهر، ولم يقل بها أرسطو حتّى[٤]، ولا ابن سينا، الذي يذهب

---

(١) سرور، إبراهيم حسين: **المعجم الشامل للمصطلحات العلميّة والدينيّة**، ج٢، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٩ه، ص٥٤٠.

(٢) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص١٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٥-١٤٦.

(٤) **الوجود والماهيّة**، النراقي، ص١٠٤.





إلى وقوع الحركة في الجوهر. والشيرازي صرّح بهذا الأمر فقال: «والمتأخرّون من الحكماء كأبي علي [ابن سينا] ومن يحذو حذوه مصرّون غاية الإصرار في [على] نفي هذه الاستحالة الجوهريّة»[١]. وتقوم نظريّة الحركة الجوهريّة على مبدإ أصالة الوجود المتحقّق في الخارج. أما الماهيّة، فهي ليست إلّا انتزاعًا عقليًّا من هذا الوجود، و«المتحرّك في الحركة الجوهريّة هو الوجود الشخصيّ للشيء. وللشخص أثناء تحرّكه حدود ومراتب تزول مع بقاء الشخص نفسه، والمتبدِّل إنّما هو خصوصيّات تلك الحدود، فموضوع الحركة لا يزول بحصولها»[٢].

ويرى الفيض الكاشاني أنّ الحركة الجوهريّة هي أساس معرفيّ قال به صدر الدين الشيرازي، وجعله من أقوال العارفين، كما جاء في قوله:

«وأمّا العارفون، فإنّهم يرون أن اللّه تعالى يتجلّى في كلّ نفس بالأسماء الجماليّة والجلاليّة معًا، فيخلع بالأولى على العالم خلعة الوجود، ويخلعها عنه بالثانية، بإرجاعه يّاه، بل برجوعه بنفسه إلى هلاكه الأصليّ، وبطلانه الذاتيّ، إذ كلّ شيء يرجع إلى أصله. وهكذا دائمًا، ففي كلّ آن هو في شأن، يذهبكم ويأت [ويأتي] بآخرين، وهو أحد معاني قوله تعالى ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ

---

(١) الشيرازي، صدر الدين محمّد بن إبراهيم: **أسرار الآيات**، تقديم وتصحيح محمّد خواجوي، دار الصفوة، بيروت، ط١، ١٤١٣ه، ص١٤٦.

(٢) الشافعي، حسن محمود عبد اللطيف: «نظريّة الحكمة الجوهريّة عند صدرا في سياق الفكر الإسلاميّ»، المطبوع ضمن كتاب **الملّا صدرا والفلسفة العالميّة المعاصرة**، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨ه، ص٢٩٥.





وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾»[١].

وفي **القرآن** إشارات كثيرة دلّت على ذلك، وفسّرها الفيض الكاشاني على أنّها ترتبط بهذه القاعدة الفلسفيّة، منها قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[٢]، وقوله ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٣]، وقوله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾[٤]، وقوله ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[٥].

ومعنى هذه الآيات أنّها ترتبط بمبدإ الخلق مع الآنات، فالعالم بمجموعه متغيّر، كما أشارت الآيات الشريفة: «وكلّ متغير يتبدّل مع الآنات، فيوجد في كلّ آن متعيّن غير المتعيّن الذي هو في الآن الآخر، مع أنّ العين الواحدة التي تطرأ عليها هذه التغيّرات بحالها، فالعين الواحدة هي حقيقة الحقّ المتعيّنة بالتعيّن الأوّل اللازم لعلمه بذاته، وهي عين الجوهر المعقول، الذي قبل هذه الصور المسمّاة عالمًا، ومجموع الصور أعراض طارئة متبدّلة في كلّ آنٍ، والمحجوبون لا يعرفون ذلك، فهم في لبس من هذا التجدّد الدائم في الكلّ»[٦].

وهذا الخلق الصادر في مقولة الجوهر متمثّل بلباس الحركة، كما جاء في تشخّصه، وتأصّله، وتعيّنه، في تغيّراته من حال إلى حال، و«الوجود الممكن هو المتشخّص، والمتأصّل، والمتعيّن

---

(١) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص٦٧.
(٢) سورة **الرحمن**، الآية ٢٩.
(٣) سورة **ق**، الآية ١٥.
(٤) سورة **البروج**، الآية ١٣.
(٥) سورة **النمل**، الآية ٨٨.
(٦) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص٦٧.

في الموجودات المحدثة، وهذا التعيّن للموجود الممكن إنما هو واجب له. ومعنى التعيّن هو نفس حدوث ظهور الوجود، وهو يوجد وينعدم ويوجد مرّةً أخرى في كلّ آن من الزمان، وهكذا فهو لا يبقى آنَين، بل يتبدّل مع الآنات. وهذا التبدّل والتغيّر (الحركة) حادثان متجدّدان في الذات (الجوهر)»[١].

وبهذا الصدد، يقول الفيض الكاشاني إنّ «الممكن هو الوجود المتعيّن [...] والتعيّن هو حدوث ظهور الوجود [...] فيمكن بالنظر إلى كل تعيّن حادث للوجود أن ينسلخ الوجود عنه، ويتعيّن تعيينًا آخر، وينعدم التعيّن الأوّل [...] والتحقيق أنّه لا يبقى آنَين، بل يتبدّل مع الآنات»[٢].

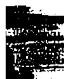
ويشير الفيض الكاشاني إلى معنى التجدّد والتبدّل في الجوهر، فيقول: «لمّا كانت الحركة والسكون من آثار الطبيعة، وقد تقرّر أنّ كلّ ساكن فمن شأنه أن يتحرك، فالطبيعة إذن محرّكة دائمًا، إمّا بالفعل، أو بالقوّة، فهي إذن أمر سيّال الذات، متجدّد الحقيقة؛ إذ لو لم يكن سيّالًا لم يمكن صور الحركة عنه، لاستحالة صدور المتجدّد عن الثابت»[٣].

من هنا، يظهر أنّ الطبيعة متغيّرة بالذات، ومتجدّدة بالحقيقة؛ أي إنّها تقتضي التجدّد والسيلان. وهي متغيّرة ومتجدّدة لأنّها إذا كانت ثابتةً لن تصدر الحركة منها، أو ستكون أجزاء الحركة منعدمةً. وأمّا أن يكون التغيّر ذاتيٌ للطبيعة، فذلك لأنّه إذا كان مستفادًا من

---

(١) **علم الكلام عند صدر الدين الشيرازي**، رياض سحيب، ص٤٧٧.
(٢) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٤٠-٤١.
(٣) المصدر نفسه، ص١٢٠.

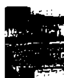




الغير، فسيؤدّي إلى التسلسل في المتغيّرات، أو سينتهي التغيّر إلى ذات مبدإ الكلّ (تعالى شأنه)، وكلاهما محال، أو سينتهي بمتغيّر بالذات وراء الطبيعة، ما يعني أن لا متغيّر آخر فوقه، لأنّ التغيّر مخصوص في هذا العالم الجسمانيّ الذي يقبل التغيّر بواسطة المادّة. فالتغيّر من دون مادّة لا يمكن تصوّره[1]. لذلك، نستنتج أنّ الفيض يتبنّى نظريّة الحركة الجوهرّية التي قال بها ونظّر لها الشيرازي.

---

(١) ينظر: الفيض الكاشـاني، المولى محسن: «إثبات الحركة الجوهريّة»، المطبوع ضمن **مجموعة رسـائل**، ج١، تصحيح وتحقيق بهراد جعفري، إشـراف محمّد الإمامي الكاشاني، منشورات مدرسة الشهيد مطهّري، طهران، ص٢٢٤.



نظريّة المعرفة

١. العقل

يحتلّ العقل مساحةً كبيرةً في الفكر الفلسفيّ، إذ إنّه حجر الأساس في بناء المنظومات الفكريّة عند بعض الفرق الإسلاميّة، لا سيّما المعتزلة[١] «فهؤلاء يقيسون كلّ شيء بالعقل، فضلًا عن قولهم بالنقل»[٢]. والعقل هو أحد المصادر المحوريّة في نظريّة المعرفة، ويتميّز عمله عن عمل الحسّ، إذ به يتوصّل الإنسان إلى المعرفة من خلال عمليّات فكريّة يضطلع بها، كالاستنتاج مثلًا[٣]. وجاء في سبب تسمية

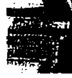
---

(١) المعتزلة هم جماعة من المتكلّمين الذين أقاموا مذهبهم على النظر العقليّ، فهم يؤوّلون تعاليم الدين تأويلًا يتّفق والعقل، على خلاف أهل السنّة الذين كانوا يأخذون بظاهر **القرآن** والحديث. ينظر: **الموسوعة الفلسفيّة المختصرة**، نقلها عن الإنجليزيّة فؤاد كامل وعبد الرشيد الصادق وجلال العشري، مراجعة وإشراف زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، ص٤٣٤.

(٢) **علم الكلام عند صدر الدين الشيرازي**، رياض سحيب، ص١٨٢.

(٣) الاستنتاجه و انتقال الذهن من قضيّة أو قضايا مسلّم بها إلى قضايا أخرى مترتّبة عليها، وهو ضربان: إمّا مباشر أو غير مباشر. وأكثرهما استعمالًا الاستنتاج المباشر الذي ينتقل فيه الذهن مباشرةً من قضيّة إلى أخرى. ينظر: مدكور، إبراهيم: **المعجم الفلسفيّ**، منشورات مجمع اللغة العربيّة، مصر، ١٩٨٣، ص١٣.





العقل عقلًا أنّه «يعقل صاحبه عن التورّط في المهالك أي يحبسه، وجمعه عقول»[١]، وهو الذي يميّز به الصواب من الخطإ، «ويُطلَق على أسمى العمليّات الذهنيّة، لا سيّما البرهنة والاستدلال»[٢]. وقد دعا **القرآن** الكريم إلى النظر العقليّ وإلى اعتماد العقل وسيلةً من وسائل المعرفة. فقد جاء في الكتاب العزيز جملة من الآيات الشريفة التي تحثّ الإنسان على **النظر العقليّ**، ومن هذه الآيات قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[٣] وقوله ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤].

وقد أولى فلاسفة الإسلام ومفكّريه العقل اهتمامًا بالغًا لأنّ **القرآن** الكريم دعا إلى اعتماده مصدرًا للمعرفة والنظر العقليّ، ما جعلهم يدافعون عنه، لا سيّما الفيلسوف ابن رشد[٥] الذي حاول الجمع بين العقل والشرع[٦]. وهؤلاء الفلاسفة ردّوا المعرفة إلى

---

(١) **لسان العرب**، مادّة عقل، ابن منظور، ج١١، ص٤٥٨.

(٢) جودة، ناجي حسين: **المعرفة الصوفيّة: دراسة في مشكلات المعرفة**، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٧ه، ص٢٤.

(٣) سورة **آل عمران**، الآية ١٩١.

(٤) سورة **الأعراف**، الآية ١٨٥.

(٥) ابن رشد (١١٢٦م-١١٩٨م) فيلسوف وعالم عربيّ عاش في إسبانيا إبّان الخلافة الإسلاميّة في قرطبة. وقد استطاع - من غير أن يتخلّى عن الديانة الإسلاميّة - أن يطوّر العناصر الماديّة في فلسفة أرسطو. وقد أدّت تعليقاته على أعمال أرسطو دورًا كبيرًا في تعريف الأوروبيّين إلى الفلسفة القديمة. ينظر: **الموسوعة الفلسفيّة**، روزنتال، يودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٤، ص٨.

(٦) يراجع: ابن رشد: **فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من اتّصال**، مركز دراسات الوحدة العربيّة، تقديم الدكتور محمّد عابد الجابري، =





العقل لأنّ المعرفة العقليّة «تمتاز بالضرورة والتعميم. ويراد بالضرورة أنّ المعرفة العقليّة صادقة وتوجب صدقها ضرورة عقليّة، وأنّ أحكامها وقضاياها صادقة على الدوام، صدقًا ضروريًّا محتومًا»[1]. أمّا التعميم فيراد منه أنّ الحكم يكون «صادقًا في كلّ زمان ومكان»[2]. وقد أخذ العقل عند الفيض الكاشاني حيّزًا كبيرًا واهتمامًا بالغًا في مؤلّفاته، إذ رأى المعرفة العقليّة إحدى أهمّ المعارف التي يتوصّل بها إلى اليقينيّات. وبالإضافة لما اعتمده الفيض من الآيات، فهو قد اعتمد أيضًا على روايات أهل البيت عليهم السلام في أهميّة العقل. وأورد جملةً من هذه الروايات في بعض مؤلفاته، لا سيّما في كتابه **نوادر الأخبار**. ومن هذه الروايات:

١. عن الصادق عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «خلق اللّه العقل فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل، فأقبل، ثمّ قال: ما خلقت خلقًا أحبّ إليّ منك»[3].

٢. وعن ابن عبّاس أنّه صلى الله عليه وآله قال: «أساس الدين بُنِيَ على العقل، وفُرِضَت الفرائض على العقل، وربّنا يُعرَف بالعقل»[4].

٣. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا

= بيروت، ط٤، ٢٠٠٧، ص٥٨ وما بعدها.

(١) الطويل، توفيق: **أسس الفلسفة**، دار النهضة العربيّة، القاهرة، ط٤، ١٩٦٤، ص٣٤٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) **نوادر الأخبار**، الفيض الكاشاني، ص٤٣.

(٤) **نوادر الأخبار**، الفيض الكاشاني، ص٤٥، وكذلك: النيسابوري، محمّد ابن الفتّال: **روضة الواعظين**، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩ه، ص٢٠.

عقل له»[١].

٤. وعن النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إنّ العقل عقال من الجهل»[٢].

وغيرها الكثير من الروايات الواردة في أهميّة العقل ودوره في بناء المنظومات المعرفيّة.

ويبيّن الفيض الكاشاني شرف العقل وأهميّته، وذلك بقوله: «إنّ أشرف المبدَعات هو العقل»[٣]. وفي موضع آخر يقول: «والعقل منبع العلم، ومطلعه، وأساسه، والعلم يجري فيه مجرى الثمرة من الشجرة، والنور من الشمس، والرؤية من العين، وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة؟»[٤] ومن الواضح أنّ كلام الفيض هذا في شرفيّة العقل ما هو إلا تأثّر بما ذكره الغزالي في كتابه، **إحياء علوم الدين**[٥]. ومما استدلّ به الكاشاني على شرفيّة العقل أيضًا ما ورد عن النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّه قال: «أوّل ما خلق اللّه العقل [...] ثمّ قال: «وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقًا أكرم عليّ منك، بك آخذ وبك أعطي، وبك أثيب وبك أعاقب»»[٦]. ويتبيّن من الحديث الشريف

---

(١) **نوادر الأخبار**، الفيض الكاشاني، ص٤٥، وأيضًا: **روضة الواعظين**، النيسابوري، ص٢٠.

(٢) **نوادر الأخبار**، الفيض الكاشاني، ص٤٥.

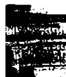
(٣) **أصول المعارف**، الفيض الكاشاني، ص١٣١.

(٤) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٤٩.

(٥) يراجع: الغزالي، أبو حامد: **إحياء علوم الدين**، ج١، ضبط نصّه وخرّج أحاديثه الدكتور محمّد محمّد تامر، منشورات مؤسّسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٢٤ه، ص١١٣.

(٦) الكليني، محمّد بن يعقوب: **أصول الكافي**، المجلّد الأوّل، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ه، ص٢٧، وكذلك: المفيد، محمّد بن =





أنّ العقل هو أوّل المخلوقات، وهو «أقرب المجعولات إلى الحقّ، وأعظمها، وأتمّها، وثاني الموجودات في الموجوديّة، وإن كان الأوّل تعالى لا ثاني له في حقيقته، لأنّ وحدته ليست عدديّة من جنس الوحدات. وهو المراد في ما ورد في الأحاديث عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من قوله في رواية: «أوّل ما خلق اللّه العقل»»[١].

كما أنّ هذا العقل هو النفس الناطقة التي هي «الجوهر المجرّد عن المادّة في ذاته»[٢]. وقد اعتبر الفيض الكاشاني أنّ العقل هو جوهر ملكوتيّ «خلقه اللّه من نور عظمته، وبه أقام السماوات والأرضين، وما فيهن وما بينهن من الخيرات، ولأجله ألبس الجميع حلّة الوجود»[٣].

وفي الوقت ذاته، قال الفيض الكاشاني إنّ هذا العقل بعينه «نور نبيّنا محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وروحه الذي تتشعّب منه أنوار أوصيائه المعصومين، وأرواح الأنبياء والمرسلين، ثم خلقت من شعاعها أرواح شيعتهم من الأوّلين والآخرين»[٤]. وهذا ما أشار إليه بعض العارفين حول حقيقة العقل بقول مطلق وهو «الحقيقة المحمديّة

= محمّد بن النعمان: **الاختصاص**، تحقيق عليّ أكبر غفاري، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٣٠ه، ص٢٣٧.

(١) الشيرازي، صدر الدين محمّد بن إبراهيم: **شرح أصول الكافي**، ج١، تحقيق وتصحيح محسن عقيل، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ١٤٣٢ه/٢٠١١م، ص٤١.

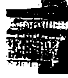
(٢) المازندراني، محمّد صالح: **شرح أصول الكافي**، ج١، تحقيق السيّد عليّ عاشور، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٩ه، ص٦٦.

(٣) **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، ص٤٠.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

الإلهيّة التي هي الصادر الأوّل في كلّ موجود»[1].





٢. أقسام العقل

قسّم الفلاسفة العقل إلى قسمَين، هما العقل النظريّ والعقل العمليّ. أمّا العقل النظريّ، فهو «القوّة التي تدرك القضايا الباحثة من الدوافع بما هو واقع، ولا ترتبط بعمل الفاعل المختار، شأنها الإدراك فقط، ولها رأس مال تنطلق منه البديهيّات أو الفطريّات، أو يصل منها الإنسان إلى النظريّات»[2].

وأمّا العقل العمليّ، فهو «القوة المدركة للقضايا التي ينبغي أن يقع العمل عليها تمييزًا له عن العقل النظري»[3]. ويعود أساس هذا التقسيم إلى عدّة اتّجاهات، وقد نظر بعض الباحثين[4] نظرةً شموليّةً إلى الاتّجاهات التي على أساسها قُسِمَ العقل إلى نظريّ وعمليّ.

أمّا الاتّجاه الأوّل، فيفيد بأنّ التنوع الحاصل في التقسيمات

---

(١) الهمداني، حسين: **الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة**، تحقيق وتعليق محسن بيدار فر، انتشارات بيدار، مطبعة شريعت، قم، ط١، ١٤٢٦ه، ص١٤٨.

(٢) السند، محمّد: **العقل العمليّ**، منشورات الاجتهاد، قم، ط١، ١٤٢٩ه، ص٣٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

(٤) يراجع: العسر، ميثاق: **العقل العمليّ في أصول الفقه: جذوره الكلاميّة والفلسفيّة**، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ، بيروت، ط١، ٢٠١٢، ص٢٩، وكذلك: الحيدري، كمال: **العقل والعاقل والمعقول، شرح نهاية الحكمة**، بقلم الشيخ ميثاق طالب، دار فراقد، قم، ١٤٣١ هـ، ص١٢٣.





مردّه إلى أنّ للعقل مدركات يرتبط بعضها ببعض على أساس معرفيّ وعقليّ، توصّلوا من خلاله إلى قول إنّ العقل النظريّ يستدعي العمل به، ما يولّد العقل العمليّ. فالعقل النظريّ متقدّم على العقل العملي على أساس أنّ النظر والفكر يتبعهما العمل والفعل، «وهذا الاتّجاه الذي اختاره جملة من الفلاسفة والأصوليّين كالفارابي، والسبزواري، والشيخ الأصفهاني، والشيخ المظفّر، والسيّد الصدر، ورجّحه الشيخ مهدي الحائري اليزدي، والشيخ مصباح اليزدي»[١]. وأمّا الاتّجاه الثاني، فينظر إلى الاختلاف الجوهريّ بين القوّة التي تدرك الأحكام النظريّة والقوّة التي تدرك الأحكام العمليّة، ويفصل أتباعه بين كلّ منهما، إذ إنّ أحكام العقل النظريّ هي أحكام كليّة. أمّا أحكام العقل العمليّ، فتتناول الجانب الجزئيّ، وقد تبنى هذا الرأي كلّ من الشيخ الرئيس ابن سينا في **الإشارات**[٢]، وصدر الدين الشيرازي في **الشواهد الربوبيّة**[٣]. وأمّا الاتّجاه الثالث، فهو الذي ساد عند جملة من الأعلام أمثال بهمنيار في **التحصيل**[٤]، والنراقي في **جامع السعادات**[٥]. ويذهب أصحاب هذا الاتّجاه إلى أنّ القوّة العمليّة «هي القوّة التي لا يوجد فيها [التي ما فيها من] إدراك

---

(١) **العقل العمليّ**، ميثاق العسر، ص٢٩، **والعقل والعاقل والمعقول**، كمال الحيدري، ص١٢٣.

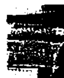
(٢) **الإشارات والتنبيهات**، ج٢، ص٣٨٧ وما بعدها.

(٣) **الشواهد الربوبيّة**، صدر الدين، ص١٩٩-٢٠٠.

(٤) المرزبان، بهمنيار بن: **التحصيل**، تصحيح وتعليق مرتضى المطهّري، انتشارات دانشكاه، طهران، ١٣٧٥ه، ص٧٨٩-٧٩٠.

(٥) النراقي، محمّد مهدي: **جامع السعادات**، ج١، تقديم الشيخ محمّد رضا المظفّر، علق عليه السيد محمّد كلانتر، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ط٧، ١٤٢٢ه، ص٧٨.





أصلًا، بل هي قوّة عمّالة ترتبط بتصريف الأمور، والإدراك منحصر بالقوّة النظريّة فقط، سواء أكان [كان] هذا الإدراك نظريًّا أم عمليًّا، كلّيًّا أم جزئيًّا، فلا يوجد أيّ [فما من] اشتراك بين هاتَين القوّتَين سوى أنّهما من قوى النفس البشريّة»[١].

ويتّفق الفيض الكاشاني مع من سبقه من الفلاسفة السابقين عليه من أنّ العقل ينقسم إلى نظريّ وعمليّ. ويدرك العقل النظريّ التصوّرات والتصديقات، ويعتقد الحقّ والباطل في ما يعقل ويدرك[٢]. أمّا العقل العمليّ، فهو الذي يستنبط الصناعات الإنسانيّة، ويعتقد الجميل والقبيح في ما يعقل ويترك[٣].

٣. مراتب العقل النظريّ

لكنّ الكاشاني يذكر أربع مراتب للعقل النظريّ، هي:

١. مرتبة العقل الهيولانيّ: وهي أولى مراتب العقل النظريّ. وهذه المرتبة تكون خاليةً من جميع المعقولات، وقد شبّه العقل بالهيولى «الخالية في نفسها عن [من] كافّة الصور القابلة لها، بمنزلة قوّة الطفل للكتابة [على الكتابة]»[٤]. وبهذه المرتبة، يتهيّأ الإنسان «لإدراك النظريّات وتدبير الصناعات»[٥]، وهذه المرتبة في

---

(١) **العقل العمليّ في أصول الفقه**، ميثاق العسر، ص٣٠-٣١.

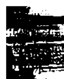
(٢) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٤١٧.

(٣) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٤١٧.

(٤) الشيرازي، صدر الدين محمّد: **شرح الهداية الأثيريّة**، ضبطوتصحيح محمّد مصطفى فولاذكار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ه، ص٢٤١.

(٥) الفيض الكاشاني، المولى محسن: **ضياء القلب**، تحقيق السيّد عليّ عاشور، =





قبولها للصور العقليّة «كالمادّة الأولى في قبولها للصور الحسّيّة»[١]؛ أي إنّها «قوّة محضة ليس لها جوهريّة ولا قوام بذاتها، ولا لها إدراك لذاتها»[٢]، وفي هذه المرتبة «نهاية عالم الجسمانيات، بل الخياليات أيضًا، في الكمال الحسّيّ، والخياليّ، وبداية عالم الروحانيّات في الكمال العقليّ»[٣]. فجوهريّة النفس في أوّل تكونها «كجوهريّة الهيولى، ضعيفة، شبيهة بالعرضيّة، بل أضعف منها لأنّها قوّة محضة»[٤].

٢. مرتبة العقل بالملكة: وهي المرتبة التي تصل فيها النفس إلى تعقّل المعقولات البديهيّة من التصوّرات والتصديقات، وهذه المرتبة «تشكّل ممرًّا وحيدًا وصراطًا مستقيمًا للوصول إلى النظريّات»[٥]، وهي درجة «إدراك الكلّيّات البديهيّة [...] والبداهة دومًا وجدانيّة، فلا تحتاج إلى برهنة على بداهة البديهيّ»[٦]. وإدراك هذه القوّة للمعاني العلميّة إنّما هو:

«شعاع عقليّ منزلته فيها منزلة ضوء الشمس من البصر، الذي هو بدونه باصر بالقوّة، فيحدث فيها عن رسوم المحسوسات

= مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ص٤٣.

(١) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٤١٩.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

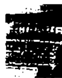
(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) مقدّمة وتعليقات **مفاتيح الغيب**: الشيرازي، ص٦٠٣.

(٥) الحيدري، كمال: **بحوث في علم النفس الفلسفيّ**، بقلم الشيخ عبد الله الأسعد، دار فراقد، قم، مطبعة ستارة، ط١، ١٤٢٤ه، ص١٥٤.

(٦) الفيّاض، غلام رضا: **علم النفس الفلسفيّ**، تأليف جعفر الحكيم، منشورات الأميرة، بيروت، ط١، ١٤٣٤ه، ص١٠٢.





التي هي معقولات بالقوّة، وكانت محفوظةً في خزانة المتخيّلة أوائل المعقولات التي اشترك فيها جميع الناس من الأوّليّات، والتجريبيّات، والمتواترات، والمقبولات، وغيرها»[١].

وفي هذه المرتبة، تكون الصور التي تحصل للإنسان، والتي منها، بالطبع، «تشوّق إلى استنباطات، ونزوع إلى بعض ما لم يكن تعقّله أوّلًا»[٢]. أمّا سبب تسمية هذا العقل بـ«العقل بالملكة»، ففيه وجهان:

أ. ما ذكره السبزواري في **منظومته** من أنّ سبب التسمية يعود إلى «رسوخ استعداد الانتقال إلى المعقولات في هذه المرتبة»[٣].

ب. ما ذكره الشيخ الآملي في تعليقته على **منظومة** السبزواري من أنّ سبب التسمية يعود إلى أنّ «العقل تلبّس في هذه المرتبة بالوجوديّات التي هي البديهيّات الستّ. وأمّا في مرتبة العقل الهيولاني فهو بالقوّة المحضة في الكلّيّات جميعًا، فكان بين المرتبتَين تقابل العدم والملكة، لأنّ قوّة الشيء عدمه»[٤].

٣. مرتبة العقل بالفعل: وفي هذه المرتبة، تكون النفس قد حصّلت المعقولات النظريّة؛ أي إنّ النفس، في هذه الحالة، قد وصلت إلى «مرحلة من الاشتداد بحيث تكون قادرةً على استنباط

---

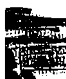
(١) **عين اليقين**، ص٤١٩.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) السزواري، هادي: **شرح المنظومة**، ج٢، تحقيق وتعليق محسن بيدار فر، انتشارات بيدار، قم، ط١، ١٤٢٨ه، ص٨١١.

(٤) السبزواري، هادي: **شرح المنظومة**، ج٥، تعليق حسن زادهالآملي، تقديم وتحقيق مسعود طالبي، نشر ناب، قم، ط١، ١٤٢٢ه، ص١٧٠.





النظريّات، وتعقّلها من البديهيّات، والاحتفاظ بها إلى حين الحاجة إليها، فإذا احتاجت إليها استحضرتها دون الحاجة لكسب [إلى كسب] جديد»[١]؛ أي تكون مخزونةً عندها غير مشاهدة لها، ونتيجةً لتكرارها للمعقولات، فإنّ النفس قد تحصل فيها «الحدود الوسطى، واستعمال القياسات، وخصوصًا البراهين والحدود، نور عقليّ، به تشاهد المعقولات المكتسبة، متى شاءت، من غير تجشّم، وتُسمَّى النفس عند ذلك، من حيث أنّ المعقولات حاصلة لها، عقلًا بالفعل»[٢]. وإنّ العقل، بعد تحصيل العلوم الحقيقيّة الباقية «وإحاطته بأعيان الموجودات على ما هي عليه، صار عقلًا بالفعل»[٣].

٤. مرتبة العقل المستفاد: هي المرتبة الأخيرة من مراتب العقل النظريّ، وهي المرتبة التي تصل فيها النفس إلى قدر من الشدّة والاقتدار «بحيث لا يغيب عن صفحتها شيء»[٤]، وسبب تسمية هذه المرتبة بالعقل المستفاد أنّه «مستفاد من العقل بالفعل، المسمَّى بروح القدس في لسان الشرع»[٥]. وهذا العقل «يعطي أصل الوجود لما دونه، وكمالات الوجود»[٦]. وغاية هذا العقل «خلق الإنسان»[٧]. والفيض الكاشاني يتّفق مع أستاذه

---

(١) كمال الحيدري، **العقل والعاقل والمعقول**، ص٢٢٦-٢٢٧.

(٢) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٤١٩.

(٣) **ضياء القلب**، الفيض الكاشاني، ص٤٣.

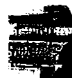
(٤) **بحوث في علم النفس الفلسفيّ**، كمال الحيدري، ص١٥٥.

(٥) **شرح الهداية الأثيريّة**، صدر الدين الشيرازي، ص٢٤٢.

(٦) **علم النفس الفلسفيّ**، غلام رضا، ص١٠٣.

(٧) **مفاتيح الغيب**، صدر الدين الشيرازي، ج٢، ص٦٠٩.





صدر الدين الشيرازي على أنّ غاية العقل المستفاد هو الخلقة: «إن بلغ كماله الأعلى، وإلّا فدونها كمالات»[١]، إذ قال الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ إلى قوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢]. وأمّا فيض النور العقليّ بالنسبة إلى العقل المستفاد فيكون «بتأييد من الحقّ سبحانه بتوسّط الملك العقليّ الذي هو ربّ نوع الإنسان»[٣] والذي سمّي في الشرع بـ«روح القدس». ومن هنا ورد في الحديث الشريف عن مولانا الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه سُئِلَ: «تُسألون عن الشيء فلا يكون عندكم علمه؟ قال: «ربّما كان ذلك»، قيل: «كيف تصنعون؟» قال: «يتلقّانا به روح القدس»»[٤].

٤. مراتب العقل العمليّ

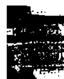
إنّ مراتب العقل العمليّ عند الفيض الكاشاني تُقسَم إلى أربع، هي:

١. تهذيب الظاهر باستعمال الشرائع والتقيّد بقيودها، والائتمار بأوامرها، والانتهاء عن نواهيها، وفعل النوافل من القيام، والصيام، والصدقات، والقرابين، والأعياد، والجماعات، وسائر الآداب والسنن.

---

(١) **ضياء القلب**، الفيض الكاشاني، ص٤٣.
(٢) سورة **غافر**، الآية ٦٧.
(٣) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٤٢٠.
(٤) الصفّار، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ: **بصائر الدرجات**، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٣١ه، ص٤٩٥.





٢. تهذيب الباطن عن الملكات الرديئة، والأخلاق الدنيئة، التي تظهر في النفس بالتدريج، بعد تجاوزها عن أدنى مراتب الحيوانيّة، من الشهوة، والغضب، والحرص، والحسد، والبخل، والعجب، والغرور، وغير ذلك من الصفات والهيئات التي هي نتيجة الاحتجاب والبعد عن معدن الوجود والصفات الكماليّة، وهي الساترة للحقّ سبحانه.

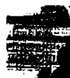
٣. تصوير النفس بالصور القدسيّة، ونقشها بهيئة الوجود على ما هو عليه، وتحلّيها بالصفات الحميدة، والأخلاق المرضيّة، من التوبة والإنابة، والصبر، والشكر، والتوجّه بالكلّيّة إلى الحقّ، والمواظبة على الطهارة التامّة، والذكر، والمراقبة، والمحاسبة، والوجد، والسكر، والوله، والشوق، والعشق، والهيمان، وغير ذلك من نتائج القرب والمعرفة بالحقّ سبحانه، وتُسمَّى هذه المرتبة مرتبة التحلية.

٤. فناء النفس عن ذاتها: وقصر النظر على ملاحظة الحقّ سبحانه، وكبريائه، وآثار قدرته، وعلمه، وإرادته، وسمعه، وبصره، لتأكّد علاقتها معه، واتّصالها به، فيصحّ أن يُقال إنّه مبدئها الحقيقيّ وجاعلها التامّ. وهذه المرتبة هي نهاية السير إلى اللّه على صراط النفس[1].

---

(١) ينظر: **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٤٢٨-٤٢٩، وكذلك يراجع موقف صدر الدين الشيرازي من مراتب العقل العمليّ، كتاب **مفاتيح الغيب**، ج٢، ص٦٠٩-٦١٠، وكذلك كتاب **شرح الهداية الأثيرية**، ص٢٤٣.





٥. جدليّة الشرع والعقل

يولي الفيض الكاشاني الشرع الأهميّة، وإن وضع العقل قبل الشرع، فهو لم يقصد بذلك تفضيله على الشرع قطّ. ولعلّه تنبّه إلى ذلك، فأكّد أهميّة الشرع[١](*)، وذلك بقوله إنّ «جلّ ما أدركته العقول مقتبس من أنوار الشرع ومرموزاته، بل لا يمكن المزيد على ما جاءت به الشرائع، وخصوصًا شرع نبيّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فإنّه لا أتمّ منه ولا أحكم»[٢].

والشرع في اللغة هو «عبارة عن البيان والإظهار»، والشريعة «هي الطريق في الدين»[٣].

وقد جاء في الكتاب الكريم لفظة «شرع»، كما في سورة **المائدة** ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٤]. أمّا معنى الشريعة عند الكاشاني، فإنّه يرى أنّ معناها، كما في الآية المباركة، «الطريق إلى الماء؛ شبّه بها الدين لأنّه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبديّة»[٥].

---

(١) الجابري، عليّ حسين: **الفكر السلفيّ عند الشيعة الاثنا عشريّة**، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٧٧، ص٣٣٥.

(*) تجدر الإشارة إلى أنّ أستاذنا الدكتور عليّ حسين الجابري هو أوّل من كتب عن الفيض الكاشاني في إطار الدراسات الفلسفيّة العراقيّة قبل نحو خمسة وثلاثين عامًا في كتابه **الفكر السلفيّ عند الشيعة الإماميّة**.

(٢) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٢٦٥.

(٣) **التعريفات**، الجرجاني، ص١٣٠.

(٤) سورة **المائدة**، الآية ٤٨.

(٥) الفيض الكاشاني، محسن: **تفسير الصافي**، ج١، صحّحه وقدم له وعلّق عليه الشيخ حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٤١٥، وكذلك الفيض الكاشاني، محسن: **الأصفى في تفسير القرآن**، تقديم وتصحيح مهدي الأنصاري القمّي، دار نشر اللوح المحفوظ، طهران، =





والشرع عند الكاشاني إنّما هو:

«قانون إلهيّ أنزله اللّه سبحانه على أيدي رسله وأوصيائهم المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلى عباده ليعملوا به ويلازموه ليفوزوا بذلك سعادة [بسعادة] الأبد. فإن تخلّفوا عنه حُرِمُوا من تلك السعادة بقدر تخلّفهم عنه، واستوجبوا العقوبة الإلهيّة»[١].

وهذا يعني أنّ الأدلّة الشرعيّة لدى الفيض الكاشاني إنّما تنحصر **بالقرآن** الكريم، وسنّة النبيّ محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأحاديث الأئمّة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من أهل بيت النبوّة. ويتضح ذلك ممّا ورد في كتاب اللّه (عز وجل) من الآيات التي تدعو المسلمين إلى التمسّك بهم، ومنها قوله تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، و﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[٣]، و﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾[٤]. ويرى الفيض أنّ ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾، و﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، و﴿أُوْلِى ٱلْأَمْرِ﴾ «هم الأئمّة المعصومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»[٥]. ومن الأدلّة الأخرى التي أوردها الفيض الكاشاني على وجوب اتّباع أهل

= ط٢، ١٤٢٣ه، ص١٩٦.

(١) **ضياء القلب**، الفيض الكاشاني، ص٨.

(٢) سورة **النحل**، الآية ٤٣؛ سورة **الأنبياء**، الآية ٧.

(٣) سورة **آل عمران**، الآية ٧.

(٤) سورة **النساء**، الآية ٨٣.

(٥) الفيض الكاشاني، محمّد بن المرتضى: **تسهيل السبيل بالحجّة في انتخاب كشف المحجّة لثمرة المهجة**، تحقيق حامد الخفّاف، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص٣٠.

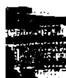
البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الخبر المشهور، والمستفيض، والمتّفق عليه بين المسلمين، وهو ما ورد عن النبيّ محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إنّي تارك فيكم الثقلَين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي»[١]. كما ورد أيضًا: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»[٢]. وفي كلام أمير المؤمنين عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصف **القرآن** الكريم: «فيه علم ما مضى وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلّمتكم»[٣].

ومن الآيات الكريمة والروايات السالفة الذكر، يتّضح أنّ علاقةً وطيدةً تربط **القرآن** الكريم والعترة الطاهرة، وأنّ التمسّك بهم واجب لأنّهم أهل الذكر، والراسخون في العلم، وأولو الأمر. وهذا ما جعل الفيض يتمسّك بهم ويتّخذهم طريقًا وحيدًا للوصول إلى الباري (جلّ وعلا)، ولمعرفة طريق الحقّ. لذلك، نجده يقول إنّ «الثقلَين [**القرآن** والعترة] كافيان في تعليم الأمّة معالم دينها أجمع»[٤]. ثمّ إنّهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ «أزمّة الحقّ، وألسنة الصدق، وشجرة النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن العلم، ومنار الهدى، والحجج على أهل الدنيا، خزائن الوحي والتنزيل، ومعادن جواهر العلم والتأويل»[٥].

---

(١) **سفينة النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٤٧، **تسهيل السبيل بالحجّة**، الفيض الكاشاني، ص٣١.
(٢) **سفينة النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٤٧.
(٣) **تسهيل السبيل بالحجّة**، الفيض الكاشاني، ص٣١.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٠.
(٥) **الكلمات الظريفة**، الفيض الكاشاني، ص٢٦.





والرجوع إلى الشرع المقدّس إنّما هو لغرض تنظيم سلوك الأفراد حتى لا يكون اختلال للنظام «لما جُبِّل [جُبِلَ] عليه كلّ أحد من أن يشتهي لما [ما] يحتاج إليه ويغضب على من يزاحمه فيه»[١]. والشرع المقدّس هو القانون والمنهج الذي به تنتظم معيشة الأفراد في هذه الدنيا، ومن الواجب عليهم الرجوع إليه لأنّه القانون الإلهيّ الذي فيه طريق الخير والسعادة الأبديّة. وقد نتقد الفيض بعض المتشرّعة الذين يستنبطون الشرع بالرأي والاجتهاد في الأحكام إبتغاءً لتأويل المتشابه، قائلًا إنّ ذلك من «الوسوسة والهوى، وهو بإزاء الشيطنة والنكراء. شبيهه بالشرع وليس بالشرع»[٢].

٦. العلاقة بين العقل والشرع: تداخل علم الكلام والفلسفة

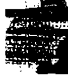
إنّ العلاقة بين العقل والشريعة علاقة وطيدة لأنّ الفلاسفة المسلمين قد وظّفوا العقل بطريقة تتماشى مع الشريعة الإسلاميّة المقدّسة. ولا يمكن بعد ذلك أن يستقلّ العقل بأمره من دون أن يكون للشريعة الإسلاميّة المقدّسة موقف منه. لذا، نجد أنّ الكثير من الفلاسفة المسلمين يحاولون التوفيق بين العقل والشريعة. وقد عرفنا في ما سبق أنّ للعقل مراتبَ أدناها العقل الهيولانيّ ثمّ العقل بالملكة، وبعدها العقل المستفاد. أمّا موقف الشرع من هذه المراتب، فهو «داير على هذه المراتب؛ لأنّ الأولى والثانية مرتبة العوامّ، بل الصبيان، والثالثة مرتبة المؤمنين، والموحّدين، والعارفين، والعلماء الراسخين وغير ذلك، والرابعة مرتبة الأنبياء،

---

(١) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص١٦٥

(٢) **ضياء القلب**، الفيض الكاشاني، ص١٠.





والأولياء، وأمثالهم»[١]. كما لا يمكن أن يستغني الشرع عن العقل، ولا العقل عن الشرع. بل إنّ أحدهما مفتقر إلى الآخر؛ لذا يقول الفيض الكاشاني: «إعلم أنّ العقل لن يهتدي إلّا بالشرع، والشرع لن يتبيّن إلّا بالعقل. والعقل كالأسّ والشرع كالبناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أسّ ولن يغني أس ما لم يكن بناء»[٢]. كما شبّه الفيض العقل بالبصر والشرع بالشعاع، قائلًا:

«ولن ينفع البصر ما لم يكن شعاع من خارج، ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر، فلهذا قال تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ﴾»[٣].

وشبّه الفيض الكاشاني العقل والشرع بالسراج والزيت، «فما لم يكن زيت لم يشعل [يشتعل] السراج، وما لم يكن سراج لم تضئ الزيت»[٤]. ولأجل هذه العلاقة ذات الجانبَين بينهما، يقول:

«الشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل، وهما يتعاضدان، بل يتّحدان. ولكون الشرع عقلًا من خارج، سلب اللّه

---

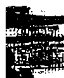
(١) آملي، حيدر: **جامع الأسرار ومنبع الأنوار**، تقديم هنري كوربان وعثمان إسماعيل يحيى، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ص٣٧٢.

(٢) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٢٥.

(٣) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٦١

(٤) **الأصول الأصلية**، الفيض الكاشاني، ص١٤٨، كذلك: الآملي، حيدر: أنوار الحقيقة وأطوار الطريقة وأسرار الشريعة، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه السيّد محسن الموسوي التبريزي، منشورات المعهد الثقافيّ، نور على نور، مطبعة الأسوة، ص١١٩.





تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من **القرآن** نحو: ﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[١]. ولكون العقل شرعًا من داخل، قال تعالى في صفة العقل ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾[٢]، فسمى العقل دينًا، ولكونهما متّحدَين، قال ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ﴾[٣]، وقال ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾[٤]، فجعلهما نورًا واحدًا. فالعقل إذا فقد الشرع عجز عن أكثر الأمور، كما تعجز العين عند فقد النور»[٥].

ويستشهد الفيض الكاشاني بقول الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

العقل عقلان مطبوع ومسموع
ولا ينفع المسموع ما لم يكن مطبوع[٦]

ويتّضح من ذلك أن لا طريق إلى العلم بالأحكام الشرعيّة «إلّا لذي العقل الصحيح الكامل صاحب القوّة القدسيّة بعد أخذها من أصولها المحكمة من الكتاب والسنّة الثابتة وأخبار أهل البيت المسموعة عنهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»[٧].

وقد عبّر بعض العارفين عن العقل بنفسه بأنّه قليل الغناء، لا يكاد يتوصّل إلّا إلى معرفة كلّيّات الأشياء دونًا عن جزئيّاتها، خلافًا

(١) سورة **البقرة**، الآية ١٧١.
(٢) سورة **الروم**، الآية ٣٠.
(٣) سورة **النور**، الآية ٣٥.
(٤) سورة **النور**، الآية ٣٥.
(٥) **الأصول الأصلية**، الفيض الكاشاني، ص١٥٠.
(٦) **نهج البلاغة**، محمّد عبده، ج٤، ص٧٩.
(٧) **الأصول الأصلية**، الفيض الكاشاني، ص١٥٠- ١٥١.

للشرع الذي يعرف كلّيّات الأشياء وجزئيّاتها[١]. فالعقل، مثلًا، «لا يعرف أنّ لحم الخنزير، والدمّ، والخمر محرّمة [من المحرّمات]، وأنّه يجب أن يتحاشى من [يتحاشى] تناول الطعام في وقت معلوم، وأن لا ينكح ذوات المحارم، وأن لا يجامع المرأة في حال الحيض، فإنّ أشباه ذلك لا سبيل إليها [إليه] إلّا بالشرع»[٢].

وهكذا، «فإذا عرفنا في شيء من الأشياء أنّه مفسدة بالشرع، عرفنا قبحه بالعقل بإستدلال»[٣]. فالشرع، عند الفيض الكاشاني، هو «نظام الاعتقادات الصحيحة، والأفعال المستقيمة، والدالّ على مصالح الدنيا والآخرة؛، من عدل عنه فقد ضلّ سواء السبيل»[٤]. وقد ظهر أنّ أصحاب العقل قليلون جدًّا، وأنّ «من لم يهتد لنور الشرع ولم يطابقه عقله فليس من ذوي العقول في شيء، وإنّ العقل فضل من اللّه ونور، كما أنّ الشرع رحمة منه وهدًى»[٥]. ولا يعني هذا أنّ ما في الشرع يخالف العقل، ولا أنّ ما في العقل يخالف ما جاء به الشرع، «بل عند التحقيق، ليس بناء التكاليف الشرعيّة الإلهيّة إلّا على العقل والعاقل، وكذلك ظهور الشرع وإجراء أحكامه. فإنّ

---

(١) **جامع الأسرار ومنبع الأنوار**، الفيض الكاشاني، ص٣٧٤، كذلك: حميّة، خنجر عليّ: **العرفان الشيعي: دراسة في الحياة الروحيّة والفكريّة لحيدر الأملي**، دار الهادي، بيروت، ط٢، ١٤٢٩ هـ، ص٣٤٤.

(٢) **جامع الأسرار ومنبع الأنوار**، حيدر الآملي، ص٣٧٤.

(٣) الجابري، محمّد عابد: **العقل الأخلاقيّ العربيّ: دراسة تحليليّة نقديّة لنظم القيم في الثقافة العربيّة**، مركز الدراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ٢٠٠٦، ص١١٥.

(٤) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٢٦.

(٥) **أصول المعارف**، الفيض الكاشاني، ص١٩٥.





الكلّ موافق للعقل مطابق لنظر العاقل إذا كان صحيحًا، بل مدار الوجود كلّه ليس إلّا على العقل والعاقل، وبه ابتداء الوجود عند الإيجاد، وبه يختم عند الإعدام»[١].

من هنا، يتّضح للباحث أنّ حاجة العقل إلى الشرع هي:

«حاجة استرشاديّة، بمعنى أنّ العقل يحتاج إلى الشرع في اهتدائه إلى الصواب وإلى مواطن الزلل والخطأ [الخطإ] في الأحكام والإدراكات، فالشرع إذن ميزان العقل ومقياسه. أمّا الشرع، فحاجته إلى العقل حاجة وظيفيّة، بمعنى أنّ الشرع لا تتبيّن مقاصده وآفاقه، ولا تُفسَّر حدوده وأحكامه، ولا تُوضَّح مفاهيمه ومبادئه، ولا يُلقَّن أو يُعلَّم، إلا بواسطته وعن طريقه، فهو يحتاج إليه من أجل التبيين»[٢].

٧. الحدس والعرفان

يجدر بنا الحديث عن العلاقة المعرفيّة بين الحدس والعرفان لانتماء الحدس إلى الجانب المعرفيّ، مع أنّنا أفردنا فصلًا كاملًا حول العرفان. والحدس أو العرفان هو أحد الوسائل التي اعتمدها الفيض الكاشاني في نظريّة المعرفة، فالذي يؤمن بالحدس يعتبره وسيلةً أو أداةً للمعرفة؛ أي إنّ المعرفة الحدسيّة هي امتزاج الشخص العارف بالشيء المعروف حتّى لا تكون هناك تفرقة بين الذات من جهة والموضوع من جهة أخرى[٣].

---

(١) **تفسير المحيط الأعظم**، حيدر الآملي، المجلّد الثالث، ١٤٣١ه، ص٩٢، كذلك: **أسرار الشريعة**، حيدر الآملي، ص١١٦.

(٢) **العرفان الشيعي**، خنجر حميّة، ص٣٤٣.

(٣) ينظر: الكندي، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق: **رسائل الكندي الفلسفيّة**، حقّقها =





بمعنًى آخر، يتّفق الحدسيّون في ما بينهم على قاعدة معرفيّة رئيسة مفادها بأنّ الحقيقة التي يدركها الإنسان بحدسه ليست ممّا يمكن التعبير عنه بكلمات، لأنّ الإنسان في هذه الحالة يندمج في موضوع إدراكه اندماجًا يجعلهما شيئًا واحدًا[١].

وقد أولى الفيض الكاشاني موضوع الحدس اهتمامًا بيّنًا، واعتبره وسيلةً من وسائل المعرفة. ورأى أنّ ألذّ ثمار الجنّة هي المعارف الإلهيّة - وهي تتمثّل بالنظر إلى وجه اللّه (سبحانه وتعالى) - وأنّ السعداء في الوصول إلى نيل هذه الثمرة هم على مراتب متفاوتة في ما بينها، هي:

المرتبة الأولى: «مرتبة من أوتي الكمال في حدس القوّة النظريّة، حتى استغنى عن معلّم بشريّ رأسًا، وأوتي مع ذلك ثبات قوّة المفكّرة، واستقامةً، وهمّةً، منقادًا تحت قلم العقل [منقادًا لقلم العقل]، فلا يلتفت إلى العالم المحسوس بما فيه حتى يشاهد عالم المعقول بما فيه من الأحوال ويستثبتها في اليقظة. فيصير العالم وما يجري فيه متمثّلًا في نفسه، فيكون بقوّته النفسانيّة أن يؤثّر في عالم الطبيعة حتّى ينتهي إلى درجة النفوس السماويّة، وهي النفوس القدسيّة أولات المعارج، وهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٢]، وهم أفضل النوع البشريّ وأحقّه بأعلى درجات السعادة في الجنّة»[٣].

= وأخرجها محمّد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٠، ص٤٨.

(١) المعيني، صباح حمّودي: **نظريّة المعرفة في الفكر الفلسفيّ العربيّ المعاصر: مصر والعراق**، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠٠٩، ص٥٦.

(٢) سورة **الواقعة**، الآيتان ١٠-١١

(٣) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص٩١. وكذلك: البحراني، كمال الدين ميثم بن =





المرتبة الثانية: مرتبة من له الأمران الأوّلان من دون الثالث؛ أعني التأثير في عالم الطبيعة. وهذه مرتبة أصحاب اليمين. وتشمل هذه المرتبة أربع مراتب فرعيّة، هي:

أ. مرتبة من له استعداد طبيعيّ لاستكمال قوّته النظريّة دون العمليّة.

ب. مرتبة من اكتسب ذلك الاستكمال تكليفيًّا من دون تهيّؤ طبيعيّ، ولا حصّة له في أمر القوّة العمليّة.

ج. مرتبة من ليس له تهيّؤ طبيعيّ ولا اكتساب تكليفيّ في قوّته النظريّة، وله ذلك التهيّؤ في قوّته العمليّة.

د. مرتبة من له تكلّف في إصلاح الأخلاق، واكتساب الملكات الفاضلة، من دون تهيّؤ طبيعيّ لذلك[١].

ويتّضح من ذلك أنّ للمقرّبين من الحضرة الإلهيّة لذّات عظيمة في الجنّة نتيجةً لارتقائهم في الملكات التشريعيّة، فهم فازوا بنعيم الأبد والسرور الدائم في حضرة جلال ربّ العالمين، «جرّد عن عوارض الأبدان وشوائب الموادّ، وعن مزاحمة القوى المتغالبة المتحاذبة المؤدّية إلى الهرم والموت، مكحّلين بالأنوار الساطعة، ينظرون إلى ربّهم بوجوههم المفارقة»[٢]. وبعد أن يطوي السالك أو السائر إلى اللّه المراتب والدرجات، تحصل عنده العديد من الأحوال والمقامات التي ترتبط بالكشف والشهود المتحصّل من الرياضات

= عليّ بن ميثم: **شرح نهج البلاغة**، ج١، منشورات الفجر، بيروت، ط١، ص٣٠.

(١) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص٩٢، وأيضًا **شرح نهج البلاغة**، البحراني، ص٣٠.

(٢) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص٩٢.

الروحيّة والمعاينات القلبيّة، التي بها يحصل إزالة الغبار الكثيف الواقع على القلب من جرّاء الذنوب والمعاصي في مراحل الطيش والجهالة. وهذا الكشف يساعد السالك على طيّ المنازل التي يمرّ بها، والتي أورد فيها الهرويّ كتابًا خاصًّا، أسماه **منازل السائرين**. وقد أشار إليه الفيض الكاشاني، كما سنرى.

والكشف إنّما هو فتح عين البصيرة التي كانت قد أُغلقَت من شدّة الذنوب والمعاصي التي تحجب مقترفها عن رؤية ملكوت اللّه، كما جاء في قول الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إذا أذنب العبد ذنبًا حصل في القلب نكتة سوداء حتّى إذا استمرّ عليه امتلأ القلب ظلامًا»[1]. فإذا فُتِحَت عين البصيرة تحصل المشاهدات العالية والتجلّيات الحقيقيّة في المظاهر، وذلك في الأسماء، إلّا أنّ تجلّي الذات أمام الموجودات مباشرةً غير ممكن، فـ«كما أنّ كنه ذات الحقّ غير معلوم، فكذا صفاته غير معلومة، ولكن حيث أنّ أشعّة الصفات مشرقة على ماهيّة الإنسان، فإنّه يمكن إدراك ذلك بوجه معتدّ به. أمّا وجوب الوجود - أعني الفناء الذاتيّ والوجود بلا ماهيّة - الذي ليس للإنسان، فهو قاصر في [عن] فهمه، وإنّما يطلق عليه أشرف النقيض، كالعلم والجهل، والقدرة والعجز، والحياة والموت»[2].

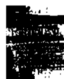
ويرى الفيض الكاشاني أنّ المعرفة ذات أهميّة كبرى في حياة السالكين، وأنّها مقصدهم الأقصى. وهي تزداد يومًا بعد يوم بحسب استعداد السالك واستغراقه في العبادة، فـ«يحصل له

---

(١) **التوحيد**، الصدوق، ص٣٢٦، وكذلك: **الأصول الأصيلة**، الفيض الكاشاني، ص٢٠٥.

(٢) **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، تحقيق عليّ عاشور، ص٢٥.





صفاء الباطن، والدعوة المستجابة، ونحو ذلك من الكمالات اللائقة. وعلى كلّ تقدير، يحصل له القرب من الحقّ سبحانه، والمحبّة، والنور. وثمرة المعرفة هو [هي] المحبّة الكاملة والنور الوافر»[١]. وقد تصل هذه المعرفة بالسالك إلى حدّ «يشاهد أكثر أمور الآخرة في هذه النشأة»[٢]. وقد أوردنا مبحثًا فصّلنا فيه القول في موضوع العرفان، لا سيّما في مسألة الأدلّة على وجود اللّه (سبحانه وتعالى)، حيث تطرّقنا إلى دليل الصدّيقين، وهو أحد أبرز أدلّة مدرسة الحكمة المتعالية، وقد تبنّاه الفيض أسوةً بأستاذه الشيرازي.

---

(١) الأرموي، مير جلال الدين: **العرفان والسلوك عند أهل البيت (ع): شرح رسالة زاد السالك للمولى محسن الفيض الكاشاني**، دار الصفوة، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص٩٦.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.



الفصل الثالث

الآراء الفلسفية عند الفيض الكاشاني

ثانيًا: الأخلاق والجمال والعرفان

الأخلاق عند الفيض الكاشاني

١. موقف الفيض الكاشاني من طبيعة الأخلاق

إنّ للإنسان، في طبيعته التكوينيّة، عدّة نوازع ودوافع ذاتيّة تقوم على أساس منهجيّ وفقًا لآليّة يعمل بها الفرد في الحياة. وهذا الواقع يساعدنا على فهم بعض الدوافع الإنسانيّة في جبلّة الإنسان، كحاجته إلى الأكل، والشرب، وإشباع الدوافع الغريزيّة. كما أنّه يساعدنا على إدراك أنّ الإنسان ينطوي على مكوّنات لا غنى عنها في فهم العديد من الموضوعات التي تقوّم القيمة الإنسانيّة، كما هو حاصل في الأخلاق. ويقودنا البحث، قبل الولوج في صلب الموضوع، إلى التساؤل عن طبيعة الأخلاق: هل هي ثابتة أم متغيّرة؟ إجابةً عن ذلك، يرى بعضهم أنّ الأخلاق لا يمكن أن تتغيّر، وهذا القول، بنظر الفيض الكاشاني، إنّما يصدر عمّن غلبت عليه البطالة واستثقل المجاهدة، والرياضة، والاشتغال بتزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، ولم تسمح نفسه بأن يكون ذلك، لقصوره ونقصه. ويوعز الفيض الكاشاني سبب زعم هؤلاء عدم تغيّر الأخلاق إلى أمرَين: أوّلًا، إنّ الخُلُقَ صورة الباطن كما أنّ الخَلْقَ صورة ظاهرة، فكما أنّ الخلقة الظاهرة لا يُقدَر على تغييرها، فكذلك الخلق الباطن. ثانيًا، إنّ حسن





الخلق إنّما يحصل بقمع الغضب، والشهوة، وحبّ الدنيا، وغيرها. وهذا أمر ممتنع، والاشتغال به تضييع زمان بغير فائدة، فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى حظوظ العاجلة، وهو محال[١].

ولعلّ عدّة عوامل خارجيّة تؤثّر في الأخلاق، منها المزاج. بمعنًى آخر، إنّ للمزاج علاقة بالصفات الأخلاقيّة للإنسان، «فبعض الأمزجة في أصل الخلقة مستعدّ لبعض الأخلاق، وبعضها مقتض لخلافه»[٢]. وللتربية أيضًا دور مؤثّر في الأخلاق، وذلك لأن الخُلُق هو «ملكة للنفس مقضية لصدور الأفعال بسهولة من دون احتياج إلى فكر ورويّة»[٣]، والملكة هي «كيفيّة نفسانيّة بطيئة الزوال»[٤]. كما تؤثّر طبيعة البلدان على الأخلاق، فعلى سبيل المثال، إنّ الذين يولدون في البلدان ذات المناخ الحارّ، ويتربّون فيها، وينشأون على هوائها، يغلب على أمزجة أبدانهم البرودة، والعكس صحيح، لأنّ الحرارة والبرودة هما ضدّان لا يجتمعان في حال واحد وموضع واحد[٥].

عودًا على بدء، يرى الفيض الكاشاني أن لا صحّة لزعم القائلين بعدم تغيّر الأخلاق، ويجيبهم بقوله:

«لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا، والمواعظ،

---

(١) **الحقائق في محاسن الأخلاق**، الفيض الكاشاني، ص٩٠، وكذلك **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، المجلّد الثالث، ص٧٠.

(٢) **جامع السعادات**، النراقي، ج١، ص٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٥.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) ينظر: **الحقائق في محاسن الأخلاق**، الفيض الكاشاني، ص٩٠.





والتأديبات، ولما قال الله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[١]، ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسّنوا أخلاقكم»[٢]، وكيف يُنكَر هذا في حقّ الآدميّ وتغيير خلق البهيمة ممكن، إذ ينقل الظبية من التوحّش إلى الأنس، والكلب من شره الأكل من الصيد إلى التأدّب والإمساك، والفرس من الجماح إلى السلاسة والإنقياد، وكلّ ذلك تغيير الأخلاق»[٣].

٢. أقسام الموجودات

يقسم الفيض الكاشاني الموجودات لجهة علاقتها بالأخلاق إلى قسمَين، كما عند الغزالي:

١. ما لا مدخل للآدميّ واختياره في أصله وتفصيله، كالسماء والكواكب، بل أعضاء البدن داخلًا وخارجًا، وبالجملة كلّ ما هو حاصل كامل، وقع الفراغ من وجوده وكماله.

٢. ما وجد وجودًا ناقصًا وجُعِلَ فيه قوّة لقبول الكمال بعد أن وُجِدَ شرطه. وشرطه قد يكون باختيار العبد، فإنّ النواة ليست بتفّاح ولا نخل، إلّا أنّها خُلِقَت خلقةً يمكن أن تصير نخلًا إن انضاف إليها التربية، ولا تصير تفّاحًا أصلًا[٤]. وكذلك حال الغضب والشهوة،

---

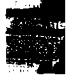
(١) سورة **الشمس**، الآيتان ٩ و١٠.

(٢) الشيرازي، عليّ خان المدني: **رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين**، ج٣، تحقيق السيّد محسن الحسيني الأميني، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ط٤، ١٤١٥ه، ص٢٦٣.

(٣) **الحقائق في محاسن الأخلاق**، الفيض الكاشاني، ص٩٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٩٠، كذلك **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، =





إذ يرى الفيض أنّنا لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلّيّة حتّى لا يبقى لهما أثر، لم نقدر على ذلك أصلًا. ولو أردنا قودَهما بالرياضة والمجاهدة، قدرنا عليه. وقد أُمِرنا بذلك، وصار ذلك سبب النجاة والوصول إلى اللّه[١]. وتجدر الإشارة إلى أنّ مسألة الطباع هي من المسائل التي بُحِثَت قديمًا في الفلسفة، لا سيّما الفلسفة اليونانيّة، عند كلّ من جالينوس وأرسطو. وبرز التساؤل عمّا إذا كان الإنسان خيّرًا أو شريرًا بالطبع، وأورد مسكويه بحثًا خاصًّا حول هذه المسألة في كتابه، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**[٢].

٣. مسالك تهذيب الأخلاق

إنّ حسن الخلق من أهم الفضائل التي يتّصف بها الفرد المؤمن أو صاحب الخلق الرفيع، وهو ضدّ سوء الخلق. وقد أوصت الروايات الواردة عن النبيّ محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأهل بيته الكرام (سلام اللّه عليهم) بالتزام حسن الخلق لأنّ سوء الخلق هو «انحراف نفسانيّ يسبّب انقباض الإنسان، وغلظته، وشراسته»[٣]. ولسوء الخلق تبعات وخيمة قد قد تعود بالضرر على صاحبها، ما سيؤدّي إلى

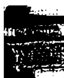
= المجلّد الثالث، ص٧٠-٧١، كذلك قارن: **إحياء علوم الدين**، الغزالي، ج٣، ص٧٥.

(١) ينظر: **الحقائق في محاسن الأخلاق**، الفيض الكاشاني، ص٩١.

(٢) مسكويه، أبو عليّ أحمد بن محمّد بن يعقوب: **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، تحقيق عماد الهلالي، منشورات ذوي القربى، قم، ط١، ١٤٢٦ه، ص١١٥ وما بعدها.

(٣) الصدر، مهديّ: **الأخلاق أهل البيت (عليهم السلام)**، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص٢٤.





الحطّ من كرامته، ويجعله عرضةً للمقت، وهدفًا للنقد والذمّ.

في ما يلي، سنسلّط الضوء، بإيجاز، على ثلاثة مسالك لتهذيب الأخلاق، لتكون مدخلًا لفهم فلسفة الفيض الكاشاني الأخلاقيّة، وهي:

١. المسلك الدنيويّ: ومعنى تهذيب الأخلاق دنيويًّا أن يندفع الإنسان لإصلاح ذاته من خلال الأعمال الحسنة، والقيام بالواجبات الممدوحة، وذمّ الأعمال السيّئة والابتعاد عنها. والغرض من هذا المسلك هو دفع الإنسان للقيام بكلّ عمل يؤدي إلى جاه، أو مال، أو ثناء، أو ذكر حسن. أمّا الأثر المترتّب على هذا العمل، فهو الجزاء الدنيويّ. ومن الواضح أن مثل هذا الجزاء مهما طال به الزمن، فهو منقطع الآخر وإلى زوال. كما أنّه جزاء اعتباريّ، وليس حقيقيًّا. فالثناء الجميل، والذكر الحسن، والسمعة الطيّبة، وما شاكل ذلك، كلّها أمور اعتباريّة لتنظيم الحياة الاجتماعيّة ليس إلّا[1].

٢. المسلك الأخرويّ: ومعنى تهذيب الأخلاق أخرويًّا أن يتّصف الإنسان بالخصال الحميدة التي تؤدّي به إلى اجتناب العادات السيّئة المشينة، وذلك من خلال استحضار الجزاء الأخرويّ، سواء كان من ناحية الثواب أو العقاب. ويترتّب على هذا المسلك صلاح ظاهر العمل وباطنه، لأنّ المجازي هو اللّه (سبحانه وتعالى) الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء[2]. لذا، ورد عن الرسول الخاتم محمّد صلى الله عليه وآله: «اعبد

---

(١) الحيدري، كمال: **التربية الروحيّة: بحوث في جهاد النفس**، دار فراقد، ط٧، ٢٠٠٥، ص٩٧-٩٨.

(٢) **التربية الروحيّة**، كمال الحيدري، ص١٣.





اللّه كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[١]. وجزاء هذا المسلك دائم لأنّه جزاء أخرويّ، والآخرة لا تزول، لأنّها باقية بإرادة اللّه سبحانه وتعالى[٢]. ويرى العلّامة الطباطبائي أنّ هذا المسلك في تهذيب الأخلاق وإصلاحها إنّما هو «مسلك الأنبياء وأرباب الشرائع»[٣]، وغايته «السعادة الحقيقيّة للإنسان، وهو استكمال الإيمان باللّه وآياته، والخير الأخرويّ، وهي سعادة وكمال في الواقع»[٤]. ومن الآيات الكريمات التي دلّت على هذا الثواب في هذا المسلك قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٥]. كما ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «إنّه ليس لأنفسكم ثمن إلّا الجنّة، فلا تبيعوها إلّا بها»[٦]. أمّا في ما يخصّ العقاب، فقد قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[٧]. ويشترك المسلكان الأوّل والثاني في أنّ الغاية منهما الفضيلة الإنسانيّة من حيث العمل.

---

(١) **أبو ذر الغفاري: رمز اليقظة في الضمير الإنسانيّ**، الشيخ محمّد جواد آل الفقيه، قدّم له سماحة المرجع الديني الشيخ محمّد تقي الفقيه، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٠هـ.ق.، ص١٨٣.

(٢) **التربية الروحيّة**، كمال الحيدري، ص١٠٦.

(٣) الطباطبائي، محمّد حسين: **الميزان في تفسير القرآن**، ج١، تحقيق الشيخ إيّاد باقر سلمان، قدّم له السيّد كمال الحيدري، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص٣١١.

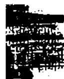
(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) سورة **التوبة**، الآية ١١١.

(٦) عبده، محمّد: **نهج البلاغة**، ج٤، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص٧٢٧.

(٧) سورة **آل عمران**، الآية ٤.





٢. مسلك الحبّ الإلهيّ: وردت آيات كثيرة بخصوص هذا المسلك الأخلاقيّ، ألا وهو مسلك الحبّ الإلهيّ، منها قوله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[١]، وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[٢]. ويختلف هذا المسلك عن المسلكَين السابقَين، فالفرد الذي يريد تهذيب نفسه من خلاله لا يبتغي جاهًا، ولا سمعةً، ولا ثناءً، ولا كلامًا حسنًا أصلًا، بل يبتغي وجه اللّه (سبحانه وتعالى). فإن أحبّ الفرد شيئًا، اقتفى أثره وانجذبت نفسه إليه، فكيف إذا كان هذا الشيء هو الباري (جلّ جلاله)؟ ويستند هذا الحبّ إلى قوّة الإيمان، ويعتمد مسلكه على استعمال العلوم والمعارف التي تنتفي معها الرذائل، كالتوحيد الخالص مثلًا. والغرض من هذا المسلك، كما يقول العلّامة الطباطبائي، هو «ابتغاء وجه اللّه، لا اقتناء الفضيلة الإنسانيّة»[٣]. وهذا المسلك يختلف عن المسلكَين السابقَين لأنّه يعتمد على العلوم والمعارف التي توصل الفرد السالك إلى الإيمان الحقيقيّ والتوحيد الخالص. فمن أراد أن يعمل بهذا المسلك عليه أوّلًا أن يعرف اللّه (سبحانه وتعالى) قبل كلّ شيء. فكما ورد في الحديث الشريف «أوّل الدين معرفته»[٤]. وكلّ ما في الوجود مرتبط به (سبحانه وتعالى)؛ «حينئذ لن يتوجّه مثل هذا الإنسان إلى الناس وإلى ما في أيديهم، لأنّه يعرف حقّ المعرفة أنّ الغنيّ منهم لا يملك،

---

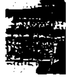
(١) سورة **آل عمران**، الآية ٣١.

(٢) سورة **البقرة**، الآية ١٦٥.

(٣) **تفسير الميزان**، الطباطبائي، ج١، ص٣١١.

(٤) الأحسائي، ابن أبي جمهور: **عوالي اللئالي**، ج٤، تحقيق أغا مجتبى العراقي، منشورات سيّد الشهداء، قم، ط١، ١٩٨٥، ص١٢٧.





ولا يعطي، ولا يمنع، إلّا بإذن اللّه، فلا يخافه»[١].

وبعد اكتساب العلوم والمعارف، يبدأ الإنسان بالعمل، فيتحقّق عنده التوحيد عمليًّا، وذلك من خلال الطاعة والتسليم للّه (جلّ جلاله)، «فمن أحبّ اللّه عبده ومن أحبّ الدنيا الزائلة عبدها»[٢]. فإن أحبّ الإنسان اللّه (سبحانه وتعالى)، عليه أن يطيعه، لا أن يكون حبّه مجرّد هوًى، كما في قوله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[٣]، وذلك لأنّ الهوى «يعمل في التخريب من داخل النفس [...] والشيطان ينفذ إلى داخل النفس من خلال الهوى غالبًا»[٤]. وكما قال بعض الحكماء: «الهوى صدأ يعلو القلب فلا تنطبع فيه صور حقائق الأشياء على ما هي عليه»[٥]. لذلك، يجب أن الحبّ يكون مقرونًا بالطاعة والعمل، كما قال الشاعر:

لو كان حبّك صادقًا لأطعته   إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع[٦]

وإنّ أفضل الطرق لكي تستقرّ محبة اللّه في القلوب هو الطريق

---

(١) **التربية الروحيّة**، كمال الحيدري، ص١١٢.

(٢) **التربية الروحيّة**، كمال الحيدري، ص١١٣.

(٣) سورة **الفرقان**، الآية ٤٣.

(٤) الآصفي، محمّد مهديّ: **الهوى في حديث أهل البيت (ع)**، دار الثقلَين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص٣٨.

(٥) العاملي، عزّ الدين الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني: **نور الحقيقة ونور الحديقة في علم الأخلاق**، تحقيق محمّد جواد الحسيني الجلالي، مؤسّسة النور للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ص٤٧-٤٨.

(٦) الحرّاني، أبو محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة: **تحف العقول عن آل الرسول**، قدّم له الشيخ حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٧، ٢٠٠٢، ص٢١١.





الذي جاء في الحديث القدسيّ عندما خاطب الباري سبحانه وتعالى موسى الكليم عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلًا: «حببنيّ إلى خلقي وحببْ خلقي إليّ، قال يا ربّ كيف أفعل؟ قال ذكّرهم آلآئي ونعمائي ليحبّوني»[١]. ويقول اليزدي بهذا الصدد: «وإذا ما استقرّت محبّة اللّه في القلب، حينها ستندلع نيران الشوق للقائه داخل القلب، فيظلّ الإنسان قلقًا [توّاقًا] للقاء محبوبه»[٢].

بعد أن استعرضنا أنواع المسالك لتهذيب الأخلاق بإيجاز، نستعرض الآن رأي الفيض الكاشاني ومنهجه، إذ يرى أنّ أساس تهذيب الأخلاق يكمن في ترويض **النفس**، وذلك «بمحو الرذائل والأخلاق الرديّة عنها، وكسب الفضائل والأخلاق الجميلة لها، وجلبها إليها»[٣]، باعتبار أنّ النفس تُخلَق ناقصةً، مع استعدادها للكمال «وإنّما تكمل بالتزكية، وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم»[٤]. وإذا ارتكب الإنسان الرذيلة، وهي أحد الأمراض المعنويّة التي تصيب القلب، يكون علاجها بالضدّ، «فيعالج مرض الجهل بالتعلّم، ومرض البخل بالتسخّي، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكفّ عن المشتهى تكلّفًا»[٥]. وإذا لم تُعالَج هذه الأمراض، يرى الفيض أنّها ستكون عذابًا على صاحبها، وهذا العذاب «يدوم بعد الموت إلى

---

(١) القبانجي، حسن: **شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع)**، ج١، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ص١٥٣.
(٢) اليزدي، محمّد تقي مصباح: **السير إلى اللّه**، ترجمة ماجد الخاقاني، بإشراف الشيخ محمّد عبد المنعم الخاقاني، دار الولاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٣٧٧.
(٣) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، المجلّد ٣، ص٧٦.
(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها
(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

أبد الآباد»[١]. وقد تكون طريقة تهذيب الأخلاق بالمجاهدة، وذلك «بحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب»[٢]. فبعد مجاهدة النفس والمواظبة على المطلوب من الأعمال، «يصير ذلك له طبعًا»[٣].

وهذه كلّها أخلاق حميدة، لكنّها لن ترسخ في النفس «ما لم يتعوّد جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات السيّئة، وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق معها إلى الأفعال الجميلة ويتنعّم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألّم بها»[٤]. وهي ترسخ بكثرة العبادات، فيكون «الثواب أجزل، والنفس أزكى وأطهر، والأخلاق أقوى وأرسخ»[٥]. وغاية هذه الأخلاق، إذا تعوّد الفرد عليها، من خلال كثرة العبادات، فهي «أن ينقلع عن النفس حبّ الدنيا، ويترسّخ فيها حبّ اللّه تعالى، فلا شيء أحبّ إليه من اللّه تعالى ومن لقائه »[٦]. ومثل هذا الحبّ للّه (سبحانه وتعالى) يجعل الفرد مطيعًا للّه بكلّ صدق ومحبّة. وتثمر هذه المحبّة عدّة ثمرات طيّبة، منها أنّ الطاعة المترتّبة على هذا الحبّ تكون طاعة الأحرار، وهم الذين يعبدون اللّه تعالى لأنّه أهل للعبادة. كما تكون هذه الطاعة مقترنةً بلذّة لا تضاهيها لذّة نتيجة محبّة اللّه والشوق إليه، فيحسّ صاحبها

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٢) **الحقائق في محاسن الأخلاق**، الفيض الكاشاني، ص٩٢.
(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٤) **الحقائق في محاسن الاخلاق**، الفيض الكاشاني، ص٩٢.
(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٦) المصدر نفسه، ص٩٣.





بلذّة المناجاة وحلاوة الخلوة مع اللّه، لأنّ الحبّ الذي يشعر به حبّ حقيقيّ ناتج عن جمال اللّه وعظمته[1].

وبهذا المعنى، تقول رابعة العدويّة:

أحبّك حبّين حبّ الهوى وحبّ لأنّك أهل لذاكا
فأمّا الذي هو حبّ الهوى فشغلي بذكرك عمّن سواكا
وأمّا الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا[2]

وربّما تحصل الأخلاق الحسنة من خلال «مشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير»[3]، والأخلاق السيّئة ربّما تحصل «بمشاهدة أرباب الأعمال السيّئة ومصاحبتهم وهم قرناء السوء»[4].

---

(١) ينظر: الحائري، كاظم الحسيني: **تزكية النفس**، مؤسّسة الفقه للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٢ه، ص٥٠٥ وما بعدها.

(٢) خميس، محمّد عطيّة: **رابعة العدويّة**، منشورات المكتبة المحموديّة التجاريّة، ط٤، مصر، ص٦١.

(٣) **الحقائق في محاسن الأخلاق**، الفيض الكاشاني، ص٩٤.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.





الجمال والعرفان عند الفيض الكاشاني

ينقسم هذا المبحث إلى قسمَين:

أوّلًا: الجمال والعرفان.

ثانيًا: آراء الفيض الكاشاني العرفانيّة وأثر مدرسة الحكمة المتعالية.

قبل الدخول في تفاصيل القسم الأوّل من هذا المبحث، لا بدّ من قول إنّ الرؤية الكونيّة للوجود، عمومًا، تفتح آفاقًا عديدةً، إذ إنّ الوجود، في مراتبه المتعدّدة، صور، وتجلّيات، وتمظهرات في ساحة الأفق الإلهيّ الظاهر في المظاهر الخارجيّة. لذا، نجد أنّ للفلاسفة في هذا الباب أقوالًا كثيرةً وأسسًا برهانيّةً، كما جاء في بعض المأثورات التي أوردها ابن سينا في رسالة العشق تحت عنوان **عشق الظرفاء والفتيان للأوجه الحسان**[1]. وهذا المعنى يكشف عن الجمال الحسّيّ المأنوس به من قبل الرائي. وهذا التمثّل، إذا نُظِرَ إليه من منظور صوفيّ، كما جاء في العديد من أقوال ابن عربي، أصبح ينطوي على احتواء العالم كلّه لصفة الجمال

---

(١) للاستزادة يراجع: ابن سينا: «رسالة في العشق»، المطبوعة ضمن كتاب **التفسير القرآنيّ واللغة الصوفيّة** للدكتور حسن عاصي، ص٢٥٤ وما بعدها.





واشتماله عليها، بنسق جماليّ لوحدة متكاملة جامعة لكلّ المظاهر، التي مهما بدت متباينةً، يوحّدها الجمال الإلهيّ باعتبارها أثرًا من آثار الباري سبحانه وتعالى[١]. من هذا المنطلق، يقول ابن عربي: «فما ثمّ إلّا جميل، فإنّ اللّه خلق العالم على صورته، وهو جميل، فالعالم كلّه جميل، وهو سبحانه يحبّ الجمال، ومن أحبّ الجمال أحبّ الجميل»[٢]. بناءً على ذلك، يكون الجمال على نوعَين، أحدهما في المظاهر الخارجيّة (كلّ ما في الخارج)، وآخر هو الأرقى، وهو الجمال الإلهيّ، الذي يسير فيه العاشق نحو مطلبه الروحي. وهذا الباب له مدخليّة عند صدر الدين الشيرازي، وقد تأثّر به الفيض الكاشاني وأورد العديد من النصوص التي تؤكّد أهميّة الجمال الإلهيّ والعشق الحاصل في الذات. فهو حين يتحدّث عن محبّة العبد للّه، يرى أنّه كلّما كان الإخلاص، والعبوديّة، والافتقار له (جلّ جلاله) أشدّ، كان شراب نعيمه في الآخرة أصفى[٣]. لكن لا بدّ من أن يكون هذا الحبّ متضائلًا تحت الهيبة والتعظيم[٤]. أمّا صفة العشق والشوق، فكانت كعبة الآمال، ووسيلة المقاصد، وقبلة جميع الأعمال عند الأنبياء عَلَيهِمُ السَّلَامُ، وذلك يدحض حجّة من أنكرها من الخائضين في عالم

---

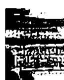
(١) ينظر: الشقاق، يحيى محمّد راضي: **الحبّ في التصوّف الإسلاميّ: ابن عربي نموذجًا**، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٩، ص٣١١.

(٢) الحاتمي، أبو بكر محيي الدين محمّد (ابن عربي): **الفتوحات المكيّة**، المجلّد الرابع، ضبطه وصحّحه ووضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦، ص٢٥٦.

(٣) الشيرازي، صدر الدين محمّد: **كسر أصنام الجاهليّة**، تصحيح وتحقيق وتقديم الدكتور محسن جها نكيري، إشراف السيد محمّد خامنائي، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص١١٠-١١١.

(٤) المصدر نفسه، ص١١٢.





الأجسام، الراتعين في مراتب الدوابّ والأنعام[1].

كما يقول صدر الدين الشيرازي، حين يتحدّث عن شريعة سيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه وآله: «ولهذا ترى شريعة سيّد المرسلين وخاتم الأصفياء (عليه وآله سلام الله الحقّ المبين) مشتملةً على ذكر المحبّة والعشق في مواضع كثيرة من آيات وأحاديث عديدة. وكلمات العلماء والفضلاء من ذوي الأغيار وأولي الأبصار محتوية على وصف العشاق الإلهيّين، والوالهين، والمشتاقين إلى جمال ربّ العالمين، والهائمين في عظمة أوّل الأوّلين. والحكماء المتعالون (قدّس الله أسرارهم) حكموا بسريان محبّة الله في جميع الموجودات، حتّى الجماد والنبات، بالحجّة والبرهان، وأحكموا القول بأنّ [إنّ] مبدأ جميع الحركات والسكنات في العاليات والسافلات من الفلكيّات والأرضيّات هو عشق الواحد، والشوق إلى المعبود الصمد»[2].

وينتهي الشيرازي إلى القول إنّ مبدأ أعمال الفرد الصالحة هو عشق الباري (سبحانه وتعالى) والشوق إلى لقائه، وإلّا فستكون الأعمال ناقصةً، وبتراء، ولا تنتهي إلى غاية حقيقية[3].

١. الجمال الحسّيّ

بعد هذه المقدّمة الموجزة حول مفهوم الجمال الإلهيّ، فلنعرّج على أهميّة الجمال عند الفيض، الذي لم يترك هذه المسألة بلا بحث

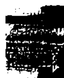
---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٢.

(٢) **كسر أصنام الجاهليّة**، الشيرازي، ص١٣٢-١٣٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ص١٣٧ وما بعدها.





وتدقيق. وهنا نتساءل: هل عمد الفيض إلى الحديث عن الجمال الحسّيّ المأنوس به؟ بمعنى آخر، هل أحبّت صفة الذات الصورة المرئيّة في الموضوع الخارجيّ لجمال الذات أم لجمال الصورة في الرائي والمرئي؟ وهو أجاد الإجابة عن ذلك، إذ قال إنّ الإنسان يكون إنسًا في الصورة الحسنة البهيّة، التي تكون عند الشباب أكثر من الطاعنين في السنّ، «والعلّة في كون حدث السنّ من أهل الزينة والجمال مرغوبًا مشتهًى، دون الممعن في السنّ منهم، أنّ الإنسان متقلّب الهويّة في درجات الوجود، لأنّ وجوده في أوّل الأمر بالقوّة، ثمّ في مقام الطبيعة، ثمّ في مقام الحسّ، ثم في مقام النفس على مراتبها، ثمّ في مقام العقل على درجاته»[١].

ثم يقارب الفيض هذا المعنى من جانب اللذّة الحسّيّة أو النفسانيّة، أو الميل الشهويّ، الذي له أثر واضح في حصول اللذّة عند الرائي أو الفاعل، فيقول:

«وهذه اللذّات الشهويّة أكثرها حسّيّة محضة أو نفسانيّة ممزوجة بآثار الطبع. ولهذا، يتعلّق بأوائل وجود الإنسان الجميل، دون ثوانيه وأواخره، وسيّما [لا سيّما أنّها] قد يحدث فيها من ذمائم الصفات ما يحدث في مقام النفس، ويسري حكمها من الباطن إلى الظاهر. وقد تجتمع هذه النشآت في شخص واحد، طالب أم مطلوب، فيلتذّ رجل واحد من صحبة الأحداث والنسوان، وأهل الطرب، والرقص، والغناء بحصّة طبيعته وحسّه، ومن صحبة الظرفاء، والشعراء، وأهل الصناعات، والعلوم الجزئيّة، بحصّة نفسه وخياله،

---

(١) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٥١٢.





ومن صحبة الحكماء الكاملين وأهل التقوى والزهادة بحصّة عقله وروحه»[١].

وبعد أن يتقدّس العشق الإنسانيّ عن المعاني الرذيلة في الحبّ، يتّجه، بازدياد واضح المعالم، نحو الحقّ، فتحصل فيه حالات الشوق الداعي لطلب الوصل. وهذا يكشف عن الحاجة الملحّة في الذات من أجل الحصول على المطلوب. ويختلف هذا الشوق في مراتبه عن الشوق الخسيس. فشوق العبد للمعبود ينشد الكمال. أمّا شوق العابد للأمور الخسيسة، فيكون أيضًا شوقًا للكمال، لكن من جهة النقص، لا من جهة الرفعة. لذلك، يقول الفيض الكاشاني:

«الشوق يصحبه قصور، وأمّا العشق، فقد يتقدّس ويتعالى عن الشوائب، بل هو يزداد بازدياد الخيريّة، واشتداد الوجود، واستحقاق المعشوقيّة من المعشوق، وقوة الشعور والإدراك من العاشق. والشوق أيضًا، وإن كان يزداد ويقوى بحسب قوة الشعور من المشتاق، والقرب من المشتاق إليه، لكنّه يقوى أيضًا بحسب نقصان الوجود، وضعف الشعور من المشتاق، وقوّة الوجود، وشدّته، وعدّته في المشتاق إليه»[٢].

٢. الجمال الإلهيّ

الجمال الإلهيّ بحث دقيق يرتبط بالمعنى الروحيّ الذي به تتحصّل مدارج الكمال. وهذا لا يتحقّق إلّا اذا شاهد السالك جذبات الحقّ،

(١) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٥١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٠٨.





ويكون ذلك من خلال الإذن الإلهيّ القاضي بإفراد أشخاص عندهم قابليّات وسعات لتحمّل البلاءات والاختبارات. وهذا يحدث بربط الجانب الحقيقيّ في القلب، الذي يتنوّر بظهور الإشعاعات والأنوار، التي تساعد السالك على فهم المعنى الروحيّ. فيبدأ السائر، عن طريق التفكير والجانب العمليّ، الذي يرتبط بالرياضات الروحيّة، باستعذاب المحبّة الإلهيّة التي تسهم في بيان المعنى الروحيّ الحقيقي. وهذا كله لا يتم إلا بواسطة أبراز الجانب الجمالي فيه وذلك من خلال عشق المعاني الإلهية التي هي في قمة الكمال، فعشق الكمال يرتبط بالجانب الروحي في السير إلى اللّه كما جاء في قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[١]. بمعنًى آخر، إنّما هذا السير، في حقيقته، هو عشق الباري (جلّ شأنه)، لا سيّما أنّ الفيض الكاشاني يعرّف العشق بأنّه «عبارة عن الميل المفرط الغالب»[٢]. ولكن هل لهذا العشق علامة؟ يجيب الفيض الكاشاني عن هذا السؤال إيجابًا، فيقول إنّ العلامة هي «انقياد السافل للعالي، وخضوعه له خضوعًا جبليًّا، وطاعته إيّاه، وعبادته عبادةً ذاتيّةً من غير تمرّد ولا عصيان، مع كونه ذات شعور ما»[٣]. ثمّ يتحدّث عن **العشق العفيف** الذي اعتبره سببًا في تلطيف النفس، وتنوير القلب. وهذا العشق «إنّما يكون للمتوسّطين من الناس، الذين لم يشتغلوا، بعد، باللّه سبحانه، فإنّ من اشتغل باللّه لم يشغله شيء عنه جلّ ذكره»[٤]. ولذلك، لمّا سُئِلَ مولانا الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن العشق، قال: «قلوب خلت عن

---

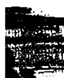
(١) سورة **المائدة**، الآية ٥٤.

(٢) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، المجلّد الرابع، ص٣٤٧.

(٣) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٥٠٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٥١٤.





ذكر اللّه فأذاقها اللّه حبّ غيره»[١].

٣. المحبّة والشوق

يرى الفيض الكاشاني أنّ رابطًا معنويًّا يجمع الذكر والحبّ، إذ من مستلزمات الذكر أن يؤدّي إلى حالة من الإنس والحبّ. وهذا الذكر قد يكون ذكران: إمّا ذكر لسانيّ أو ذكر قلبيّ، وهذا القول يعني أنّ على العبد، في أوّل مساره، أن يكون منشغلًا بالذكر اللسانيّ حتّى يتحقق ذلك في القلب. لذلك، يقول الفيض:

«إعلم أنّ للذكر أوّلًا وآخرًا، فأوّله يوجب الحبّ والأنس، والمطلوب منه ذلك الأنس. فإنّ العبد، في بداية الأمر، يكون متكلّفًا بصرف قلبه ولسانه عن الوساوس إلى ذكر اللّه تعالى، فإن وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حبّ المذكور، ومن أحبّ شيئًا أكثر ذكره، ومن أكثر ذكر شيء، وإن كان تكلّفًا، أحبّه»[٢].

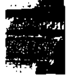
وبعد أن يطوي هذا العبد مسارات الذكر القلبيّ واللسانيّ، تتحقّق عنده أحوال تشغله عن ذكر غير اللّه، ويبقى فقط مع اللّه (جلّ شأنه)، إلى أن يكون محلًّا لنظر اللّه (سبحانه وتعالى)، كما جاء

---

(١) الطبرسي، حسين النوري: **نفس الرحمن في فضائل سلمان**، تحقيق الشيخ نعيم الأسدي، دار الجوادين، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص٢١٢.

(٢) الفيض الكاشاني، محسن: «جلاء القلوب»، المطبوع ضمن **مجموعة رسائل الفيض الكاشاني**، ج٤، تصحيح وتحقيق حسن قاسمي، إشراف محمّد الإمامي الكاشاني، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ١٣٨٨ش، ص٢٦٤.





في قول الفيض:

«إعلم أنّ كمال المحبّة أن يحبّ اللّه بكلّ قلبه، وما دام يلتفت إلى غيره، فزاوية قلبه مشغولة بغيره، فبقدر ما يشتغل بغير اللّه ينقص منه حبّ اللّه، إلّا أن يكون التفاته إلى الغير من حيث أنّه صنع اللّه، وفعل اللّه، ومظهر من مظاهر أسماء اللّه. والشوق لا يسكن قطّ، ولا سيّما ممّن يرى فوقه درجات كثيرة»[١].

واستشهد الفيض الكاشاني بقوله تعالى ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[٢]. فالعاشق للّه (سبحانه وتعالى) يحاول أن يكون أشدّ الناس حبًّا له، وذلك من خلال الشوق والالتفات إليه (جلّ شأنه). فيفني في ذاته كلّ متعلّقات الدنيا التي تصرفه عن مطلوبه، وذلك من خلال[٣]: «تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها، وذلك يجري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش [...] ثم يتولّد من هذا البذر شجرة المحبّة والمعرفة وهي الكلمات الطيّبة التي ضرب اللّه بها مثلًا[٤]، حيث قال ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٥]، وإليها الإشارة بقوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، أي المعرفة ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾»[٦].

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٦٨.

(٢) سورة **التحريم**، الآية ٨.

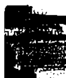
(٣) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، المجلّد الرابع، ص٣٣٥.

(٤) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، المجلّد الرابع، ص٣٣٤.

(٥) سورة **إبراهيم**، الآية ٢٤.

(٦) سورة **فاطر**، الآية ١١.





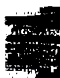
ويقصر بنا المقام، هنا، عن إدراك كلّ المعاني التي تؤدّي بقلوب أصحاب الذوق والشوق إلى اللّه تعالى، إذ كلّ مشتاق إنّما يحصل شوقه بعد نقص في ذاته، ويحاول إتمامه أو إكماله. وهذا يدفع المشتاق نحو الحركة الذاتيّة الباطنيّة، وذلك عن طريق إدراك جمال المحبوب وكماله غير المتناهي. فالعبد يوجّه الفكر بالذكر حتّى يحصل ما يُعرَف عند أرباب الذوق والوجد بـ«السريان»، وسبيله من ظاهر اللفظ إلى باطن القلب. فيسعى العبد نحو مشاهدة ما غاب عنه بعد أن تحصل عنده أنواع المكاشفات الباعثة على المعرفة؛ أي إنّ المعرفة لا تتحصّل إلّا بالإدراك، والإدراك لا يكون إلّا بمعرفة ناقصة. لهذا، تتّجه ذات العابد إلى إتمام ذلك النقص وإكمال تلك المعرفة لكي يصل إلى الإدراك المناسب لقابليّات العارفين. وأشار إلى هذا المعنى الحديث النبويّ الشريف الذي نصّه: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[1]. وجاء في الحادثة التي رواها الفيض الكاشاني عن إبراهيم بن أدهم الذي كان أحد المشتاقين أنّه قال:

«قلت ذات يوم: يا ربّ إن أعطيت أحدًا من المحبّين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك، فأعطني ذلك، فقد أضرّ بي القلق، قال: فرأيت في النوم كأنّه أوقفني بين يديه، وقال: يا إبراهيم أما أستحييت منّي أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي؟ وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه؟ فقلت: يا ربّ تهت في حبّك

---

(١) السبزواري، هادي: **شرح الأسماء (شرح دعاء الجوشن الكبير)**، تحقيق نجفقلي حبيبي، مؤسّسة العروة الوثقى، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٥١، كذلك: الحنفي، سليمان بن إبراهيم القندوزي: **ينابيع المودّة**، ج٢، تحقيق عليّ جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم، ط٢، ١٤٢٢ه، ص٤١٣.





فلم أدر ما أقول، فاغفر لي وعلّمني ما أقول، فقال: قل اللّهمّ رضّني بقضائك، وصبّرني على بلائك، وأوزعني شكر نعمائك»[١].

كما نجد في هذا المعنى العديد من الأحاديث الواردة عن الأئمّة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، منها ما ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ[٢]:

«المشتاق لا يشتهي طعامًا، ولا يلتذّ شرابًا، ولا يستطيب رقادًا، ولا يأنس حميمًا، ولا يأوي دارًا، ولا يسكن عمرانًا، ولا يلبس ثيابًا، ولا يقرّ قرارًا، ويعبد اللّه ليلًا ونهارًا، راجيًا بأن يصل إلى ما يشتاق إليه، ويناجيه بلسان الشوق، معبّرًا عما في سريرته، كما أخبر اللّه تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ميعاد ربّه ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾»[٣].

وفسّر النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن حاله أنّه: «ما أكل، ولا شرب، ولا نام، ولا اشتهى شيئًا من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يومًا، شوقًا إلى ربّه. فإذا دخلت ميدان الشوق فكبّر على نفسك ومرادك من الدنيا، ودع جميع المألوفات، واصرفه عن سوى مشوقك، ولبّ بين حياتك وموتك: «لبّيك اللّهم لبّيك». عظّم اللّه أجرك، ومثل المشتاق مثل الغريق، ليس له همّة إلّا خلاصه، وقد ينسى كل شيء دونه»[٤].

---

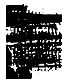
(١) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، المجلّد الرابع، ص٣٤٢.

(٢) **المحجّة البيضاء**، المجلّد الرابع، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٣) سورة **طه**، الآية ٨٤.

(٤) الصادق، جعفر: **مصباح الشريعة**، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٠، ص١٣٧.





٤. أقسام المحبّة

ويقسم الفيض الكاشاني المحبّة إلى قسمَين هما محبّة الذات ومحبّة الغير. ومحبّة الغير تنقسم إلى أقسام، فهي تحصل إمّا لحسنه وجماله، أو لإحسانه وكماله، أو لحصول تناسب بينه وبين المحبّ. ويكشف الكاشاني عن معنى محبّة الذات، ويرى أنّها أشدّ وأقوى لأنّها مكمن المعاني التي تتّصف بعنصر المعرفة، ثمّ يعطيها ارتباطًا بقدر الملائكة، ويعطي مثالًا على ذلك بقوله «إذا أشرقت الشمس في المرآة، رأت المرآة نفسها شمسًا، فتحبّ نفسها. وفي الحقيقة محبوبها الشمس، لأنّ المرآة ليست أكثر من قابل»[1]. أمّا محبّة الغير، فتكون إمّا لحسنه الظاهر في الصور الخارجيّة، التي تتّصف بالجمال، أو لمعنى آخر، هو القرب من اللّه أو التخلّق بالصفات الإلهيّة الكاملة، وذلك لأنّ الجمال محبوب لذاته سواء كان ذلك الجمال في الباطن أو في الظاهر. من هنا، نرى أنّ الفيض الكاشاني يقول: «لا يليق الجمال والكمال بغيره، لأنّ كلّ حسن، وجمال، وكمال، وبهاء يظهر على صفحات وجود الأشخاص. ومرائي قلوب الأفراد في مراتب الأكوان ومحالّ الأمكان إنّما هو انعكاس أنوار جمال الحضرة المتعالية وآثارها وكمالها الذي يظهر في مظاهر الاستعدادات، وينعكس في مرايا القابليّات وخصوصيّات القوابل:

وكلّ مليح حسنه من جماله معادله بل حسن كلّ مليحه

وإذا ظهرت على مرآة القلب وصفحة الروح سطوات تأثير ذلك الجمال، فإنّ الحقيقة، التي تكون حصيلة هذه المعاني، يسمّونها

---

(١) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص١٤١.





حسن السيرة»[١]. وفي الوقت ذاته، يرى الفيض أنّ المحبّة هي أعلى المقامات، وهي الغاية القصوى، والذروة العليا. والشوق والأنس إنّما هما ثمرتان من ثمرات المحبّة، ولا معنى لها إلّا من خلال المواظبة على طاعة اللّه (سبحانه وتعالى)[٢]. ويستشهد الفيض الكاشاني بمجموعة من الآيات والأحاديث الشريفة التي تنصّ على ثبوت حقيقة المحبة ولوازمها للّه (سبحانه تعالى) من غير تأويل. فقد قال اللّه تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[٣] وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[٤]. وقال النبيّ محمّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في دعاء له «اللّهمّ أرزقني حبّك وحبّ من أحبّك وحبّ ما يقربني إلى حبّك، واجعل حبّك أحبّ إليّ من الماء البارد»[٥]. وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، كما في دعاء كميل: «فهبني يا إلهي وسيّدي ومولاي وربيّ، صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك؟»[٦]. وقال الإمام الحسين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في دعاء يوم عرفة: «يا من أذاق أحبّاءه حلاوة المؤانسة، فقاموا بين يدّيه متملّقين»[٧]. وفي المناجاة المنسوبة إلى الإمام السجاد

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) **جلاء القلوب**، الفيض الكاشاني، المطبوعة ضمن **مجموعة رسائل**، ج٤، ص٢٦٤.

(٣) سورة **المائدة**، الآية ٥٩.

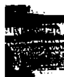
(٤) سورة **البقرة**، الآية ١٦٥.

(٥) شبّر، عبد اللّه: **الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة**، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٧٩. كذلك: الريشهري، محمّد: **ميزان الحكمة**، ج٤، دار الحديث، ط١، ١٤١٦ه، ص٢٧٩٧.

(٦) بحر العلوم، عزّ الدين: **أضواء على دعاء كميل**، ط٣، ١٩٨٧، ص٩٧.

(٧) القيومي، جواد: **صحيفة الحسين (ع)**، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط١، ١٣٧٤ ش، ص٢٢٠.





عَلَيْهِ السَّلَامُ «وعزّتك لقد أحببتك محبّةً استقرت في قلبي حلاوتها، وآنست نفسي ببشارتها، ومحال في عدل أقضيتك أن تسّد أسباب رحمتك عن معتقِدي محبّتك»[١]، وغير ذلك من الأحاديث الشريفة والآيات المباركة، وهي أكثر من أن تحصى.

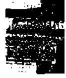
٥. آراء الفيض الكاشاني العرفانيّة وأثر مدرسة الحكمة المتعالية

أمّا القسم الثاني من هذا المبحث، فهو يتناول آراء الفيض الكاشاني في العرفان. فالفيض الكاشاني، شأنه شأن أستاذه صدر الدين الشيرازي، لم يدع مبحثًا أو مشربًا من المعارف والعلوم إلّا ولج فيه، ونهل من معارفه، واتّخذه مشربًا خاصًّا به، ومعينًا يرتوي به غيره من الآتين بعده. لذا، لا بدّ من قول إنّ الفيض الكاشاني هو أحد أفذاذ مدرسة الحكمة المتعالية، وأحد الملتزمين بها، تماشيًا مع أستاذه الشيرازي القائل بالعرفان، أو قل الكشف والشهود. ونجد ذلك واضحًا في العديد من المؤلّفات التي خطّها وصاغها الكاشاني بعبارات باطنيّة وإشارات عرفانيّة يدرك حلاوتها من تذوّق المشرب السلوكيّ العرفانيّ في المسير الباطنيّ. وقسم السفر المعنويّ إلى قسمَين: أوّلهما السفر الظاهريّ أو الصوريّ، الذي يتحصّل في المظاهر الخارجيّة المرتبطة بعالم المادّة، والكثافة، والهيولى، والذي يرتبط أيضًا بمعنى المكان والزمان. فالزمان

---

(١) المجلسي، محمّد باقر: **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**، ج٩١، تحقيق السيّد إبراهيم الميانجي ومحمّد باقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ص١٧٠.





والمكان، يتحقّق السفر، مع حمل الأمتعة الخاصّة لكلّ سفر. لذا، فهو يورد في السفر الظاهريّ مجموعةً من العوامل المرتبطة به، ألا وهي المبدأ، والمنتهى، ومسافة الطريق، والزاد، والراحلة، والرفيق، والدليل[١].

أمّا القسم الثاني، فهو السفر الباطنيّ المعنويّ المرتبط بتحصيل الكمالات الحقيقيّة، وهذا السفر له مبدأ ومنتهى. ومبدأ السفر المعنويّ هو «الجهل والنقص الطبيعيّ الذي أُخرِجَ معه من بطن أمه»[٢]، بدليل قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا﴾[٣]. أمّا منتهاه فهو «الكمال الحقيقيّ الذي هو فوق جميع الكمالات، وهو الوصول إلى الحقّ (سبحانه)[٤]، بدليل قوله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾[٥] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[٦]. وللسفر الباطنيّ أيضًا طريق، وزاد، وراحلة، ومتاع، لكنّ المتاع والطريق يختلفان عمّا هما عليه في الطريق الظاهريّ. فالطريق الباطنيّ يرتبط بالمراتب والكمالات العلميّة والعمليّة التي ترتبط برقيّ الإنسان؛ أي يرتبط بالروح دونًا عن البدن، وبطيّ المنازل والمراتب عن طريق السير المعنويّ الذي يرتقي بالسالك إلى أقصى

---

(١) الفيض الكاشاني، محمّد بن المرتضى: **زاد السالك**، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، منشورات جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، ط١، ١٤٣٣ﻫ، ص١٢.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

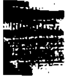
(٣) سورة **النحل**، الآية ٧٨.

(٤) **زاد السالك**، الفيض الكاشاني، ص١٢.

(٥) سورة **النجم**، الآية ٤٢.

(٦) سورة **الانشقاق**، الآية ٦.





غايات سلوكه، ألا وهو الفناء[١]. والمراد بفناء العبد في الحقّ ليس فناء ذاته، «بل فناء جهة بشريّته في جهة ربوبيّة، إذ لكلّ عبد جهة من الحضرة الإلهيّة ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[٢]، ولا يحصل هذا الفناء إلّا بالتوجّه التامّ لجناب الحقّ المطلق حتّى تغلب جهة الحقيقة وتقهر جهة الخلقيّة»[٣].

ولهذا السفر منازل ودرجات هي الصفات الحميدة التي ينبغي أن يتّصف بها السالك، وعندها تحصل الأحوال[٤] والمقامات[٥] الروحيّة لأنّ بعضها فوق بعض، ويرتقي السالك إليها بالتدريج. أمّا المنزل الأوّل، فهو اليقظة، والمنزل الأخير هو التوحيد، لأنّه المقصد الأخير في هذا السفر. وتفاصيل هذه المنازل والدرجات في كتاب

---

(١) الفناء: هو سقوط الأوصاف الذميمة عن السالك أو المريد الصادق، الذي إذا فني عن التصرفات الذميمة، فني عن شهواته، وبقي له إخلاصه وطاعته في عبوديّته. فإذا فنيت نقائصه الذميمة بقيت له كمالاته الخلقيّة. ينظر: الشرقاوي، حسن: **معجم الألفاظ الصوفيّة**، مؤسّسة المختار للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٧، ص٨٩.

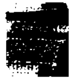
(٢) سورة **البقرة**، الآية ١٤٨.

(٣) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص١٧٢.

(٤) الحال عند القوم معنًى يرد على القلب من غير تعمّد ولا اجتلاب ولا اكتساب، من طرب أو حزن، أو بسط أو قبض، أو شوق أو انزعاج، أو هيبة أو احتياج. القشيري، عبد الكريم: **الرسالة القشيريّة في علم التصوّف**، تحقيق وإعداد معروف زريق وعليّ عبد الحميد بلطهجي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ص٥٧.

(٥) المقام: هو استيفاء حقوق المراسم، فإنّه من لم يستوف حقوق ما فيه من المنازل لم يصح له الترقّي إلى ما فوقه. يراجع: القاشاني، عبد الرزاق: **اصطلاحات الصوفيّة**، ضبط وتصحيح وتعليق الدكتور عاصم إبراهيم الكيّالي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ص٧٧.





منازل السائرين[١][*]. ويتّضح للباحث - من ذلك كلّه - أنّ الصفات الحميدة هي التي توصل السالك إلى الأحوال والمقامات؛ أي إنّ كلّ صفة من هذه الصفات هي مقام من المقامات وحال من الاحوال. بعد ذلك، ينتقل الفيض إلى مسألة أخرى، هي مسافة الطريق في هذا السفر، فيقول إنّ مسافة الطريق هي «مراتب الكمالات العلمية والعملية التي تطويها الروح شيئًا فشيئًا، فيما لو كانت موافقةً لصراط الشرع المستقيم الذي هو طريق الأولياء والأصفياء»[٢]. واستشهد على ذلك بقوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[٣]. ومن أجل الوصول إلى أعلى الكمالات، ينبغي التركيز على العبادات لأنّها التي من خلالها، كما يقول الفيض الكاشاني، «يصل كلّ مخلوق لكماله اللآئق به ليفوز في العقبى بالسعادة العظمى والفردوس الأعلى، وليكون سعيدًا بحسب منتهى همّته»[٤].

---

(١) **زاد السالك**، الفيض الكاشاني، ص١٤.

(*) **منازل السائرين**، هو كتاب في السير والسلوك لمؤلّفه أبي إسماعيل عبد الله بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن جعفر بن منصور بن متّ الحدوي من ذرّيّة أبي أيّوب الأنصاري؛ ولد سنة ستّ وتسعين وثلاثمئة. للمزيد من التفاصيل، راجع كتاب: الأنصاري، أبو إسماعيل عبد الله: **منازل السائرين**، شرح كمال الدين عبد الرزاق القاساني، تحقيق وتعليق محسن بيدار فر، انتشارات بيدار، قم، ط٣، ١٤٢٧ﻫ، ص٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨.

(٣) سورة **الأنعام**، الآية ١٥٣.

(٤) الفيض الكاشاني، محمّد محسن: ترجمة الشريعة، المطبوع ضمن كتاب **العرفان والسلوك عند أهل البيت**، شرح رسالة السالك للفيض الكاشاني، شرح مير جلال الدين المحدث الأرموي، دار الصفوة، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص١١٥.





وبحسب ما يرى الفيض الكاشاني، فإنّ هذه الكمالات «مترتّبة بعضها على بعض، فلا يمكن الانتقال إلى الكمالات المتأخّرة ما لم يطوِ الكمال المتقدّم»[١]. ومنازل هذا السفر هي «الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة، حيث يحصل الترقّي والانتقال في أحوال ومقامات الروح [أحوال الروح ومقاماتها] من كلّ منزلة إلى المنزلة التي فوقها بشكل تدريجيّ»[٢]. فالمنزل الأوّل هو اليقظة، التي هي المعرفة، والمنزل الأخير هو التوحيد، الذي هو المقصد الأقصى لهذا السفر[٣]. وهذا السير يكون بالجدّ، والعمل، ومخالفة الهوى، وقطع سبل الظلام، والتوجّه التامّ إلى حضرة القدس ومنبع الأنوار. لذا، يقول الكاشاني[٤]:

«ومسير هذا السفر هو السعي التامّ، والجهد البالغ، وانتخاب الهمّة في قطع هذه المنازل بمجاهدة النفس ورياضتها؛ بحمل أعباء التكاليف الشرعيّة من الفرائض والسنن والآداب ومراقبة النفس ومحاسبتها آنًا فآنًا ولحظةً فلحظةً، وحصر الهموم وجعلها همًّا واحدًا والانقطاع إلى الحقّ سبحانه وتعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾».

أي إنّ السالك ينبغي له عبادة اللّه (عزّ وجلّ) والسير نحوه من خلال الاتّجاه نحو العبادة ومراقبة النفس، ما سيجعله مطيعًا للّه، «وطاعته سبحانه توجّه نحو الملوكيّة والأمر المطاع، ومن هذه

---

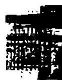
(١) **زاد السالك**، الفيض الكاشاني، ص١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣-١٤.

(٣) **زاد السالك**، الفيض الكاشاني، ص١٤.

(٤) **زاد السالك**، الفيض الكاشاني، ص١٥.





الجهة أُطلِق على التكاليف الشرعيّة اسم الشريعة والسنّة، سواء كانت الشريعة والسنّة بمعنى الطريق أو السير في الطريق، ولا بدّ أن توصل السالك إلى المقصد إذا سار على طريق الاستقامة»[١].

وراحلة هذا السفر، كما يرى الفيض، هو البدن وقواه، ف«إذا لم يكن البدن صحيحًا وقويًّا، لا يمكن الإتيان بأيّ عمل»[٢]، ومن ترك البدن وقواه ولم يتقيّد بالآداب والسنن الشرعيّة «فإنّه لا يطوي طريق الحقّ»[٣]. وأدلّاء هذا الطريق هم الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ «الذين أوضحوا الطريق، ووضعوا السنن والآداب، وأخبروا بالمصالح والمفاسد، وساروا بأنفسهم في هذا الطريق، وأمروا أمّتهم باتّباعهم»[٤]. وخير من يمثّل هذا الطريق هو النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسائر الأئمّة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقد أمر الباري (سبحانه وتعالى) الأمّة بالتأسّي بهم[٥]. وقد قال اللّه (سبحانه وتعالى) ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٦] و﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٧]. ويُضَاف إليهم العلماء، والعبّاد، والسالكون، لأنّ هؤلاء يمدّ أحدهم الآخر، ويعين بعضهم بعضًا، «فليس كلّ شخص يمكنه الاطّلاع بسرعة على عيب نفسه، ولكنّه يقف بسرعة على عيب غيره [...] فإذا أقام عدّة أشخاص ببناء أنفسهم سويّةً، وأخبر أحدهم الآخر بعيوبه وآفاته، فإنّ

---

(١) **ترجمة الشريعة**، الفيض الكاشاني، ص١١٦.

(٢) **زاد السالك**، الفيض الكاشاني، ص١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١٩.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) ينظر: **ترجمة الشريعة**، الفيض الكاشاني، ص١١٧.

(٦) سورة **الأحزاب**، الآية ٢١.

(٧) سورة **آل عمران**، الآية ٣١.





الطريق يُطوَى لهم بسرعة»[١].

ويمكن معرفة كيفيّة تحصيل هذه الأمور العالية، التي بها تشرق الأنوار الإلهيّة على قلب العارف، وذلك من خلال مفهوم التقوى. فالفيض يربط التقوى بالشرع من خلال الالتزام بالأحكام الشرعيّة التي تساعد على كشف بصيرة السالك لكي يتنوّر قلبه، كما المربّي أو الشيخ، الذي يكون قد خاض غمار هذا البحر اللجيّ، والذي انتهى به إلى الفناء الروحيّ والبقاء في محضر الإله. ويعرّف[٢] الفيض الكاشاني التقوى بأنّها: «القيام بما أمر به الشارع والاجتناب عمّا [واجتناب ما] نهى عنه عن بصيرة، ليكون القلب بنور الشرع ويُصقَل بالتكاليف مستعدًّا لتلقّي فيوض المعرفة من الحقّ (عزّ وجلّ) ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾»[٣].

أي إنّ التقوى هي تجنّب المعاصي التي قد يرتكبها الفرد السالك، والتي قد تؤدّي إلى حرمانه من الوصول إلى المقامات العليا التي يبتغيها. فالأحرى به أن يبتعد عن المعاصي خوفًا من سخط الباري (جلّ وعلا)، «كما أنّ المريض الطالب لصحّته يجب عليه الاجتناب عن كلِّ ما يضرّه ويزيد به مرضه ليُمكن علاجه وينفع دواؤه، كذلك طالب الكمال يجب عليه أنْ يجتنب المنافي للكمال ويجتنب المانع من الوصول إليه، لئلّا يُشغله عن سلوك طريق الحقّ»[٤].

---

(١) ينظر: **زاد السالك**، الفيض الكاشاني، ص١٩.

(٢) **زاد السالك**، الفيض الكاشاني، ص١٥-١٦.

(٣) سورة **البقرة**، الآية ٢٨٢.

(٤) الطوسي، أبو جعفر نصير الدين: **أوصاف الأشراف**، ترجمة محمّد الخليلي، =



كما أنّ الفيض الكاشاني قد استقى هذا المشرب، أوّلًا، وبالذات، من كلام المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الأسرار، كما جاء في قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة»[١]. وكذلك قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ مشيرًا إلى صدره: «إن ههنا لعلمًا جمًّا لو أصبت له حملةً»[٢].

٦. أقسام السالكين

يقسم الفيض الكاشاني السالكين في طريق الآخرة إلى ثلاثة أقسام. وهذه الأقسام هي:

أ. السابقون/ ب. أهل اليمين/ ج. أهل الشمال.

وهذا التقسيم الثلاثيّ إنّما استنتجه الفيض الكاشاني من خلال قوله تعالى ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٣]، وكذلك قوله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ

= تحقيق وتقديم السيّد محمّد عليّ الحيدري الحسني، مؤسّسة بضعة المختار (ص) لإحياء تراث أهل البيت (ع)، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ه، ص٧٨.

(١) البحراني، كمال الدين بن ميثم: **قواعد المرام في علم الكلام**، تحقيق السيّد أحمد الحسيني، باهتمام محمود المرعشي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ط٢، ١٤٠٦ه، ص١٨٤.

(٢) الطوسي: **الأمالي**، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ط١، ١٤١٤ه، ص٢١.

(٣) سورة **الواقعة**، الآية ٧-١١.





لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[١].

أ. السابقون

هم أهل الوحدة المنزّهون عن الطريق وعن السلوك «بل هم مقصد كلّ السالكين»[٢] ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[٣]، فهم «إن حضروا لم يُعرَفوا وإن غابوا لم يُفقَدوا»[٤]؛ أي هم «الذين سبقوا إلى الجنّة بلا حساب»[٥]، وهم «رسل اللّه وخاصّة اللّه من خلقه جعل فيهم خمسة أرواح: أيّدهم بروح القدس، فبه عرفوا الأشياء، وأيّدهم بروح الإيمان، فبه خافوا اللّه (عزّ وجلّ)، وأيّدهم بروح القوّة، فبه قدروا على طاعة اللّه، وأيّدهم بروح الشهوة، فبه اشتهوا طاعة اللّه (عزّ وجلّ) وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون»[٦].

والسابقون هم المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم اللّه إليه، وشقّوا الغبار في طلب مرضاة اللّه (عزّ وجلّ)، كما في **تفسير الكشّاف** للزمخشري[٧]. ومن المعلوم أنّ أهل هذه الفئة من السالكين هم أعلى مرتبةً، وشأنهم مشاهدة الحقايق، وملاحظة عظمة اللّه

---

(١) سورة **فاطر**، الآية ٣٢.

(٢) **مرآة الاخرة**، الفيض الكاشاني، ص٩٥.

(٣) سورة **الكهف**، الآية ٢٨.

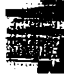
(٤) **بحار الأنوار**، المجلسي، ج٧٤، ص٧٧.

(٥) **تفسير الصافي**، الفيض الكاشاني، ج٣، ص٣٩٣.

(٦) **تفسير الأصفى**، الفيض الكاشاني، ص٨٠٢.

(٧) **الكشّاف**، الزمخشري، ص١٠٧٥





وملكوته. وقد شغلهم الله بمحبّته عن محبّة ما سواه، وأغناهم عن الطعام والشراب وعن النظر إلى غيره، فمنزلتهم منه منزلة الملائكة العليّين، المجرّدين عن الأجرام كلّها، وعن التعلّق بها[١].

فمرور هذا القسم من السالكين على الصراط «كالبرق الخاطف، ولا يصيبهم منها شيء وهي خامدة»[٢].

ب. أهل اليمين

وهم أخيار العالم، و«لهم مراتب كثيرة بحسب درجات الجنّة، وهم متفاوتون في الثواب»[٣]، إذ قال تعالى ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾[٤]. وهذه الفئة من السالكين يُنقَذون من النار[٥] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٦]. فأهل اليمين هم:

«أهل التربية، فهم دائمًا في السلوك حتى يحصلوا على كمال بعد كمال، ودرجة بعد درجة ﴿لَهُمۡ غُرَفٌ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٌ﴾[٧]. قد تخلّصوا من عذاب أهل التضادّ ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[٨]: الحزن على ما فات والخوف على ما يأتي، لأنّهم كانوا مجبرين

---

(١) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص٩٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٩٦.
(٣) المصدر نفسه، ص٩٥-٩٦.
(٤) سورة **الأحقاف**، الآية ١٩.
(٥) المصدر نفسه، ص٩٥-٩٦.
(٦) سورة **مريم**، ٧٢.
(٧) سورة **الأنعام**، الآية ١٣٢.
(٨) سورة **يونس**، الآية ٦٢.





على الدنيا ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[١] فقد أصبحوا في الآخرة مطلقين، لهم ﴿فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾[٢] ليكون لكلّ - بحكم العدالة - نصيبه من الجبر والاختيار»[٣].

وقد يكون معنى «أصحاب الميمنة»، كما في بعض التفاسير، «الأشخاص الذين يعطون صحيفة أعمالهم بأيديهم اليمنى، وهذا الأمر رمز لأهل النجاة ودليل الأمان للمؤمنين والصالحين في يوم القيامة»[٤]، أو كما قال صدر الدين الشيرازي من أنّ مبدأ أعمالهم «العقل العمليّ بوساطة الإدراكات الباطنيّة الجزئيّة، كالتخيّل وما يجري مجراه، وغايتها [الإدراكات] طلب الخيرات المظنونة والسعادات المقبولة»[٥]. وأمّا الفيض الكاشاني، فيرى أنّ أصحاب الميمنة هم «المؤمنون من أصحاب التبعات يوقفون للحساب»[٦]؛ أي إنّ هؤلاء هم المؤمنون الذين جعل اللّه فيهم «روح الإيمان، فبه خافوا اللّه، وجعل فيهم روح القوّة، فبه قووا على طاعة اللّه، وجعل فيهم روح الشهوة، فبه اشتهوا طاعة اللّه، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون»[٧].

---

(١) سورة **الأحزاب**، الآية ٢٠.

(٢) سورة **الفرقان**، الآية ١٦.

(٣) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص٩٨.

(٤) **تفسير الأمثل**، الشيرازي، ج١٣، ص٤٩٥.

(٥) الشيرازي، صدر الدين: **تفسير القرآن الكريم**، تصحيح محمّد خواجوي، ج٧، انتشارات بيدار، قم، ط٣، ١٣٧٩ هـ. ش.، ص٢١.

(٦) **تفسير الصافي**، الفيض الكاشاني، ج٣، ص٣٩٣.

(٧) المصدر نفسه، ص٣٩٤.

وهنا، يلاحظ الباحث أنّ هذَين القسمَين من السالكين يبلغون الجنّة، وأنّ كمال أحدهما يرتبط بكمال الثاني، ففي «كمال أهل اليمين الجنّة، وكمال الجنّة السابقون»[١]. ويستشهد الفيض الكاشاني بالحديث المرويّ «وإنّ الجنّة أشوق إلى سلمان من سلمان نفسه»[٢].

ج. أهل الشمال

هم القسم الثالث والأخير من السالكين، و«هم أشرار العالم، وهؤلاء وإن كانوا على دركات، ولكنّهم في العذاب متساوون»[٣]، إذ قال تعالى ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾[٤]، وهم مصداق لقوله تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[٥]. وفي قوله تعالى ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾[٦] دلالة واضحة على الشؤم والتعاسة. واستلام هؤلاء صحائف أعمالهم بأيديهم اليسرى إنّما هو دليل على «سوء عاقبتهم، وعظيم جرمهم وجنايتهم، نتيجة عمى البصيرة

---

(١) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص٩٨.

(٢) جاء هذا الحديث بصيغ أخرى هي «الجّنة أشوق إلى سلمان من سلمان إلى الجنّة. يراجع: المسعودي، محمّد فاضل: **الأسرار الفاطميّة**، تحقيق وتقديم السيّد عادل العلوي، مؤسّسة الزائر، قم، ط٢، ١٤٢٠هـ، ص٤٦. و«الجنّة أشوق إلى سلمان من سلمان إليها» يراجع: الخميني، مصطفى: **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، تحقيق ونشر مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط١، ١٤١٨هـ، ص٤٩.

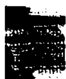
(٣) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص٩٦.

(٤) سورة **الأعراف**، الآية ٣٨.

(٥) سورة **الصافات**، الآية ٣٣.

(٦) سورة **الواقعة**، الآية ٩.





والسقوط في وحل الظلال»[١]. وإنّ مبدأ أعمال هذه الطائفة هو «القوة المحرّكة الحيوانيّة المسمّاة بـ«الشوقيّة»، بوساطة الإدراكات الحسّيّة، وغايتها إمّا طلب الشهوة بالأكل، والجماع، وما يجري مجراهما، أو الغضب بالغلبة، والانتقام، وما يشبههما»[٢]. وهؤلاء قد عبّر عنهم الفيض بأنهم «أهل التضادّ» مع الأحوال المتضادّة الموجودة في هذا العالم المتقابل كالوجود والعدم، والموت والحياة، والعلم والجهل، والقدرة والعجز، واللذّة والألم، والسعادة والشقاء، وهؤلاء هم الخائبون «لأنّهم المعتمدون على أنفسهم ولا يمكنهم الخلاص ذاتيًّا»[٣]، كما قال تعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾[٤].

٧. معنى الواصلين والسالكين

يقسم الفيض الكاشاني المؤمنين إلى طائفتَين، هما طائفة المحقّين الواصلين، وطائفة السالكين الصادقين. ويقول الفيض إنّ أهل الطائفة الأولى هم أهل القلوب. أمّا أهل الطائفة الثانية، فقال إنّهم أهل السمع، كما جاء في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٥]. وأهل الطائفة الأولى لهم ثلاثة ألقاب، هي «السابقون»، و«عباد الله» و«المقرّبون». أمّا السابقون، فقد

---

(١) **الأمثل**، الشيرازي، ج١٣، ص٤٩٥.

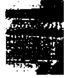
(٢) الشيرازي، صدر الدين محمّد بن إبراهيم: **تفسير القرآن الكريم**، ج١، تصحيح محمّد خواجوي، انتشارات بيدار، قم، ط٣، ١٣٧٩ هـ.ش.، ص٢١.

(٣) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص٩٧.

(٤) سورة **النساء**، الآية ٥٦.

(٥) سورة **ق**، الآية ٣٧.





سُمُّوا بهذا الاسم، كما يقول الفيض الكاشاني، «لاتّصافهم بالمحبّة، والمحبّة حارّة، والحرارة تقتضي الغليان، والحركة، والمبادرة»[١]. والعين التي أعدّها اللّه جزاءً لهم هي عين الزنجبيل لأنّها «حارّة بطبعها، فهي مشاكلة لحالهم، ملائمة لأحوالهم ومذاقهم. فهي حرارة وغايتها السلسبيل، أي الحركة والسلامة»[٢]. وأمّا عباد اللّه، فيوعز الكاشاني سبب تسميتهم إلى «اتّصافهم بالرضا، وترك الفضول عبودية وتواضع، ولا سيما عندما لقبوا بالعباد وبخاصّة مضافًا إلى الرحمن، ووصفهم بالرضا المبني على اللين والسكون»[٣]، إذ يقول تعالى ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[٤]. والعين التي أُعدَّت لهؤلاء هي عين الكافور، وذلك «لأنّ الرضا بارد والبرودة تقتضي السكون والطمأنينة»[٥].

وأمّا المقرّبون، فيوعز الكاشاني سبب تسميتهم بهذا الاسم إلى «نصيبهم من القرب باستواء الذات الخارجة عن تلوّث الصفات، والالتفات إلى الجهات، والتقيّد بالسكون والحركات؛ وهذا أشرف الألقاب لهم»[٦]. والعين التي أعدّ اللّه لمن يتّصف بهذه الصفة هي عين التسنيم. والتسنيم مشتقّ من السنام، وهو أعلى ظهر الجمل؛ وهذه العين تولد من أعلى مقام هناك، حيث ملتقى الأطراف

---

(١) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص١٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠١.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) سورة **الفرقان**، الآية ٦٣.

(٥) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص١٠٢.

(٦) المصدر نفسه، ص١٠٤.





ومستوى الأعراف، خارجةً عن الكيفيّات المتضادّة[١]. وهذه الصفة تختلف عن الصفات السابقة، فهي ليست حارّةً بطبيعتها لتكون زنجبيلًا، كما أنّها ليست باردةً لتكون كافورًا، «فهي تأتي من تحت العرش نحو مقامات أهل الجنة تملأ آنيتهم، وكلّما ملأت إناءً توقّفت عن الصبّ»[٢].

يتّضح ممّا سبق أنّ كلّ عين من هذه العيون تختصّ بفئة معيّنة «بسبب الخواصّ التي يتمتّع بها أهل القلب وأصحاب اليقين. وأمّا عامّة المؤمنين، الذين هم أهل السمع، فليس عندهم الاستطاعة لصرفها، ولكنّها بحسب علاقة إلقاء السمع وتلقّي الخطاب الثاني لهم مع أهل القلب، فإنّه يُخلَط شيء من ذلك مع شرابهم»[٣]، كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[٤] أو كما قال تعالى في آية أخرى ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۞ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾[٥] أو ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۞ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٦]. وأهل السمع - في هذه المقامات - هم عامّة المخلصين، وقد سُمُّوا بـ«الأبرار». وفي مقام التطبيق، يقع السابقون بإزاء عباد اللّه، وأصحاب الميمنة بإزاء السابقين، وأصحاب اليمين بإزاء المقرّبين[٧].

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) سورة **الإنسان**، الآيتان ٥ و٦.

(٥) سورة **الإنسان**، الآيتان ١٧ و١٨.

(٦) سورة **المطفّفين**، الآيات ٢٢ إلى ٢٨.

(٧) **مرآة الآخرة**، الفيض الكاشاني، ص١٠٥.

٨. الإنسان الكامل عند الفيض الكاشاني





إنّ اللّه حينما خلق الإنسان، وجعله حجّة اللّه وخليفته في الأرض، إنّما كان ذلك بسبب تعدد قابليّات تلك الموجودات التي تتفاوت في مراتبها من جهة التكامل الروحيّ. والتكامل الروحيّ هو عنصر فاعل في تحقيق الخلافة ، انطلاقًا من قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١] وكذلك قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[٢] وقوله ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٣]. فخليفة اللّه يجب أن ينطوي على الخصال الإلهيّة، لكونه يحقّق الوجود الأكمل الذي صار به الإنسان إلهيًّا، وصفاته هي من صفات المستخلف عنه. أمّا إن كان بخلاف ذلك، فهو ليس بخليفة. لذا قال سبحانه وتعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[٤] حيث استخدم الجمع المحلّى بالألف، واللام المؤكّدة بـ«كلّ»، وقدّم ذلك كلّه على مسألة الخلافة لأهميتّه[٥].

وما دام هذا الإنسان خليفة اللّه في أرضه، لا بدّ من أن تكون له مميّزات وخصائص يمتاز بها عن الآخرين. فهو من خلال هذه المميّزات والخصائص استطاع أن يحصل على تلك الشرفيّة في المرتبة. وهذا الإنسان إنّما ترقّى برياضاته الروحيّة ومجاهداته النفسيّة حتّى صار مثالًا يحتذى به، ومحلًّا لنزول العطاءات الإلهيّة،

---

(١) سورة **البقرة**، الآية ٣٠.

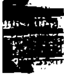
(٢) سورة **البقرة**، الآية ١٢٤.

(٣) سورة **ص**، الآية ٢٦.

(٤) سورة **البقرة**، الآية ٣١.

(٥) ينظر: الآملي، حسن زاده: **الإنسان الكامل في نهج البلاغة**، ترجمة عبد الرضا افتخاري، منشورات مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، ط١، ١٤١٦ه، ص٨٧.





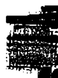
وإنسانًا كاملًا. فالإنسان الكامل هو الإنسان النموذجيّ، والإنسان الأعلى، والإنسان الأسمى، كأيّ شيء فيه الكمال[١]. لذا استحقّ الإنسان، برأي الفيض، أن يكون هو المظهر للأسماء الإلهيّة، فقال: «وذلك المظهر الجامع هو الإنسان الكامل الذي هو مخزن الأنوار الإلهيّة، ومكمن الفيوض اللآمتناهية، بل مخزن كلّ الوجود ومفتاح جميع خزائن الجود»[٢]. ثمّ يترقّى الفيض الكاشاني في وصف الإنسان الكامل حتى يعدّه الظهور الأتمّ والسبب لخلق الإنسان، ويقول إنّه جامع للكون: «وهو الجامع أيضًا بين الحقائق الوجوبيّة ونسب الأسماء الإلهيّة، بين الحقائق الإمكانيّة والصفات الخلقيّة. هو جامع بين مرتبتّي الجمع والتفصيل، محيط بجميع ما في سلسلتَي الوجود من المراتب»[٣]. أمّا حقيقة الإنسان الكامل، فتتجلّى في كونه جامعًا لأنواع العلوم في جميع المراتب، إذ إنّه يتوسّط طرفَين: أحدهما الخالق والآخر المخلوق. وهو الكون الجامع المتضمّن لسائر المظاهر، المشتمل على جملة المراتب[٤].

وبهذا، يكون ذلك الإنسان هو المدبّر للعالم بالأسماء الإلهيّة، والتجلّي الحاصل من الذات الإلهيّة في ذات الإنسان الكامل يكون بحسب قابليّته واستعداده. «وبالجملة، فإنّ الحقّ سبحانه وتعالى يتجلّى في مرآة قلب الإنسان الكامل، الذي هو خليفته (عزّ وجلّ)،

---

(١) المطهّري، مرتضى: **الإنسان الكامل**، ترجمة جعفر صادق الخليلي، منشورات مؤسسة البعثة، بيروت، ط٢، ١٩٩٢، ص٥.
(٢) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص١٨٠.
(٣) المصدر نفسه، ص١٨٢.
(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص١٨٣.





ويفيض عكس أنوار التجليّات من مرآة قلبه على العالم. وبوصول ذلك الفيض يبقى، وما دام هذا الكامل باقيًا في العالم، فإنّه يستمدّ من الحقّ التجلّيات الذاتيّة والرحمة الرحمانيّة والرحيميّة بواسطة الأسماء والصفات التي تكون هذه الموجودات مظاهر ومحالّ لاستوائها»[١].

وقد جعل اللّه (سبحانه وتعالى) الأرض من أجل الإنسان الكامل بمنزلة «إمام يجتمع عنده الخلائق [...] ولهذا جعل اللّه سبحانه المخلوقات العالية والسافلة كلها مسخّرةً له، مطيعةً إيّاه كما قال سبحانه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[٢] و﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[٣] و﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ﴾[٤]. فأشار اللّه في هذه الآيات إلى تسخيره الكواكب والحيوانات والنباتات والجمادات من أجلنا، ثم أجمل قائلًا ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ﴾[٥] إنّما خُلِقَ للإنسان. والإنسان خُلِقَ للكامل منه، والكامل للأكمل منه، والأكمل للّه سبحانه[٦].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٨٥.

(٢) سورة **إبراهيم**، الآية ٣٣.

(٣) سورة **النحل**، الآية ١٣.

(٤) سورة **النحل**، الآية ١٤.

(٥) سورة **الجاثية**، الآية ١٣.

(٦) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص١٩٢-١٩٣.



الفصل الرابع

الآراء الكلامية عند الفيض الكاشاني



التوحيد عند الفيض الكاشاني

١. مراتب التوحيد عند الفيض الكاشاني

التوحيد هو من جملة الطاعات القلبيّة التي تدخل في باطن الإنسان، وهو من أعظم الطاعات؛ ويقابله الشرك، وهو من أعظم المعاصي. لذا، ورد في بعض الأدعية عن الأئمّة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قولهم: «ربّ إنّي أطعتك في أحبّ الأشياء إليك وهو التوحيد، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الشرك»[1]. والتوحيد هو البحر الخضمّ الذي لا ساحل له، وفيه عدّة مراتب يتلقّى الإنسان منها بمقدار قابليّاته، وهي:

١. توحيد القشر: وهذا النوع من التوحيد «يؤمن به عامّة الناس، وهو نفي الشريك المماثل لذاته سبحانه في الذات والصفات، فإنّه لا يشبهه شيء»[2]. وفي هذه المرتبة، تكون شهادة لا إله إلّا اللّه باللسان، ويكون قلب صاحب هذه المرتبة «غافل منه [غافلًا عنه]

---

(١) الكفعمي، تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد العاملي: **المصباح**، دار الكتاب العربي، بغداد، ط١، ٢٠٠٨،ص٢٩١.

(٢) الصدر، محمّد: فقه **الأخلاق**، ج١، هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر (النجف الأشرف) ودار ومكتبة البصائر (بيروت)، ١٤٣١ه، ص٤٠.

أو منكر [منكرًا] له، كتوحيد المنافقين»[١]. وعدّ الفيض الكاشاني صاحب هذه المرتبة موحّدًا، لكن توحيده «بمجرّد اللسان، ويعصم صاحبه في الدنيا من السيف والسنان»[٢]. أمّا سبب تسمية هذه المرتبة بـ«توحيد القشر»، فذلك لأنّ القشر هو «كلّ علم ظاهر يصون به العلم الباطن، الذي هو لبّه، عن الفساد كالشريعة للطريقة، والطريقة للحقيقة. فإنّ من لم يصن حاله وطريقته بالشريعة فسد حاله وآلت طريقته هوًى وهوسًا ووسوسةً. ومن يتوصّل بالطريقة إلى الحقيقة ولم يحفظها بها، فسدت حقيقته وآلت إلى الزندقة والإلحاد»[٣].

٢. توحيد قشر القشر: وصاحب هذه المرتبة «يصدّق بمعنى اللفظ قلبه كما صدّق به عموم المسلمين، وهو اعتقاد»[٤]، أي إنّه «معتقد بقلبه، خال من التكذيب بما انعقد عليه قلبه. وهو عقدة على القلب، ليس فيه انشراح وانفتاح، ولكنّه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة»[٥].

٣. توحيد اللبّ: وفي هذه المرتبة، «يشاهد ذلك ببصيرة قلبه، بواسطة نور الحقّ، وهو مقام المقربّين، وذلك بأن يرى أشياء كثيرةً لكن يراها صادرةً من [عن] الواحد القهّار»[٦]، ويكون الفرد فيها موحّدًا بمعنى «أنّه لم يشاهد إلّا فاعلًا واحدًا، إذا انكشف

---

(١) **الكلمات المضنونة**، الفيض الكاشاني، ص٢٥١.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٥٢.
(٣) **أسرار الشريعة**، حيدر الآملي، ص٦٨.
(٤) **الكلمات المضنونة**، الفيض الكاشاني، ص٢٥١.
(٥) المصدر نفسه، ص٢٥٢.
(٦) المصدر نفسه، ص٢٥١.





له الحقّ كما هو عليه، لا أنّه كلّف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة»[١]. وسبب تسمية هذه المرتبة من التوحيد بـ«توحيد اللبّ» أنّ اللبّ «هو العقل المنوّر بنور القدس الصافي عن قشور الأوهام والتخيّلات»[٢].

٤. توحيد لبّ اللبّ: وفي هذه المرتبة، يرى الفرد أن لا وجود في هذا العالم إلّا واحدًا، وهو «مشاهدة الصدّيقين، ويسمّيه أهل المعرفة الفناء في التوحيد، لأنّه من حيث لا يرى إلّا واحدًا، فلا يرى نفسه أيضًا، وإذا لم ير نفسه، لكونه مستغرقًا بالواحد، كان فانيًاعن نفسه في توحيده، بمعنى أنّه فنى عن رؤية نفسه». بذلك، يكون الفرد قد بلغ الغاية القصوى من التوحيد، لأنّه أصبح موحّدًا بمعنى «أنّه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكلّ من حيث أنّه كثير، بل من حيث أنّه واحد»[٣]. ويعود سبب تسمية هذه المرتبة من التوحيد بـ«توحيد لبّ اللبّ» إلى أنّ لبّ اللبّ هو «مادّة النور الإلهيّ القدسيّ الذي يتأيّد به العقل»[٤].

ويظهر ممّا سبق أنّ الفيض الكاشاني شبّه المرتبة الأولى من التوحيد بالقشرة العليا من الجوزة. أمّا المرتبة الثانية، فهي كالقشرة السفلى، والمرتبة الثالثة كاللبّ، والمرتبة الرابعة كالدهن المستخرج من اللبّ؛ أي إنّ الفرد في المرتبة الأولى من التوحيد يكون عديم الجدوى، كثير الضرر، مذموم الظاهر والباطن، لأنّ توحيده يكون

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٥٢.
(٢) **أسرار الشريعة**، حيدر الآملي، ص٦٩.
(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٤) **أسرار الشريعة**، حيدر الآملي، ص٦٩.





بمجرّد اللسان. وينفع الفرد، في هذه المرتبة، مدّة من الزمن في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت. وقد شبّه الفيض القشرة السفلى بالقلب والبدن لأنّها تصون اللبّ عن الفساد عند الادّخار. وفي المرتبة الثالثة، إذا انفصلت القشرة السفلى عمّا سواها، كان ذلك كالاعتقاد من غير كشف: كثير النفع بالإضافة إلى نطق اللسان. أمّا المرتبة الأخيرة فهي المرتبة الأعلى، التي فيها مقصد عال للسالكين، والتي لا يرى فيها السالك سوى الواحد الحقّ (جل جلاله)[١].

٢. أقسام التوحيد عند الفيض الكاشاني

درجت منهجيّة علماء الكلام على تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، هي:

١. التوحيد في الذات/ ٢. التوحيد في الصفات/ ٣. التوحيد في الأفعال.

أ. التوحيد في الذات

المقصود من هذا التوحيد أنّ اللّه لا شريك له ولا نظير، ولا شبيه ولا مثيل، فلا تقبل الذات الإلهيّة المقدّسة التعدّد ولا القسمة، لأنّ الذهن لا يمكن أن يتصوّر «مصداقًا وفردًا آخر للّه في عالم الخارج، فالذات الإلهيّة تكون بحيث لا تقبل التعدّد والتكثّر»[٢].

---

(١) ينظر: **الكلمات المضنونة**، الفيض الكاشاني، ص٢٥٣.

(٢) **مفاهيم القرآن**، جعفر السبحاني، ج١، ص ٢٦٨.





وهذا التوحيد له معنيان: أوّلًا، التوحيد الواحديّ الذي يعني أنّ اللّه (سبحانه وتعالى) لا مثيل له ولا نظير، ولا شبيه له ولا عديل. وهذا المعنى من التوحيد يشير إلى نفي التعدّد؛ أي «الاعتقاد بوحدانيّة اللّه، ونفي التعدّد والكثرة في الخارج عن الذات. وهذا المعنى يقابل الشرك الصريح، والاعتقاد بإلهَين أو آلهة متعدّدة [...] يكون لكلّ واحد منها وجود مستقلّ ومتميّز عن الآخر»[١]. لذا، نجد أنّ المتكلّمين والإلهيّين قد سمّوا هذا النوع التوحيد بـ«التوحيد الواحديّ».

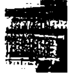
وقد أشار **القرآن الكريم** إلى هذا النوع من التوحيد الذي ينفي صراحةً وجود إله آخر للعالم، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[٢]. والنكتة في هذه الآية الشريفة هي «أنّ اللّه لو كان ثالث ثلاثة فمعناه أن هناك واحدًا واثنَين، وهو ثالث هذَين الاثنَين، ولو كان كذلك لدخل في باب الأعداد، وكان وجودًا معدودًا»[٣].

كما نجد إشارات لهذا النوع من التوحيد في كلمات الإمام عليّ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، لا سيّما في الواقعة المعروفة التي حصلت معه عَلَيْهِٱلسَّلَامُ حينما سأله أعرابيّ في يوم الجمل قائلًا: «يا أمير المؤمنين أتقول إنّ اللّه واحد؟» فحمل الناس عليه، قالوا: «يا أعرابيّ، أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسّم القلب؟» فقال أمير المؤمنين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: «دعوه، فإنّ الذي يريده الأعرابيّ هو الذي نريده من

---

(١) **دروس في العقيدة الإسلاميّة**، محمّد تقي مصباح اليزدي، ج١، ص١٦١.
(٢) سورة **المائدة**، الآية ٧٣.
(٣) **التوحيد**، كمال الحيدري، ج١، ص٦٤.





القوم»، ثمّ قال: «يا أعرابيّ، إنّ القول في أنّ اللّه واحد على أربعة أقسام: فوجهان منه لا يجوزان على اللّه (عزّ وجلّ)، ووجهان يثبتان فيه. فأمّا اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد. أما ترى أنّه كفر من قال ثالث ثلاثة؟»[١].

وهذا ما ذهبت إليه المعتزلة في كون الباري (سبحانه وتعالى) واحد ليس كمثله شيء[٢].

ثانيًا، التوحيد الأحديّ الذي يعني أنّ الذات الإلهيّة المقدّسة ذات بسيطة لا كثرة فيها ولا تركّب. وهذا المعنى يشير إلى نفي التركيب، ويعني «الإيمان بالأحديّة والبساطة في داخل الذات، وعدم تركيب الذات الإلهيّة من أجزاء بالفعل أو بالقوّة»[٣]. فاللّه (سبحانه وتعالى) لا يمكن إطلاق صفة التركيب عليه، لأنّ التركيب على قسمَين:

١. التركيب الخارجيّ: وهو تركّب الشيء من أجزاء خارجيّة ومن عناصر مختلفة، كالعناصر المعدنيّة والمركبات الكيمائيّة. وهذا النوع من التركيب يستحيل على اللّه (سبحانه وتعالى) لأنّ كلّ مركبّ إنّما يتكوّن من أجزاء تحتاج إلى بعضها البعض، والمحتاج إلى غير المعلول له، واللّه غير محتاج في وجوده إلى وجود.

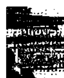
---

(١) **التوحيد**، الشيخ الصدوق، ص٥٠.

(٢) الأشعري، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل: **مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين**، تحقيق وشرح نوّاف الجرّاح، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص٩٩.

(٣) **دروس في العقيدة الإسلاميّة**، محمّد تقي مصباح اليزدي، ص١٦١.





٢. التركيب العقليّ: وهو كون الشيء بسيطًا خارجًا، مع انحلاله في العقل إلى شيئَين كالجنس والفصل وما يقوم مقامهما. فالإنسان، وإن كان في الخارج شيئًا واحدًا، إلّا أنّه في العقل ينقسم إلى نوعَين، هما الجنس والفصل. والجنس يعني كون الإنسان من جنس الحيوانيّة، أمّا الفصل فنعني به الناطقيّة. وهذا النوع لا يمكن أن ينطبق على الباري (سبحانه وتعالى). فلو كان للّه ماهيّةً لكان من شأن هذه الماهيّة، بحدّ ذاتها، أن تكون عاريةً عن الوجود والعدم، ما يؤدّي إلى طرح السؤال التالي: ما هي العلّة التي أفاضت عليها الوجود؟ والمحتاج إلى شيء آخر يكون ممكنًا لا واجبًا إذا فاض الوجود على ماهيّته. لأجل ذلك، ذهب الحكماء من الإلهيّين إلى كون ذات الباري (سبحانه وتعالى) بسيطةً، وذاته منزّهةً عن أيّ تركيب خارجيّ أو عقليّ؛ أي كونه منزّهًا عن الماهيّة[١]. وهذا النوع من التوحيد جاء في صدر سورة **الإخلاص** في قوله تعالى ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٢]، وفيه ردّ التثليث التركيبيّ الذي تبنّته النصارى، والذي لم يكن من عقيدة السيّد المسيح عَلَيهِ السَّلَامُ. وهذا النوع من التوحيد سُمّيَ في كلمات الإلهيّين بـ«التوحيد الأحديّ»، ونجده أيضًا في الرواية التي مرّ ذكرها عن الإمام عليّ عَلَيهِ السَّلَامُ عندما خاطب الأعرابي إذ يقول «وقول القائل هو واحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه»[٣]؛ أي إنّ الإمام عليّ عَلَيهِ السَّلَامُ هنا

---

(١) ينظر: السبحاني، جعفر: **الإلهيّات على هدى الكتاب والسنّة والعقل**، ج٢، بقلم حسن محمّد مكّي العاملي، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، قم، ط٦، ١٤٢٦ه، ص٢٩-٣٠.

(٢) سورة **الإخلاص**، الآية ١.

(٣) **التوحيد**، الشيخ الصدوق، ص٥٠.





ينفي التركيب ويثبت بساطته (جلّ وعلا) التي هي انتفاء الجزئيّة عنه.

من هنا، نجد أنّ الفيض الكاشاني يشير إلى التوحيد في الذات باسم أحديّة الذات. و«لا مكان فيها أبدًا لاعتبار الكثرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وهي الأحديّة الذاتيّة المطلقة، وليست الوحدة من هذا الوجه نعتًا للواحد بل هي ذاته»[1]. وفي **تفسير الصافي**، يشير الفيض في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى أنّه «المعبود الذي يأله[2] الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيّته، فرد بإلهيّته، متعال عن صفات خلقه»[3]. ولا شكّ في أنّ هذا المعبود الذي يعبده الخلق إنّما يكون «أحد لا بتأويل عدد»[4].

وهنا نجد الفيض الكاشاني يوضح كلام الإمام عليّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيقول: «أي لا بالوحدة التي تضادّها الكثرة. فإنّ الواحد بذلك الاعتبار الكثير مضادّ له، وهو الأصل في العدد، فعلم من هذا أنّ نسبة الوحدة الإضافيّة والكثرة الإضافيّة إلى الوحدة المطلقة على السويّة من حيث شمولها لهما وإحاطتها بهما، إلّا أنّ الوحدة الإضافيّة لمّا لم يتميّز منها إلّا باعتبار معنى عدميّ دون الكثرة. فإنّ تمايزها إنّما هو بانضمام قيود زائدة عليها، فيكون لها تقدّم بالذات على الكثرة، فكلّ تعيّن يكون الغالب فيه أحكام الوحدة يكون [تكون]

---

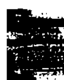
(١) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص٦٣-٦٤.

(٢) أصله من أله يأله إذا تحيّر. انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، ج١، الصفحة ١١٤. [المحرّر].

(٣) **تفسير الصافي**، الفيض الكاشاني، ج٣، ص٥٩٠.

(٤) **عيون أخبار الرضا**، الشيخ الصدوق، ص١٦٢.





آثار الوجود والإطلاق فيه أظهر، وكل تعيّن يكون الغالب فيه أحكام الكثرة، تكون تلك الآثار فيه أخفى»[١].

ثمّ يستشهد بقول الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كلّ مسمّى بالوحدة غيره قليل»[٢]، أي «هو واحد مع وحدته كثير»[٣]. وفي موضع آخر نجد أنّ الفيض الكاشاني يشير إلى تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قائلًا إنّ الأحديّة في هذه الآية هي «الأحديّة الذاتيّة المطلقة وليست الوحدة من هذا الوجه نعتًا للواحد، بل هي ذاته»[٤].

ب. التوحيد في الصفات

المقصود من هذا التوحيد هو التوحيد في صفات الذات الإلهيّة. واللّه تعالى موصوف بكلّ الصفات الكماليّة، و«العقل والوحي يدلّان على وجود هذه الكمالات في الذات الإلهيّة المقدّسة، وهذه الصفات متفاوتة من حيث المفهوم»[٥]. وقد نفت طائفة من المعتزلة قدم صفات الباري (جلّ وعلا) فقالوا: «هو عالم لذاته، قادر لذاته، حيّ لذاته، لا بعلم، وقدرة، وحياة»[٦] لأنّ هذه الصفات

(١) **الكلمات المخزونة**، الفيض الكاشاني، ص٧١.
(٢) **نهج البلاغة**، ج١، ص١١٢.
(٣) **الكلمات المخزونة**، الفيض الكاشاني، ص٧١.
(٤) **الكلمات المخزونة**، الفيض الكاشاني، ص٧١.
(٥) السبحاني، جعفر: **العقيدة الإسلاميّة على ضوء مدرسة أهل البيت (ع)**، نقله إلى العربيّة جعفر الهادي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ص٤٧.
(٦) الشهرستاني، أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم: **الملل والنحل**، صحّحه وعلّق عليه أحمد فهمي محمّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٧، ٢٠٠٧، ص٣٨.

قديمة والله تعالى قديم، ما يستوجب تشارك هذه الصفات في القدم مع الباري (سبحانه وتعالى)، أي إنّها تشاركه في الإلهيّة، وهو محال في نظرهم. فصفات الذات هي عين الذات، وما من تغاير بين الصفات وبين الذات الإلهيّة، ولا حتّى بين الصفات نفسها؛ أي إنّ الله (جلّ وعلا) قادر لا بقدرة زائدة تكون واسطة، وهو عالم لا بشيء زائد يعلم به ما كان ويكون. وهذا يعني أنّ صفات الباري (سبحانه وتعالى) «ليست أعراضًا زائدةً على الذات، بحيث يكون هناك ذات وصفة إليها الذات [تكون الذات وصفة تُضّاف إليها]، ولا تستطيع العمل بدونها، كما هي الحال بالقياس إلى الإنسان يفتقر عمله إلى العلم والقدرة»[١].

وقسم المتكلّمون صفات الله إلى قسمَين: الصفات الثبوتيّة والصفات السلبيّة.

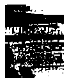
أمّا الصفات الثبوتيّة، فهي الصفات التي تُسمَّى «الصفات الجماليّة»، وهذه الصفات مثبتة لجمال في الموصوف. وأمّا الصفات السلبيّة، فهي التي تُسمَّى «الصفات الجلاليّة» التي يعلو الخالق ويتنزّه عن الاتّصاف بها، والتي تفيد نقصًا في ذاته، كالشراكة، والجسميّة، والاتّحاد. بل يتّصف الله سبحانه وتعالى بأنّه لا شريك له، وهو ليس بجسم، ولا متّحدًا مع غيره. وورد ذكر الصفات الجلاليّة والجماليّة في **القرآن الكريم** بقوله تعالى ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٢].

---

(١) مغنيّة، محمّد جواد: **فلسفات إسلاميّة**، ج١، مؤسّسة دار الكتاب الإسلاميّ، ٢٠٠٦، ص١١٥.

(٢) سورة **الرحمن**، الآية ٧٨.





لكن قبل الحديث عن تفاصيل صفات الباري (جلّ وعلا)، لا بدّ من ذكر أمر مهمّ قد أشار إليه الفيض الكاشاني، وهو «أنّ كلّ كمال لموجود بما هو موجود فلا بدّ وأن ينتهي إلى كامل بالذات في ذلك الكمال، وكل كامل بالذات – في كمال ما – يجب أن يكون غنيًّا بالذات في ذاته، إذ لو افتقر في ذاته إلى الغير لافتقر في كماله أيضًا إلى ذلك الغير – وهو ظاهر – وقد يثبت أنّ الغنيّ بالذات في ذاته واحد، فجميع الكمالات تنتهي إليه»[١].

ب.١. الصفات الثبوتيّة (الجماليّة)

ب.١.أ. العلم

يتّصف الباري (سبحانه وتعالى) بكونه عالمًا، فهو موجود عالم ولا يختلف في ذلك أحد من المؤمنين به والمعتقدين بألوهيّته، وبين أيدينا أدلّة على أنّ اللّه (سبحانه وتعالى) عالم تنطبق عليه صفة العلم، منها الدليل النقليّ. فقد أشار **القرآن** الكريم في عدد من آياته إلى أنّ اللّه (سبحانه) عالم منها، قوله تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[٢]. وفي هذه الآية إشارة إلى علمه تعالى الذي يصل «إلى ما ظهر من خلقه وما بطن، وإن صغر ولطف، لا يعزب عنه شيء ولا يفوته»[٣]. وفي **التفسير الكبير** للفخر الرازي، في معرض تفسير قوله تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، يقول:

---

(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٨٠-٨١.

(٢) سورة **الملك**، الآية ١٤.

(٣) **تفسير الصافي**، المجلّد الثالث، ص١٥٠.

«معنى الآية أنّ من خلق شيئًا لا بدّ وأن يكون عالمًا بمخلوقه [...] وذلك لأنّ الخلق عبارة عن الإيجاد والتكوين على سبيل القصد، والقاصد إلى الشيء لا بدّ وأن يكون عالمًا بحقيقة ذلك الشيء، فإنّ الغافل عن الشيء يستحيل أن يكون قاصدًا إليه. وكما أنّه ثبت أنّ الخالق لا بدّ وأن يكون عالمًا بماهيّة المخلوق، لا بدّ أن يكون عالمًا بكميّته»[١].

ونلاحظ في كلا التفسيرَين لهذه الآية المباركة أنّ اللّه (سبحانه وتعالى) عالم بالخلق لأنّه هو الذي خلقهم، والخالق لا بدّ له أن يكون محيطًا بهذا الوجود الذي أفاض عليه كمالاته، وفاقد الشيء لا يعطيه. فلو لم يكن اللّه (سبحانه وتعالى) خالقًا لهذا الوجود، لما أمكنه معرفة كلّ ما في هذا الوجود. أمّا الآية الثانية، فهي ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾[٢]، وهذه الآية فيها إشارة إلى التلازم الحاصل بين الخلق والعلم، أي «ما تحدّث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة»[٣]. وهذا ما أشار إليه الإمام الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في معرض تمجيده الباري (سبحانه وتعالى) إذ قال: «ووضع كلّ شيء موضعه بعلمه»[٤]. و**القرآن** الكريم يصرّح في كثير من الآيات بسعة علمه (سبحانه وتعالى) وإحاطته بكلّ شيء في هذا الوجود، كما في قوله تعالى ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ

---

(١) **تفسير الفخر الرازي**، تفسير سورة **الملك**، الآية ١٤.

(٢) سورة **ق**،الآية ١٦.

(٣) **تفسير الصافي**،الفيض الكاشاني، المجلّد الثالث، ص١٥٠.

(٤) **كمال الدين وتمام النعمة**، الصدوق، ص٢٧٣.





مُّبِينٍ﴾[١]. وكذلك قوله ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

أمّا الدليل العقليّ، فمن القواعد العقليّة التي تدلّنا على اتّصاف الباري (سبحانه وتعالى) بالعلم أنّه «فعل الأفعال المحكمة المتقنة، وكلّ من فعل ذلك فهو عالم بالضرورة»[٣]. كما أنّه مختار وكلّ مختار «عالم لتبعيّة فعله لداعيه الذي هو العلم بما الفعل عليه من المصلحة الباعثة إلى إيجاده»[٤]. ويقول الفيض الكاشاني بهذا الصدد: «وإن أثبتّ أنّ الوجود كلّه فعله سبحانه، لا مدخل لغيره فيه، وقد صدر عنه على وفق علمه صدورًا غير مستكثر، ولا مقهور، ولا مغلوب، ولا مضرور، فبان أنّه سبحانه على كلّ شيء قدير وبكلّ شيء بصير، وأنّه سبحانه وتعالى في فعله اختيارًا أجلى وأعلى من اختيارنا، لأنّ الاختيار فينا ناقص مشوب بنحو من الاضطرار،

---

(١) سورة **سبأ**،الآية ٣.

(٢) سورة **الأنعام**،الآية ٥٩.

(٣) الحلّي، أبو منصور الحسن بن يوسف المطهر: **النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر**، شرح المقداد السيوري، تحقيق وتعليق مشتاق الساعدي، ط١، ٢٠١٠، ص٢٥٣، وكذلك: الحلّي، أبو منصور الحسن بن يوسف المطهر: **تسليك النفس إلى حضيرة القدس**، تقديم جعفر السبحاني، تحقيق فاطمة رمضاني، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، قم، ط١، ١٤٢٦ه، ص١٣٩.

(٤) الكفعمي، جمال الدين أحمد بن عليّ الجبعي: **معارج الأفهام إلى علم الكلام**، تحقيق عبد الحليم عوض الحلّي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص٦٤.

وذلك لتجدّد الأغراض، واختلاف الدواعي، وتفنن الإرادات، وسنوح الحالات فينا»[1].





ب.١.أ.١. مراتب علمه تعالى

لعلمه تعالى مراتب ثلاث، أوّلها علمه تعالى بذاته. ويمكن ذكر وجهَين من البراهين على إثبات علمه تعالى بذاته. أوّلًا، إنّ اللّه (سبحانه وتعالى) خلق الوجود وأفاض عليه من كمالاته، لأنّ مفيض الكمال يجب أن يكون واجدًا له على أفضل وجه، و«مفيض الوجود ليس مسلوب الوجود في مرتبة، فكذلك واهب الكمال لا يجوز أن يكون ممنوعًا في حدّ ذاته، إذ المفيض، لا محالة، أكرم، وأعلى، وأمجد، من المفاض عليه»[2]. والمفاض عليه هو الإنسان، الذي يعلم ذاته علمًا حضوريًا. فمهما غفل الإنسان، فإنّه لا يستطيع أن يغفل عن ذاته، وكذا لا يستطيع أن يشكّ في وجوده، فكيف يجوز على الباري (سبحانه وتعالى)، الذي زوّد هذا الإنسان بهذا العلم، أن يكون فاقدًا له؟ ولو كان ذلك ممكنًا، لوجب أن يكون فاقد الشيء معطيًا له، وهو محال عقلًا، لأن مفيض الكمال وواهبه لا يكون فاقده[3]. بل يمكن القول أنّه «لا نسبة لعلمه بذاته إلى علوم من سواه بذواتهم، كما لا نسبة بين وجوده ووجودات الأشياء، حيث هو وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى»[4].

---

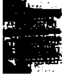
(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٠٠.

(٢) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٥٣.

(٣) ينظر: الحيدري، كمال: **دروس في التوحيد**، بقلم عليّ حمود العبادي، دار المرتضى، بيروت، ١٤٣٢ه، ص١١٤.

(٤) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٩٧.





ثانيًا، إنّ اللّه تعالى متجرّد المادّة، وذلك ملاك الحضور. وهذا يعني أنّ الواجب تعالى (جلّ شأنه) له وجود مجرّد، وكلّ وجود مجرّد فهو عاقل لذاته. ولأنّ اللّه (سبحانه وتعالى) بسيط الحقيقة، فهذا يعني أنّه «منزّه الذات عن الموضوع، والمادّة، والعوارض، وسائر ما يجعل الذات بحال زائدة، ويريها على غير ما هي عليه: فلا ليس له، فهو صراح. وذاته غير محتجبة عن ذاته، فهو ظاهر بذاته على ذاته، فهو يدرك ذاته أشدّ إدراك ويعلمها أتمّ علم، لظهورها له أشدّ ظهور»[١].

وإذا كان الموجود منزّهًا عن المادّة، والجزئية، والتبعّض، كانت ذاته حاضرةً لديه حضورًا كاملًا. فلو افترضنا وجود موجود على مستوًى عال من التجرّد والبساطة، عاريًا عن كلّ عوامل الغيبة التي هي من خصائص الكائن المادّيّ، كانت ذاته حاضرةً لديه. وهذا معنى علمه سبحانه وتعالى بذاته؛ أي حضور ذاته لدى ذاته بأتمّ وجه، لتنزّهه عن الماديّة والتركيب[٢].

أما المرتبة الثانية فهي علمه تعالى بغيره، ومن الأدلّة التي استدلّ بها الفيض على أنّه (سبحانه وتعالى) عالم بغيره مجموعة من الآيات القرآنيّة، منها: قوله تعالى ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾[٣] في الأرض ولا في السماء، وقوله تعالى ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾[٤] وقوله ﴿وَمَا

---

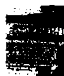
(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٩٧.

(٢) ينظر: السبحاني، جعفر: **محاضرات في الإلهيّات**، تلخيصعليّ الربّاني الكلبايكاني، دار جواد الأئمّة، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص٩٧.

(٣) سورة **سبأ**، الآية ٣.

(٤) سورة **فصلت**، الآية ٤٧.





﴿تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾[(١)] وقوله ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[(٢)]. أي إنّ اللّه (سبحانه وتعالى) عالم بجميع الموجودات، والعالم بالشيء «هو الذي يكون الشيء منكشفًا له، حاضرًا عنده، غير غائب عنه»[(٣)]. من هنا جاء قول المتكلّمين إنّ «العلم التامّ بالعلّة يوجب العلم التامّ بمعلولها»[(٤)]. وقد ورد هذا المعنى في الرواية التي وردت عن الإمام الصادق عَلَيهِ‌السَّلَامُ، إذ قال: «لم يزل اللّه (عزّ وجلّ) ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم فيه على المعلوم»[(٥)].

أي إنّ اللّه (سبحانه وتعالى) له علم بالأشياء التي أفاض عليها الوجود، وهي منكشفة له قبل وجودها؛ أي إنّ له علم قبل وجود الأشياء. وله (سبحانه وتعالى) علم بالأشياء حتّى بعد وجودها، إذ «كان علم اللّه بالأزل بنحو يريد أن يرى ذلك العلم ومعلومه في الواقع العينيّ عبر الانتقال من عالم العلم الإلهيّ، في مقام الذات، إلى عالم العين الخارجيّ، وبذلك سوف يكون هذا الواقع الخارجيّ هو معلوم ذلك العلم الذي هو عين الذات»[(٦)].

---

(١) سورة **الأنعام**، الآية ٥٩.

(٢) سورة **الملك**، الآية ١٤.

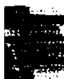
(٣) المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان ابن المعلّم العكبري: **النكت الاعتقاديّة**، تحقيق رضا المختاري، المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد، ط١، ١٤١٣ه، ص٢٣.

(٤) **تعليقات الهيدجي على شرح المنظومة للسيزواري**، ص٣٧٢.

(٥) **البيان في تفسير القرآن الكريم**، السيّد الخوئي، ص٤١٦.

(٦) الحيدري، كمال: **مراتب العلم الإلهيّ**، ج٢، المطبوع ضمن مجموعة **بحوث** =





وقد أشار الكاشاني إلى كون الباري (سبحانه وتعالى) عالمًا بما دونه من الأشياء، حيث يقول: «ولمّا كان ذاته فاعلًا تامًّا لجميع ما عداه، ومبدأ لفيضان كلّ إدراك - حسّيًّا كان أو عقليًّا - ومنشأ كلّ ظهور -كان عينيًّا أو ذهنيًّا- إمّا بدون واسطة، أو بواسطة هي منه. وفاعليّته عين ذاته، إذ هي من الكمالات، والعلم التامّ بالفاعل التامّ للشيء من حيث حقيقته التي بها يستلزم العلم بكونه فاعلًا لذلك الشيء، وهو مستلزم للعلم بذلك الشيء»[١].

وأما المرتبة الثالثة فهي علمه تعالى بالمحسوسات، ومن استدلالات الفيض الكاشاني على علمه تعالى بالمحسوسات قوله[٢]: «لمّا ثبت علمه سبحانه بالجزئيّات على ما هي عليه - ومن جملتها المسموعات، من الحروف والأصوات، والمبصرات ذوات الأضواء والألوان - فهو سبحانه يدركها لا محالة، بلا آلة وجارحة، ولكن إدراكًا حقًّا بنفس ذاته النوريّ [النوريّة]، الذي [التي] يظهر ويتنوّر [تظهر وتتنوّر] به [بها] جميع الأشياء، كما يدرك سائر المحسوسات كذلك. فذاته سبحانه - بهذا الاعتبار - سمعه وبصره ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾»[٣].

ثمّ يرفض الفيض الكاشاني توصيفه سبحانه وتعالى بالشامّ،

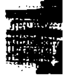
= **عقائديّة وفلسفيّة وعرفانيّة**، دار جواد الأئمّة (ع)، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص٧.

(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٩٨، وأيضًا **أنوار الكلمة**، الفيض الكاشاني، ص٦٠.

(٢) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٩٩.

(٣) سورة **الشورى**، الآية ١١.





والذائق، واللامس، مع علمه بالمشمومات، والمذوقات، والملموسات، لأنّ ذلك يوهم بـ«التجسّم، تعالى عنه ربّنا وتقدّس»[١].

ويتّضح من كلام الفيض الكاشاني أنّ عالِميَّته سبحانه وتعالى، وسمعه، وبصره إنّما بكونه مدركًا للأشياء جميعًا إدراكًا تامًا، ومحيطًا بالوجود إحاطةً كاملةً. فهو (سبحانه وتعالى) «عالم بأنّ أيّ [عالم بأي] حادث يوجد في أيّ زمان من الأزمنة»[٢]. وقد أيّد الفيض الكاشاني استدلاله هذا بالحديث الوارد عن الإمام الجواد عَلَيهِ السَّلَامُ حينما سُئِلَ: «كيف يُسمَّى ربّنا سميعًا؟» قال:

«لأنّه لا يخفى عليه ما يُدرَك بالأسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس. وكذلك سمّيناه بصيرًا لأنه لا يخفى عليهما يُدرَك بالأبصار من لون، وشخص، وغير ذلك، ولم نصفه ببصر لحظة العين»[٣].

ب.١.ب. القدرة

إنّ القدرة هي «المكنة[٤] على الفعل أو الترك، مع الاختيار والإرادة في ذلك»[٥]. وهذه صفة أخرى من الصفات التي يتّصف بها الباري (سبحانه وتعالى)، وقد أكد **القرآن** الكريم ذلك، كما في قوله تعالى

---

(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٩٩، **وأنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٦١.

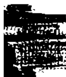
(٢) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٢١١.

(٣) **الكافي**، الكليني، ج١، ص١٣٨.

(٤) المكنة التمكّن. انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، ج٤٧، ص٤٢٥٠. [المحرّر]

(٥) العاملي، حسن مكّي: **بداية المعرفة: منهجيّة جديدة في علم الكلام**، منشورات الدار الإسلاميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ص١٠١.





﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾[١]. وقدرته سبحانه مثل علمه «أزليّة، ولكونها عين ذاته، فهي مثل علمه تعالى مطلقة وغير محدودة»[٢]. وقد اختلفت الفرق الإسلاميّة في هذه الصفة، فقال بعضهم: «إنّ الله تعالى لا يقدر على مثل مقدور العبد». وقال بعضهم الآخر إنّه تعالى لا يقدر على غير مقدور العبد. وقال آخرون إنّه تعالى لا يقدر على القبيح. وقال غيرهم إنّه تعالى لا يقدر أن يخلق فينا علمًا ضروريًّا يتعلّق بما علمناه مكتسبًا»[٣]. وإذا ما تأمّل الإنسان قليلًا في هذا الكون العجيب وهذا الخلق العظيم، فلا شكّ في أنّه سيدرك قدرة الباري (جلّ وعلا) وتمام قدرته، من غير أن لا يعجزه شيء من الأشياء. وهذا ما أشار إليه الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامْ حينما أجاب من سأل عن إيجاد الممتنعات، حيث قال: «إنّ الله تبارك وتعالى لا يُنسَب إلى العجز، والذي سألتني لا يكون»[٤].

ويذهب الفيض الكاشاني إلى ما ذهبت إليه الشيعة الإماميّة من أنّ الله (سبحانه وتعالى) قادر على كلّ مقدور، فقدرته سبحانه، كما يرى الفيض الكاشاني «عبارة عن كون ذاته بذاته بحيث تصدر عنه الموجودات لأجل علمه بنظام الخير -الذي هو عين ذاته- ولا

---

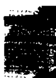
(١) سورة **الأحزاب**، الآية ٢٧.

(٢) السبحاني، جعفر: **العقيدة الإسلاميّة على ضوء مدرسة أهل البيت (ع)**، نقله إلى العربيّة جعفر الهادي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ص٧٠.

(٣) الحلّي، أبو منصور الحسن بن يوسف المطهر: **نهج الحقّ وكشف الصدق**، علّق عليه عين الله الحسيني الأرموي، قدم له رضا الصدر، منشورات دار الهجرة، قم، ١٤١٤ه، ص٥٣.

(٤) الشيخ الحويزي: **تفسير نور الثقلَين**، ج١، تصحيح وتعليق السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسّسة اسماعيليان للطباعة والنشر، قم، ط٤، ١٤١٢ه، ص٣٩.





يُعتبَر في القدرة إلّا تعيُّن الفعل بالمشيئة، سواءً كانت المشيّة يصحّ عليها التغيّر أو لا. فالقادر إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل»[١].

ثم يربط الفيض إرادته (سبحانه وتعالى) بالقدرة، لأنّ إرادته (عزّ وجلّ) «عبارة عن كون ذاته بذاته داعيًا لصدور الموجودات عنه على وجه الخير والصلاح، لأجل علمه بالنظام الأوفق. فإذا نُسبَت إليه الموجودات من حيث أنّها صادرة عن علمه، كانعلمه بهذا الاعتبار قدرةً، وإذا نُسبَت إليه من حيث أنّ علمه كاف في صدورها، كان علمه بهذا الاعتبار إرادةً»[٢].

ب.١.ج. الحياة

ورد في **القرآن** الكريم قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[٣]، وكذا قوله تعالى ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[٤]. ومن الملاحظ أنّ الآيتَين الشريفتَين تذكران صفةً هي من أهمّ صفات اللّه (سبحانه وتعالى)، ألا وهي الحياة. ومفهوم الحياة واضح في الأذهان، ومنتزع من ملاحظة جميع مراتب الحياة في الكائنات الحيّة، بما فيها الحياة النباتيّة والحيوانيّة. ويفسّر المتكلّمون مفهوم الحياة بأنّه «ما من شأنه أن يُوصَف الموصوف به بالقدرة والعلم»[٥]. والحياة

---

(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ص١٠٢، **وأنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٦٢.

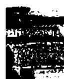
(٢) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ص١٠٢، **وأنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٦٢.

(٣) سورة **البقرة**،الآية ٢٥٥.

(٤) سورة **الفرقان**،الآية ٥٨.

(٥) **كشف الفوائد في شرح العقائد**، المحقّق الطوسي والعلاّمة الحلّي، ص٢٧٧.





في واجب الوجود إنّما هي «عبارة عن اتّصافه بالقدرة والعلم الكاملَين»[١]. ويفسّر الفيض الكاشاني مفهوم الحياة بأنّه «عبارة عن نوريّته المحضة، المستلزمة للإدراك والفعل. فإنّ الحيّ هو الدرّاك الفعّال. ولمّا كانت الصفتان عين ذاته، فذاته بذاته حياته، وكلّ حياة غيرها فإنّما هي رشحة من حياته، وهي الحيّ بالحقيقة»[٢].

وبما أنّ اللّه (سبحانه وتعالى) حيّ لا يموت - والموت يراد به الفناء والزوال - وهو (سبحانه وتعالى) واجب الوجود، فواجب الوجود «لا يصحّ عليه الفناء والعدم، وإلّا لزم انقلاب الحقيقة، ولا يُستكمَل هو سبحانه، إذ الاستكمال إنّما هو عن نقص، وواجب الوجود تامٌ وفوق التمام»[٣].

ب.١.د. السمع والبصر

ما من شكّ في أنّ اللّه (سبحانه وتعالى) سميع بصير بعد تواتر الأخبار في ذلك من **القرآن** والسنّة. والمفهومان يدخلان تحت عنوان الأدراكات. ومن الآيات الشريفة الدالّة على هذَين المفهومَين ما ورد في قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤]، وقوله ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ﴾[٥] وكذا قوله تعالى ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[٦]. وقد

---

(١) **بداية المعرفة**، العاملي، ص١١٠.

(٢) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ص١٠٦.

(٣) القمّي، سعيد بن محمّد بن محمّد مفيد: **شرح توحيد الصدوق**، المجلّد الأوّل، صحّحه وعلّق عليه نجفقلي حبيبي، ص٦٩.

(٤) سورة **الشورى**،الآية ١١.

(٥) سورة **الملك**، الآية ١٩.

(٦) سورة **طه**، الآية ٤٦.

ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه سأله شخص قائلًا:

«لم يزل اللّه يعلم؟، فقال: أنّى يكون يعلم ولا معلوم؟، قال: قلت: فلم يزل اللّه يسمع؟، قال: أنّى يكون ذلك ولا مسموع؟، قال: قلت فلم يزل اللّه يبصر؟، قال: أنّى يكون ذلك ولا مبصَر؟، قال: ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم يزل اللّه عليما سميعًا بصيرًا ذات علامة سميعة بصيرة»[١].

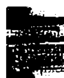
والرواية التي مرّ ذكرها، والتي أشكل فيها السائل على الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في مسألة السمع والبصر. فأجاب عنها الإمام بقوله: «كيف يعلم ولا معلوم؟»، وكذلك في السمع والبصر. وذلك يدلّ بظاهره على نفي قدم العالم ودوامه، ثمّ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لم يزل اللّه عليمًا» إلى آخر الحديث، فأثبت قدم العلم والسمع والبصر ودوامهما. ويمكن قول إنّ غرض السائل كان الاستفهام عن علمه تعالى، هل هو حضوريّ كما زعم جمع من الحكماء والمتكلّمين؟ فأجابه عَلَيْهِ السَّلَامُ بنفي علمه تعالى من جهة الحضور، بمعنى كون الأشياء جميعها حاضرةً لديه، موجودةً عنده، إذ علمه سبحانه متقدّم على خلقها وإيجادها، وقد كان سميعًا والمسموع ليس بحاضر، وبصيرًا والمُبصَر ليس بحاضر[٢]. وفي الرواية نفسها يتحدّث الإمامعَلَيْهِ السَّلَامُ عن السمع والبصر بقوله: «لم يزل اللّه عليمًا، سميعًا، بصيرًا، ذات علامة سميعة بصيرة»، ما يعني «أنّ هذه الصفات عين

---

(١) **الوافي**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٤٤٥.

(٢) شبّر، عبد اللّه: **مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار**، ج١، تحقيق وتعليق السيّد علي السـيّد محمّد السيّد عليّ السيّد حسـين نجل المؤلّف، مؤسّسة النور للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ص١٦٣.





الذات وليست بزائدة عليها»[١].

وإنّ السمع والبصر «لا يظهران كصفتَين مستقلّتَين، بل يظهران مع العلم في إثباته، ومع إثبات أوصاف الصانع، وعلى أنّهما مظهران للحياة»[٢]. فالآية ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[٣] لها عدّة وجوه، كما يرى ابن عربي في تفسيره:

الوجه الأول: أسمع دعاءكما، فأجيبكما وأرى، من كونه تعالى بصيرًا بأمور عباده. وهو البصر الذي يعطي الأمان، لا أن يشهده ويراه فقط، فإنّه يراه حقيقةً سواء نصره، أو خذله، أو اعتنى به، أو أهمله.

الوجه الثاني: أسمع من فرعون إذا بلغتما إليه رسالة ربّكما، وأرى ما يكون منكما في حقّه ممّا أوصيتكما به من اللين والرفق في الخطاب.

الوجه الثالث: نبّههما أنّه سمعهما وبصرهما، تذكرةً لهما أو إعلامًا، لم يتقدّمه علم به عندهما، فإنّه قد صحّ عندنا في الخبر أنّ العبد إذا أحبّه ربّه كان سمعه الذي يسمع، وبصره الذي يبصر به، والنبيّ أولى بهذا ممّن ليس بنبيّ[٤].

ويوضّح الفيض الكاشاني هذَين المفهومَين عند الحديث

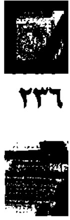
---

(١) **مصابيح الأنوار**، عبد الله شبّر، ج١، ص١٦٣.

(٢) حنفي، حسن: **من العقيدة إلى الثورة: الإنسان الكامل**، ج٢، منشورات دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص٤٢١.

(٣) سورة **طه**، الآية ٤٦.

(٤) ابن عربي، محي الدين: **رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن**، ج٣، جمع وتأليف محمود محمود الغراب، انتشارات إشراق، قم، ١٤٣١ﻫ، ص٨٥-٨٦.



عنهما، فالسميع: «هو الذي لا يعزب عن إدراك مسموع – وإن خفي – فيسمع السرّ والنجوى، بل ما هو أدقّ من ذلك وأخفى، ويدرك دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فيسمع حمد الحامدين فيجازيهم، ودعاء الداعين فيستجيب لهم، ويسمع بغير أصمخة وآذان، كما يفعل بغير جارحة، ويتكلّم بغير لسان، وسمعه منزّه عن أن يطرق إليه الحدثان»[١].

أمّا البصير فهو «الذي يشاهد ويرى حتّى لا يعزب عنه ما تحت الثرى، وإبصاره أيضًا منزّه عن أن يكون بحدقة وأجفان، ومقدّس عن التغيّر والحدثان»[٢]. يتحدّث الفيض هنا عن صفات الباري (سبحانه وتعالى)، فمنها ما هو ثابت في الأزل، وكمال في نفسه على الإطلاق، ويُسمَّى بصفة الذات، وضدّه نقص. وهو على قسمَين:

١. قسم لا إضافة له إلى غيره (جلّ ذكره) أصلًا، بل له وجه واحد كالحياة والبقاء.

٢. قسم له إضافة إلى غيره، ولكن تتأخّر إضافته عنه، كالعلم، والسمع، والبصر. فهذه الصفات تعني انكشاف الأشياء له في الأزل، كلّيّاتها وجزئيّاتها، كلّ في وقته، وبحسب مرتبته، وعلى ما هو عليه، فيما لا يزال مع حصول الأوقات والمراتب له سبحانه في الأزل. وهذا الانكشاف حاصل له بذاته من ذاته قبل خلق الأشياء، بل هو عين ذاته[٣].

---

(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ص١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٧٧.

(٣) **الوافي**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٤٤٦.





ثمّ يقارن الفيض الكاشاني بين صفتَي الإرادة والمشيئة من جهة، بل بين سائر الصفات، لكون هذه الصفات هي من صفات الفعل، وبين صفات الذات، التي هي العلم، والقدرة، والسمع، والبصر من جهة أخرى. ويقول إنّ جهة الثبات في صفات الذات، ومنها السمع والبصر، «أدلّ على المجد والكمال من جهة التجدّد»[١].

ب.٢. الصفات الثبوتيّة الفعليّة

من الصفات الثبوتيّة الفعليّة صفة الإرادة، والمريد من أسمائه تعالى. وقد اختلف المسلمون في الإرادة، فإن اتّفقوا على أصل وصف الباري (سبحانه وتعالى) بكونه مريدًا، إلّا أنّهم اختلفوا في تفاصيل هذه الصفة. فنجد بعض المتكلّمين قد عرفوا الإرادة بأنّها «عبارة عن الداعي، الذي هو العلم بمصلحة الفعل»[٢]. وذهب آخرون إلى أنّ معنى الإرادة «أنّه غير مغلوب ولا مستكره»[٣]. وقال بعضهم الآخر إنّه «عالم بأفعال نفسه وآمر بأفعال غيره»[٤]. وذهب غيرهم إلى أنّ صفة الإرادة هي «صفة زائدة على العلم»[٥]. ويرى

---

(١) **الوافي**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٤٤٨.

(٢) الحلّي، جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر، **معارج الفهم في شرح النظم**، إشراف مكتبة العلّامة المجلسي، تحقيق عبد الحليم عوض الحلّي، منشورات دليل، قم، ط١، ١٤٢٨ه، ص٢٩٩.

(٣) الطوسي، نصير الدين: **تلخيص المحصّل** المعروف بـ«**نقد المحصّل**»، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٥، ص٢٨١.

(٤) **كشف المراد في تجريد الاعتقاد**، قسم الإلهيّات، العلاّمة الحلّي، تحقيق جعفر السبحاني، ص٣٠.

(٥) الخراساني، محمّد كاظم: **كفاية الأصول**، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت (ع) =





آخرون أنّ مفهوم الإرادة هو الابتهاج والرضا، لا العلم بالصلاح والنظام، كما ذهب بعض المحقّقين من أنّ «إرادته التكوينيّة هو [هي] العلم بالنظام الكامل التامّ»[١]. وقد شغلت مسألة الإرادة حيّزًا واسعًا في كلمات الأصوليّين حين تعرّضوا إلى بحث الأوامر[٢] لأنّ لفظ الأمر موضوع للطلب. وهذا يفرض السؤال التالي: هل هذه الصفة قائمة في النفس على حدّ الإرادة والقدرة؟ وإن لم تكن كذلك، أهي فعل نفسانيّ أم أنّها فعل خارجيّ؟

يتطرّق الفيض إلى إرادته (سبحانه وتعالى) من حيث نسبتها إليه، فيقول: «هي عين ذاته (جلّ وعزّ). وأمّا من حيث إضافتها إلى المراد، فإنّها محدثة، إلّا أنّها ليست كإرادتنا، مقدّمة على الفعل، بل هي هناك نفس الفعل والإيجاد»[٣]. ويستشهد بالرواية التي وردت عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما سُئِلَ عن صفة الإرادة، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

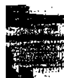
= لإحياء التراث، قم، ط٤، ١٤٢٧هـ، ص٦٥.

(١) الخوئي، أبو القاسم الموسوي: **محاضرات في أصول الفقه**، تقريرات محمّد إسحاق الفيّاض، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ص٣٣.

(٢) **محاضرات في أصول الفقه**، الخوئي، ص١٤ وما بعدها، وكذلك ينظر: الصدر، محمّد: **منهج الأصول**، ج٣، هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر (النجف الأشرف) ودار ومكتبة البصائر (بيروت)، ط١، ١٤٣١هـ، ص٨٥ وما بعدها وكذلك ينظر: الصدر، محمّد: **الأمر بين الأمرَين**، بقلم علي سميسم، دار ومكتبة البصائر ودار إيوان، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص١٧ وما بعدها.

(٣) علم اليقين، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٠١، **أنوار الكلمة**، الفيض الكاشاني، ص٦١.





«الإرادة من المخلوق الضمير، وما يبدو له بعد ذلك من الفعل. وأمّا من اللّه (عزّ وجلّ)، فإرادته إحداثه لا غير ذلك، لأنّه لا يروي، ولا يهمّ، ولا يتفكّر، وهذه الصفات منفيّة عنه، وهي من صفات الخلق. فإرادة اللّه تعالى هي الفعل لا غير، يقول له: «كن» فيكون، بلا لفظ، ولا نطق بلسان، ولا همّة، ولا تفكّر، ولا كيف لذلك، كما أنّه بلا كيف»[١].

ويعلّق الفيض على هذه الرواية بقوله إنّ الضمير هو تصوّر الفعل، وما يبدو لهم بعد ذلك معناه ما يبدو وهو اعتقاد النفع فيه، ثمّ الرويّة، ثمّ ابتغاء الشوق منه، ثمّ تأكّده إلى أن يصير إجماعًا باعثًا على الفعل، وذلك كلّه إرادة فينا متوسّطة بين ذاتنا وبين الفعل. فقوله عَلَيهِ السَّلَامُ «من الفعل» يعني من أسباب الفعل. ويُحتمَل أن يكون الضمير مجموع ما يتوسّط الفعل وما يبدو منه بمعنى المصدر. وتكون «من» بيانًا لـ«ما»، وهذا يوافق اللفظ، ويؤيّده قوله عَلَيهِ السَّلَامُ: «لا غير».

وفي الجناب القدسيّ، يترتّب الفعل الذي هو إرادة، على نفس ذاته الأحديّة، من غير أن يتوسّط بين الذات وبين أفعال اللّه الاختياريّة شيء من الصفات والأحوال العارضة للذات أصلًا. فنفس ذاته القيوم، الواحد، الأحد إرادة لما يريد ويفعل، كما أنّها علم الأشياء ومشيّة لأفعاله الاختياريّة، ولا إرادة ولا مشيّة هناك وراء نفس الذات إلّا نفس الفعل والأحداث اللذَين هما عبارة عن إرادته بالمعنى الآخر[٢].

---

(١) الملكي، محمّد باقر: **توحيد الإماميّة**، تحقيق محمّد البياباني الأسكوئي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، ط١، ١٤١٥هـ، ص٣٢١.

(٢) **الوافي**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٤٥٦.

ب.٢.أ. الكلام

يتّصف الباري (سبحانه وتعالى) بكونه متكلّمًا، ولا خلاف في ذلك بين الفرق الإسلاميّة، لوروده في عدد من آيات في **القرآن** الكريم، منها قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[١]. وقد اكتسب علم الكلام اسمه من الكلام الإلهيّ. ثمّ إنّ المتكلّمين قد خاضوا جدالًا حامي الوطيس حول هذا الموضوع، وكثر الأخذ والردّ بينهم، حتّى اعتبر الأشاعرة أنّ الكلام الإلهيّ من الصفات الذاتيّة، في حين اعتبره المعتزلة من الصفات الفعليّة. وتواتر عن أهل بيت النبوّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنّ اللّه (سبحانه وتعالى) متكلّم، «وقد ثبت صدقهم بدلالة المعجزات، من غير توقّف على إخبار اللّه تعالى بصدقهم بطريقة التكلّم حتى يلزم الدور»[٢]. لكن ألا يمكن قول إنّ الآية الشريفة تثبت الكلام بالكلام، الذي قد يؤدّي إلى الدور؟ وجواب ذلك «أنّه إثبات مطلق الكلام للّه تعالى بإثبات نوع منه، لا من حيث أنّه مستند إلى اللّه تعالى، بل من حيث أنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أخبر به، وصدق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لا يتوقّف على إثبات الكلام»[٣].

والأخبار التي وردت عن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من كون الباري سبحانه متكلّمًا تنقسم إلى «أخبار وأمر ونهي»[٤]. وتكلّمه سبحانه

---

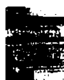
(١) سورة **النساء**، الآية ١٦٤.

(٢) الشيرازي، صدر الدين محمّد الحسيني الدشتكي: **رسالة في إثبات الواجب تعالى (الحقائق المحمديّة)**، تحقيق وتصحيح محسن جورمقي، ١٣٨٦هـ. ش.، ص٩٧.

(٣) الحلّي، أبو منصور الحسن بن يوسف المطهر: **أنوار الملكوت في شرح الياقوت**، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص٨٧.

(٤) اللاهيجي، عبد الرزّاق: **شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام**، ج٥، تقديم =





وتعالى، بحسب ما يرى الفيض الكاشاني، هو عبارة عن «كون ذاته تعالى بحيث يقتضي إلقاء الكلام الدالّ على المعنى المراد، لإفاضته ما في قضائه السابق من مكنونات علمه على من يشاء من عباده. فإن المتكلّم عبارة عن موجد الكلام، والتكلّم فينا ملكة قائمة بذواتنا، بها نتمكّن من إفاضة مخزوناتنا العلميّة على غيرنا، وفيه عين ذاته، إلّا أنّه باعتبار كونه من صفات الفعل متأخّر عن ذاته»[١].

ومن الشواهد التي يدعم بها الفيض الكاشاني كلامه هذا هو ما ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ «أنّ الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة، كان اللّه (عزّ وجلّ) ولا متكلّم»[٢]. وفي موضع آخر، نجده يتحدّث عن معنى الكتاب والكلام، ومستشهدًا بكلام بعض المحققّين، بما معناه أنّ صور الألفاظ إن نُسِبَت إلى اللافظ سُمِّيَت كلامًا، وسُمِّي اللافظ متكلّمًا. وإن نُسِبَت إلى ما يُنقَش فيه، كاللوح الهوائيّ، بالإضافة إلى الإنسان، سُمِّيَت كتابةً، واللافظ كاتبًا[٣].

ويوضح الفيض هذه المسألة، فيرى أنّ «اللوح الهوائيّ بالنسبة إلى النفس الناطقة الإنسانيّة كلام وكتاب باعتبارَين. وكذا النفس

= وإشراف جعفر السبحاني، تحقيق أكبر أسد عليّ زاده، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، قم، ط١، ١٤٣٠ه، ص٣١٧.

(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٠٦، **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٦٤.

(٢) النجفي، هادي: **موسوعة أحاديث أهل البيت**، ج٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢، ص١٢١.

(٣) يراجع مقدّمة وتعليقات **مفاتيح الغيب**، صدر الدين الشيرازي، ج١، ص١٠٠-١٠٦.





الناطقة المرتسمة فيها الصور العقليّة والعلوم النفسانيّة، لوح كتابيّ بأحد الاعتبارَين: وبهذا الاعتبار، لها وجه إلى مصوِّر عقليّ وقلم علويّ يصوّرها بتلك العلوم والصور. وبالاعتبار الآخر جوهر متكلّم ناطق، ولها وجه إلى قابل يقبل منها الصور ويسمع عنها الكلام. وكذلك وجود الموجودات كلها الصادر بأمر «كن» - بلا لفظ ولا صوت-، كلام اللّه وكتابه باعتبارَين. وكذلك **القرآن** الذي بين أظهرنا والكتب التي أُنزِلت من قبل، كلّها كلام اللّه وكتابه جميعًا باعتبارَين»(١).

وهنا، يتطرّق الفيض الكاشاني إلى **القرآن** الكريم، لكونه كلام اللّه، وباعتباره «كتاب نقوش وأرقام فيها آيات وأحكام نازلة من السماء نجومًا على صحائف قلوب المحبّين، وألواح نفوس السالكين، وغيرهم، يكتبونها في صحائفهم وألواحهم بحيث يقرؤها كلّ قارئ، ويعمل بأحكامها كلّ عامل موفّق، وبه يهتدون»(٢).

وبما أنّ كلام الباري (سبحانه وتعالى) يشتمل على الآيات، كما في قوله تعالى ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾(٣)، فكذلك الكتاب يشتمل على الآيات كما في قوله تعالى ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾(٤). والكلام عند الفيض الكاشاني «إذا تشخّص وتنزّل صار كتابًا، كما أنّ الأمر إذا تنزّل صار فعلًا، كقوله ﴿كُن فَيَكُونُ﴾»(٥).

---

(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج٢، ص٧٢٠-٧٢١.
(٢) المصدر نفسه، ص٧٢١.
(٣) سورة **البقرة**،الآية ٢٥٢.
(٤) سورة **يوسف**،الآية ١؛سورة **الشعراء**،الآية ٢؛سورة **القصص**،الآية ٢.
(٥) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج٢، ص٧٢٢.





والقرآن الكريم أشار إلى طرق ثلاث للكلام، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[1]. وتوضيح ذلك كما يلي:

١. الوحي: وهو الإلقاء الخفيّ في نفوس الأنبياء.

٢. من وراء حجاب: وهو وجود الكلام في الموجودات، فيسمع الصوت ولا يرى المتكلّم، كما حصل لأمّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٣. إرسال ملك: وهو جبرئيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيكلم النبيّ عن اللّه تعالى[2].

ب.٣. الصفات الجلاليّة

كما يتّصف الباري (سبحانه وتعالى) بالصفات الجلاليّة، أو ما يُعرَف بـ«الصفات السلبيّة». وهذه الصفات هي التي تنزّه الباري (سبحانه وتعالى) عن الاتّصاف بها، أي إنّها تُسلَب عنه (جلّ ذكره) وتنزّهه عن النقص والحاجة والفقر.

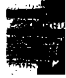
ولكون الباري (سبحانه وتعالى) موصوفًا بالكمال المطلق ومنزّهًا عن كلّ نقص، نجد أنّ علماء الكلام يصفون اللّه (سبحانه وتعالى) بأنّه «ليس بجسم ولا جسمانيّ، ولا محلًّا لشيء، ولا حالًّا في شيء، ذلك لأنّ كلّ هذه الخصوصيّات ملازمة للنقص

---

(١) سورة **الشورى**، الآية ٥١.

(٢) ينظر: **بداية المعرفة**، العاملي، ص١٢٩.





والاحتياج، ومستتبعة للفقر والإمكان. وهي تعارض كونه غنيًّا غنىً مطلقًا، وتنافي كونه واجب الوجود قطعًا ويقينًا»[١].

وحصر أهل الاختصاص هذه الصفات السلبيّة في سبع، وهي «أنّه تعالى ليس بجسم، ولا جوهر، ولا عرض، وأنّه غير مرئيّ، ولا متحيّز، ولا حالّ في غيره، ولا يتّحد في شيء»[٢].

أمّا الفيض، فموقفه من هذه الصفات واضح جدًّا، إذ سار على منهج السلف الذين نزّهوا الباري (سبحانه وتعالى) عن كلّ هذه الصفات. لذلك، يقول:

«قد دلّت العقول السليمة والأفهام المستقيمة على تنزيهه -تعالى- عمّا لا يليق بجنابه المقدّس، مثل الجسميّة، والصورة، والحركة، والانتقال، والحلول، والاتّحاد، وكونه محلًّا للحوادث، أو في جهة أو في مكان أو زمان، وكونه مرئيًّا بالبصر، أو مدرَكًا بشيء من الحواسّ، أو مكتَنهًا بشيء من العقول، وغير ذلك من النقائص التي هي من صفات الممكنات والمعلولات»[٣].

واللّه (سبحانه وتعالى)، كما يرى الفيض الكاشاني، منزّه عن كلّ وصف من أوصاف الكمال الذي يظنّه أكثر الخلق، وذلك «لأنّ الخلق إنّما يصفونه بما هو كمال في حقّهم، واللّه تعالى منزّه عن

---

(١) **العقيدة الإسلاميّة**، جعفر السبحاني، ص٨٠.

(٢) السبحاني، جعفر: **الفكر الخالد في بيان العقائد**، ج١، إعداد اللجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، تعريب خضر ذو الفقاري، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، ط١، ١٤٢٥ه، ص٣٣.

(٣) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٧١.





أوصاف كمالهم. كما أنّه (عزّ وجلّ) منزّه عن أوصاف نقصهم. وكلّ صفة يصفه به [بها] الخلق ممّا يدركه حسّ أو يتصوّره خيال، أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به ضمير، أو يفضي به فكر: فهو مقدّس عنها وعمّا يشبهها ويماثلها»(١).

واستشهد الفيض بقول الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هل سُمِّيَ عالمًا وقادرًا إلّا لأنّه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين؟ وكلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق، مصنوع، متكلّم، مردود إليكم، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت. ولعلّ النمل الصغار توهّم أن للّه تعالى زبانيَين [فإنّهما كمالها]، وتصوّر أنّ عدمهما نقصان لمن لا يكونان له. هكذا حال العقلاء فيما [في ما] به يصفون اللّه تعالى فيما [في ما] أحسب، وإلى اللّه المفزع»(٢).

واللّه ليس كمثله شيء «لأنّ المخلوق لا يكون أبدًا مثل خالقه في شيء من الأشياء، لأنّه محتاج وخالقه غير محتاج. فلا حدّ لصفة اللّه ولا كيف، لأنّهما من خواص الحاجة. وفي كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «وتوحيده تمييزه من خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة»»(٣).

وأمّا ما يوهم بالتشبيه في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، «فإنّما ذلك من حيث أسمائه، وصفاته، ومعيّته للأشياء، لا من حيث

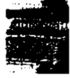
---

(١) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٤٣.

(٢) **الحكمة المتعالية**، الشيرازي، ج٨، ص٤٢٠.

(٣) الشيخ الطبرسي: **الاحتجاج**، ج١، تحقيق وتعليق السيّد محمّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٩٦٦، ص٢٩٩.





ذاته بما هي هي، بل الحقّ أنّه (جلّ جلاله) من حيث ذاته منزّه عن التشبيه»[١]. وأمّا ما يوهم بالتشبيه في اللّه، فيرجع الفيض ذلك إلى «خواصّ أوليائه، فإنّ الوليّ الكامل لمّا قويت ذاته بحيث وسع قلبه وانشرح صدره، وصار جالسًا في مقام التمكين على الحدّ المشترك بين الحقّ والخلق، غير محتجب بأحدهما عن الآخر، فحينئذ كلّما يصدر عنه من الأعمال، والأفعال، والمجاهدات، والمخاصمات، وغيرها كان للّه، وباللّه، ومن اللّه، وفي اللّه. فإن غضب كان غضب باللّه وللّه، وإن رضي كان رضاه كذلك. فهكذا في جميع ما يفعل أو ينفعل، فيصحّ نسبة صفاته وأفعاله إلى اللّه سبحانه»[٢].

٣. أدلة وجود الله عند الفيض الكاشاني

لقد ساق الفيض الكاشاني عدّة أدلّة على وجود اللّه (سبحانه وتعالى)، نذكر جملةً منها:

٣.أ. دليل الحدوث

وهذا الدليل اعتمده المتكلّمون في إثبات الصانع، ومعنى الحدوث «أنّ له صانعًا يفتقر إليه»[٣]. ومعنى حدوث العالم «ليس إلّا أنّ فاطره (عزّ وجلّ) شقّ غسق ليل عدمه بفلق نهار الوجود»[٤]. وأمّا

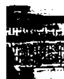
(١) **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، ص٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٧.

(٤) **اللبّ في حدوث العالم**، الفيض الكاشاني، ص٢٩٨.





الحدوث الذي يعني المسبوقيّة في المُحدث، فله معنيان:

١. الحدوث الذاتيّ: وهو «أن يكون ذات الحادث مسبوقًا بذات المُحدث»[١].

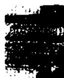
٢. الحدوث الزمانيّ: وهو «أن يكون زمان وجود الحادث مسبوقًا بزمان عدمه»[٢].

ويتّفق الفيض الكاشاني مع ما قاله بعض أهل المعرفة من أنّ «أعيان الموجودات هي كلمات اللّه التي لا تبديل لها، ويُنسَب إليها القدم من حيث ثبوتها في العلم، ويُنسَب إليها الحدوث من حيث وجودها في العين»[٣]. ولأنّ العالم وُجِدَ من العدم، فهو «حادث في غير زمان»[٤]. وقال الفيض إنّ الحدوث الذاتيّ هو «ما يجري في كلّ ما سوى اللّه، وهو ثابت في كلّ ما يجري فيه»[٥]، وبيان ذلك هو «أنّ المصنوع يمتنع أن يكون في مرتبة الصانع، لأنّ معنى الصانعيّة والمصنوعيّة ليس إلّا تقدّم ذات على ذات توجد الثانية من الأولى. ولو كانتا معًا لكان الصنع تحصيلًا للحاصل، فكان الصانع في أزل قدمه، والمصنوع بعد في حيّز عدمه. فكان الصانع ولا مصنوع ثم حدث المصنوع بإحداث الصانع إيّاه»[٦].

---

(١) **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، ص٧٧.
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٣) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص٧٥.
(٤) المصدر نفسه، ص٧٦.
(٥) **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، ص٧٧.
(٦) المصدر نفسه، ص٧٨.





ويثبت ممّا سبق حدوث العالم بالمعنى الأوّل. وهذا النوع من الحدوث قد ورد في الروايات، كما أكّد الفيض الكاشاني. والرواية التي أشارت إلى هذا المعنى هي: «كان اللّه ولم يكن معه شيء»[١]، وهي معنى قول من قال: «الآن كما عليه كان»[٢].

وفي معنى قول القائل: «الآن كما عليه كان»، يقول الكاشاني: «فمعنى «كان» هنا معناها في قوله (عزّ وجلّ) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٣]، فهو منسلخ عن معنى الماضي، بل عن مطلق الزمان»[٤]. وتقدّم صانع العالم على مصنوعه هو «التقدّم الحقيقيّ الذاتيّ الذي لا تقدّم أشرف منه ولا في مرتبة في الشرف، إذ لا ملاك لهذا التقدّم سوى ذات الصانع بذاته. ولا يفتقر المتقدّم في تقدّمه إلى واسطة تكون علّة لتقدّمه»[٥].

أمّا المعنى الثاني من الحدوث، أي الحدوث الزمانيّ، فإنّه «يجري في ما يدخل تحت الزمان، دون تقدّم على الزمان، وهو أيضًا ثابت في كلّ ما يجري فيه، لا يشذّ عنه شاذّ»[٦]؛ أي إنّ الباري (سبحانه وتعالى) لمّا أخرج العالم من العدم إلى الوجود بأمر «كن»، صبّ عليه الوجود بفيض منه ورشحة من رشحات جوده تعالى. وقال الفيض إنّ ذلك حدث من خلال «صبّة واحدة بلا حركة، ولا

---

(١) **شرح أصول الكافي**، المازندراني، ج٤، ص٩٨.
(٢) **اللبّ في حدوث العالم**، الفيض الكاشاني، ص٢٩٩-٣٠٠.
(٣) سورة **النساء**، الآية ١٧.
(٤) **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، ص٧٨.
(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٦) **اللبّ في حدوث العالم**، الفيض الكاشاني، ص٢٩٩.





زمان، ولا آن، ولا في مادّة، ولا حيّز، ولا مكان، بل أبدع الزمان، والآن، والحركة، بلا زمان، ولا آن، ولا حركة»[١]. وهي كما قال تعالى ﴿كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾[٢]. لذا، فالزمان والحركة «بهويّتهما [بهويّتَيهما] الامتدادتَين الغير [غير] القارّتَين فاضا من الحقّ الفيّاض فيضةً واحدةً في متن الواقع»[٣]. ثمّ يذكر الكاشاني كلامًا حول تقدّم النفوس على الأجساد، وحدوث هذه النفوس بحدوث أجسادها، لأنّ النفوس على نوعَين:

١. النفوس الجزئيّة: وهي «الأرواح البرزخيّة المجرّدة من الصورة والمشتملة على الشهوة والغضب».

٢. النفوس الكلّيّة: وهي «الأرواح المجرّدة من المادّة والصورة كلَيهما»[٤].

وقد اعتبر الفيض الكاشاني أنّ الأرواح المجرّدة، التي هي من جنس الملائكة المقرّبين والعقول القدسيّين، لها تقدّم على الأجساد. والأرواح البرزخيّة «حادثة بحدوث الأجساد»[٥].

ويقابل مفهوم الحدوث مفهوم القدم. والقديم أيضًا ينقسم إلى قسمَين:

١. القديم الذاتيّ: وهو «ما لا يكون وجوده من غيره»[٦].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٠٤.

(٢) سورة **النحل**، الآية ٧٧.

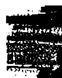
(٣) **اللبّ في حدوث العالم**، الفيض الكاشاني، ص٣٠٤.

(٤) **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، ص٦٧.

(٥) المصدر نفسه، ص٦٩.

(٦) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٨٩.





٢. القديم الزمانيّ: وهو «ما لا أوّل لزمان وجوده»[١].

والقديم الذاتيّ لا يسبقه العدم أصلًا، لأنّ «ما لا يكون وجوده من غيره لا يكون ممكنًا»[٢]، وهذا الكلام مختصّ بواجب الوجود وحده. وواجب الوجود «لا يسبقه العدم بالضرورة»[٣]، وهو سبحانه متقدّم على جميع الموجودات «كتقدّم الواحد على جميع العدد من غير أوقات ولا أمد»[٤]. أمّا القديم الزمانيّ، «فقد يكون مسبوقًا بالعدم، حيث يكون وجوده من غيره»[٥]. ويفرّق الكاشاني بين مفهومَي الأزل والقدم، فالأزل «عبارة عن معوّليّة القبليّة للّه تعالى. والقدم عبارة عن انتفاء مسبوقيّته بالعدم في نفس قبليّة عن الأشياء، فليس إلّا وجود بحت خالص ليس من العدم، وهو وجود الحقّ»[٦]. واللّه (سبحانه وتعالى) هو خالق الخلق، وهو «فاعل لم يزل ولا يزال، كما أنّه عالم مريد لم يزل ولا يزال، وهو آمر خالق أبدًا سرمدًا، إلّا أنّ أمره قديم وخلقه حادث»[٧].

وساق الفيض الكاشاني الأدلة الروائيّة على حدوث الأجسام، منها الرواية التي وردت عن الإمام الصادق عَلَيهِالسَّلَامُ حينما سأله عبد

---

(١) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٠.

(٣) **عين اليقين**، الفيض الكاشاني، ص٩٠.

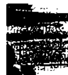
(٤) **اللبّ في حدوث العالم**، الفيض الكاشاني، ص٣١٢.

(٥) **اللبّ في حدوث العالم**، الفيض الكاشاني، ص٣١٢.

(٦) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص٧٦.

(٧) الشيرازي، صدر الدين محمّد: **رسالة في الحدوث**، المطبوعة ضمن مصنّفات صدر الدين الشيرازي، جمع وتحقيق محسن عقيل، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص٥٤٨.





الكريم بن أبي العوجاء عن الدليل على حدوث الأجسام، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّي ما وجدت شيئًا صغيرًا ولا كبيرًا، إلّا إذا ضمّ إليه مثله صار أكبر. وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى، ولو كان قديمًا ما زال، ولا حال، لأنّ الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل، فيكون وجوده بعد عدمه دخول في الحدث، وفي كونه في الأزل دخول في العدم، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم في شيء واحد». فقال عبد الكريم: «علمت في جري الحالتَين والزمانَين على ما ذكرت، واستدللت على حدوثها، فلو بقيت الأشياء على صغرها، من أين كان لك أن تستدلّ على حدوثها؟»، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّما نتكلّم عن هذا العالم الموضوع، فلو رفعناه ووضعنا عالمًا آخر كان لا شيء أدلّ على الحدث من رفعنا إيّاه ووضعنا غيره. ولكن أجبتك من حيث قدرت أن تلزمنا وتقول إنّ الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنّه متى ضمّ شيء منه إلى مثله كان أكبر، وفي جواز تغيّره عليه خروجه من القدم كما بان في تغييره دخوله في الحدث. ليس لك وراءه شيء يا عبد الكريم». فانقطع وخزي[(١)].

وكذلك الرواية المرويّة عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه دخل عليه رجل، فقال له: «يا بن رسول اللّه، ما الدليل على حدث العالم؟»، قال: «أنت لم تكن، ثم كنت، وقد علمت أنّك لم تكوّن نفسك، ولا كوّنك من هو مثلك»[(٢)].

---

(١) الجزائري، نعمة الله: **نور البراهين**، ج٢، تحقيق السيّد مهدي الرجائي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط١، ١٤١٧ه، ص١٣٤.

(٢) **التوحيد**، الشيخ الصدوق، ج٣، ص٢٣٤.





٣.ب. برهان الصدّيقين

هذا البرهان هو أوضح دليل على أنّ اللّه واحد لا شريك له، لأنّه هو الوجود المطلق، وهو واجب الوجود. وهذا البرهان يحقّق أعلى درجات الجزم واليقين. وابن سينا هو أوّل فيلسوف حقّق في هذا البرهان، وأوّل من أطلق عليه اسم «برهان الصدّيقين» في كتابه **الإشارات**[١]. أمّا صدر الدين الشيرازي، فقد أقام هذا البرهان على أساس قواعد الحكمة المتعالية التي بيّنها في فلسفته. واعتبر هذا البرهان من أشدّ البراهين استحكامًا. ويتحدّث الشيرازي عن هذه الطريقة في الاستدلال على اللّه (سبحانه وتعالى)، قائلًا: «وإلى هذه الطريقة أشار بقوله تعالى ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢]، وذلك لأنّ الربانيّين ينظرون إلى الوجود ويحقّقونه، ويعلمون أنّه أصل كلّ شيء»[٣].

وقد ورد هذا البرهان في الأحاديث الشريفة، كما في الحديث المرويّ عن الإمام عليّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنه قال: «أعرفوا اللّه باللّه»[٤]. كما ورد عن الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنّه قال: «أيكون من الظهور لغيرك ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي الموصلة

---

(١) **الإشارات والتنبيهات**، ابن سينا، ج٣، ص٥٥.

(٢) سورة **الشورى**، الآية ٥٣.

(٣) **الحكمة المتعالية**، الشيرازي، ج٨، ص١٤.

(٤) المنتظري: **دراسات في ولاية الفقيه**، الدار الإسلاميّة، ج١، بيروت، ط٢، ١٩٨٨، ص٦٩.





إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيبًا»[١].

ونجد هذا البرهان أيضًا في كلام الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذ يقول: «بك عرفتك وأنت دللتني عليك، ودعوتني إليك، ولولا أنت لم أدر ما أنت»[٢]. يتّضح إذًا أنّ برهان الصدّيقين يُستدَلّ به على أنّ الحقّ يثبت ذات الحقّ، وهذا ما يؤكدّه الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعاء الصباح في قوله: «يا من دلّ على ذاته بذاته»[٣].

وبنظر الفيض الكاشاني، هذا الدليل هو من «أشرف الدلائل، وأوثقها، وأسرعها في الوصول، وأغناها عن ملاحظة الأغيار»[٤]. وفي طريق الصدّيقين هذا «يستشهدون بالحقّ على كلّ شيء، لا بغيره عليه. فيشاهدون جميع الموجودات في الحضرة الإلهيّة ويعرفونها في أسمائه وصفاته. فإنّه ما من شيء إلّا وله أصل في عالم الأسماء الإلهيّة وله وجه إلى الحقّ سبحانه»[٥].

كما استدلّ الفيض الكاشاني على هذا البرهان بالرواية المرويّة عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حينما سُئِلَ: «بم عرفت اللّه؟» فقال: «باللّه عرفت الأشياء»[٦]. ويرى الفيض أنّ في هذه الطريقة يكون

---

(١) الحسيني، رضي الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس الحسني: **إقبال الأعمال**، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٦٩٦.

(٢) **المصباح**، الكفعمي، ص٧٠٨.

(٣) الأصفهاني، محمّد باقر الموحّد الأبطحيّ، **الصحيفة العلويّة المباركة**، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص٢٩٠.

(٤) **أصول العقائد الدينيّة**، الفيض الكاشاني، ص١٤٠.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) **شرح فصوص الحكم**، القيصري، ص٥٨٢.

«السالك، والمسلَك، والمسلوك فيه، والمسلوك إليه كلّه واحد، وهو البرهان على ذاته»[١]. أمّا الفرق بين برهان الصدّيقين وسائر البراهين، فهو أنّ هذا البرهان يثبت الحقّ المطلق من غير توسّط شيء آخر، في حين تتوقّف البراهين الأخرى على الواسطة، التي هي المخلوقات؛ أي على الاستدلال من العلّة إلى المعلول.

٣.ج. دليل معرفة النفس الإنسانيّة

كلّ ما سوى اللّه تعالى إنّما هو آية من آياته (جلّ وعلا)، والنفس هي إحدى تلك الآيات الدالّة على الباري (عزّ وجلّ)، لما تمتاز به من مزايا، ومن حقيقة كامنة وراء هذا البدن، الذي سينحلّ يومًا إلى عناصره الأوليّة التي تتألّف هذه النفس منها. والنفس هي «الروح والقلب في كلمات الأخلاقيّين، فهي الجزء المجرّد في تركيبة الإنسان الاثنينيّة في قبال جزئه الثاني، وهو البدن»[٢]. وفي كلام النبيّ الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّه قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[٣]. كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه»[٤]، ما يعني أنّ علاقةً وثيقةً تجمع النفس والربّ «فلو لم يكن بينه تعالى وبين النفس من المناسبة، ما لم يكن بينها وبين الأجسام، لما شرط هو

---

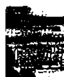
(١) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٢٧.

(٢) الحيدري، كمال: **معرفة اللّه**، ج٢، بقلم طلال الحسن، دار المرتضى، بيروت، ١٤٣١ه، ص٩٥.

(٣) المشهدي، محمّد: **تفسير كنز الدقائق**، ج١، تحقيق مجتبى العراقي، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ج١، ص٨٥.

(٤) **الفتوحات المكّيّة**، ابن عربي، ج٣، ص٤٤٩.





صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ معرفة الرّب بمعرفة النفس، وهذه المناسبة هي كونها جوهرًا عاريًا عن الأحياز والأمكنة»(١).

والدليل على معرفة الباري (سبحانه وتعالى) من خلال النفس الإنسانيّة «إنّما يتأتّى من التأمّل في مكوّنات وخواص النفس [مكوّنات النفس وخواصها]، وما توجد فيها من إبداعات ومزايا إعجازيّة. وكذلك الحال في أعضاء البدن البشريّ، فكلّ ذلك لا يمكن أن يأتي من محض الاتّفاق والصدفة، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى أنّ مجموع الإنسان صادر من خالق مدبّر حكيم، أتقن صنعه الكامل»(٢).

ومن الأدلّة التي ساقها الفيض الكاشاني على وجود اللّه (سبحانه وتعالى) دليل معرفة النفس التي هي «الجوهر اللطيف الملكوتيّ الذي يستخدم هذا البدن الجسمانيّ في حاجاته مسخّرًا له تسخير المولى لخدمه، وهو ذات الإنسان وحقيقته العالمة بالمعلومات، وله في هذا البدن جنود جسمانيّة هي الأعضاء، وجنود روحانيّة هي القوى. قال اللّه تعالى ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾»(٣).

وتجدر الإشارة إلى أنّ الجوهر الملكوتيّ يلقّبه الفيض بـ«الروح، لتوقّف حياة البدن عليه، وبالقلب لتقلّبه في الخواطر، وبالعقل لاكتسابه العلوم واتّصافه بالمدركات»(٤).

---

(١) **المبدأ والمعاد**، صدر الدين الشيرازي، ج٢، ص٤٩٩.
(٢) **علم الكلام عند صدر الدين الشيرازي**، رياض سحيب، ص٤٨١.
(٣) **الحقائق في محاسن الأخلاق**، الفيض الكاشاني، ص٧٢.
(٤) **الحقائق في محاسن الأخلاق**، الفيض الكاشاني، ص٧٣.

العدل عند الفيض الكاشاني

من الصفات الثابتة للّه (سبحانه وتعالى) أنّه عادل غير ظالم. ولا بدّ أن تشمل العدالة البشر جميعهم في ظلّ وجود العدل الإلهيّ، فالعدل هو الميزان الذي تتوزّع، من خلاله، الحقوق على الناس. والعدل في اللغة هو «نقيض الجور»(١). وذكر الكفعمي في **مصباحه** أنّ العدل، «أي ذو العدل، وهو مصدر أُقيمَ مقام الأصل، وُصِفَ به سبحانه للمبالغة لكثرة عدله، والعدل هو الذي لا يجور في الحكم»(٢). والباري (سبحانه وتعالى) عادل، واسع في عدالته. وهو عادل في بريّته فلا يحكم جورًا، وعادل في قضائه فلا يغني ولا يفقر، ولا يشفي ولا يمرض، ولا يميت ولا يحيي، ولا يعزّ ولا يذلّ، ولا يعطي ولا يمنع، إلّا بالعدل. وهو عادل في جزائه، فلا يثيب ولا يعاقب، ولا يكرم ولا يهين، إلّا بالعدل(٣).

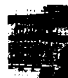
---

(١) الفراهيدي، الخليل: **كتاب العين**، ج٢، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسّسة دار الهجرة، ط٢، ١٤٠٩ه، ص٣٩.

(٢) **المصباح**، الكفعمي، ص١٣٩.

(٣) الشيرازي، محمّد الحسيني: **العقائد الإسلاميّة**، مؤسّسة التبليغ العالميّة، بيروت، ط٧، ٢٠٠٣، ص٧٦.





وإذا ما نظرنا إلى هذا الكون الفسيح، بكلّ أجزائه، بما فيه الإنسان، لوجدنا أنّه يسير تبعًا لمجموعة من القوانين والضوابط. فهذا الكون يكشف عن عظمة الباري وعدالته، ولا تخلو ناحية من نواحيه من النظام. وهذا دليل بيّن على كون خالق الكون عادلًا وزّع عدالته من خلال الأنظمة والقوانين الحاكمة على أجزاء هذا الكون.

١. الدليل على عدالة الله

يعتقد المسلمون أنّ اللّه (سبحانه وتعالى) عادل لا ظلم في ساحته، وذلك من الآيات القرآنيّة التي تنفي أيّ ظلم عن الباري سبحانه بحقّ خلقه. فالباري (سبحانه وتعالى) يصف نفسه بأنّه ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[١]. وورد في **القرآن** الكريم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾[٢]، كما قال تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[٣]، وغيرها من الآيات التي تدلّ على عدالة الباري سبحانه[٤]. إذًا، يتّضح ممّا سبق، ومن آيات **القرآن** الكريم، أنّ اللّه (سبحانه وتعالى) لا يظلم مثقال ذرّة، وهو عادل «لا يجور في قضائه، ولا يحيف في حكمه، يثيب المطيعين، وله أن يجازي العاصين، ولا

---

(١) سورة **النساء**، الآية ٤٤.

(٢) سورة **يونس**، الآية ٤٤.

(٣) سورة **آل عمران**، الآية ١٨.

(٤) لمعرفة هذه الآيات الكريمة يراجع: الصدر، محمّد: **بين يدي القرآن**، هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر (النجف الأشرف) ودار ومكتبة البصائر (بيروت)، ط١، ١٤٣٢ﻫ، ص٢٧٧-٢٧٨.





يكلّف عباده ما لا يطيقون ولا يعاقبهم زيادةً على ما يستحقّون»[١].

وأورد الفيض الكاشاني في **تفسير الصافي** شرحًا وافيًا لبعض الآيات الدالّة على العدالة الإلهيّة، منها قوله تعالى في سورة **الأنبياء** ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[٢]. يقول الفيض مفسّرًا هذه الآية المباركة إنّ موازين «العدل يوزن [توزن] بها الأعمال»[٣]، وفي الآية «إشارة إلى ميزان العدل يؤخذ به الخلائق يوم القيامة. يدين اللّه تبارك وتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين» ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ﴾ «من حقّه أو من الظلم»[٤] ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ﴾ «أحضرناها»[٥] ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ «إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا»[٦].

ويستشهد الفيض الكاشاني بما ورد في كتاب **التوحيد** عن الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حينما سُئِلَ عن هذه الآية فقال: «هم الأنبياء والأوصياء»[٧]، كما ورد أنّ «أمير المؤمنين هو الميزان»[٨]. ويعود

---

(١) العامر، فارس عليّ: **عقائد الإماميّة في ثوبه الجديد**، مكتبة الإمام الشيرازي العامّة، بيروت، ص٥٢.

(٢) سورة **الأنبياء**، الآية ٤٧.

(٣) **الصافي**، الفيض الكاشاني، ج٢، ص٤٦٢.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧) **الكافي**، الكليني، ج١، ص٧٩.

(٨) **معاني الأخبار**، الصدوق، ص٩٤.

السبب في ذلك، كما يرى الفيض الكاشاني «لأنّ ارتفاع قدر العباد وقبول أعمالهم إنّما هو بقدر إيمانهم بالأنبياء والأوصياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ واتّباعهم إيّاهم في أقوالهم، وأفعالهم، وأخلاقهم، والاقتفاء لآثارهم، والاستنان بسنّتهم. فالمقبول الراجح الثقيل من الأعمال ما وافق أعمالهم، والمرضيّ الحسن الجميل من الأخلاق والأقوال ما طابق أخلاقهم وأقوالهم، والحقّ الصائب السديد من الاعتقادات ما أخذ منهم، والمردود منها ما خالف ذلك. وكلّما قرب من ذلك، قرب من القبول، وكلما بعد بعد، فميزان كلّ أمّة هو نبيّ تلك الأمّة ووصيّ نبيّها»[١].

وقال تعالى في سورة **الأنعام** ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ﴾[٢]. يقول الفيض الكاشاني مفسّرًا الآية الشريفة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: «ما تكلّم به من الحجّة، وقُرِئَت «كلمات ربّك». يعني بلغت الغاية أخباره، وأحكامه، ومواعيده، ﴿صِدْقًا﴾ في الأخبار والمواعيد، ﴿وَعَدْلًاۚ﴾ في الأقضية والأحكام ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾ لا أحد يبدّل شيئًا منها بما هو أصدق وأعدل»[٣].

وتتّضح دلالة الآيات الكريمات من أنّ العقل الفطريّ السليم يدرك أنّ الظالم الخائن جدير بالمؤاخذة، وأنّ العادل الأمين، الذي يضحّي في سبيل العدالة والأمانة، جدير بالمثوبة. وما دمنا نؤمن بأنّ اللّه (سبحانه وتعالى) عادل أتمّ العدل، وقادر على الجزاء المناسب ثوابًا وعقابًا، فلا شيء يحول دون تنفيذ الباري (سبحانه وتعالى)

---

(١) **ميزان القيامة**، الفيض الكاشاني، ص٢٩.

(٢) سورة **الأنعام**، الآية ١١٥.

(٣) **الصافي**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٤٩٧.





جزاءه العادل. ومن الطبيعي أن نستنتج من ذلك أن اللّه سبحانه يجازي المحسن على إحسانه وينتصف للمظلوم من ظالمه[١].

وينفي الفيض الكاشاني فعل القبيح عن اللّه (سبحانه وتعالى)، لذا يقول إنّ «اللّه سبحانه لا يفعل القبيح، لأنّه جلّ وعزّ عالم بقبحه، قادر على تركه، غير محتاج إلى فعله. كيف ولو فعل القبيح لارتفع الوثوق بوعده، ووعيده، وأنبيائه، ورسله، تعالى وتقدّس عن ذلك. فما ربّك بظلّام للعبيد، ولا يرضى لعباده الكفر، ولن يخلف اللّه وعده، وكلّ ما يفعله فإنّما يفعله لغرض، وحكمة، ومصلحة، وإن كان جلّ اسمه غنيًّا عن العالمين»[٢].

وإذا كان الباري (سبحانه وتعالى) لا يفعل الظلم والقبيح، كما يرى الفيض الكاشاني، «فما حجب علمه عن العباد فهو موضوع عنهم، فلا يحتجّ عليهم إلا بما آتاهم وعرّفهم»[٣]، إذ قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٤] و﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[٥].

---

(١) ينظر: الصدر، محمّد باقر: **الموجز في أصول الدين**، تحقيق عبد الجبار الرفاعي، منشورات حبيب، ط١، ١٤١٧ﻫ، ص١٧١-١٧٢.

(٢) **منهاج النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٢٤.

(٣) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، المجلّد الأوّل، ص١٨٣.

(٤) سورة **الإسراء**، الآية ١٥.

(٥) سورة **طه**، الآية ١٣٤.

٢. الجبر والتفويض

من المسائل الكلاميّة المهمّة التي اختلف فيها المتكلّمون وزعماء الفرق الإسلاميّة مسألة الجبر والتفويض. لكن قبل الخوض في هذه المسألة وبيان تداعياتها عند كلّ فرقة إسلاميّة، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ أعظم النعم الإلهيّة على البشر هي نعمة العقل، فبها «يُهتدَى إلى الطريق القويم والفعل السليم. فلا اختيار للعباد، لأنّ القول بها اختيار من الحكمة والرشاد، ولا جبريّة لهم، لأنّ بالجبريّة [فبالجبريّة] يصبح كلّ شيء في الحياة لا معنى له ولا حكمة لوجوده»[١].

وإذا ما خضنا في هذا المسألة على غير هدًى، سنذوق وبال أمرنا انحرافًا فكريًّا في العقائد الإسلاميّة. ويؤدّي هذا اللون من التفكير المغلوط في مسألة الجبر والتفويض إلى «إسناد الأفعال الإنسانيّة للّه [إلى اللّه] تعالى بصورة مباشرة، ونفي فاعليّة الإنسان وتأثيره في أفعاله نفيًا مطلقًا. وفي هذه الحالة، لا يكون أيّ أحد مسؤولًا عن أفعاله»[٢].

وقد يؤدّي هذا الانحراف إلى «القول بجبريّة الإنسان ونفي المسؤوليّة عنه، وهو يعني نفي أهمّ خاصّة وميزة للإنسان، وعبّثية كلّ الأنظمة التربويّة، والأخلاقيّة، والقانونيّة، والحقوقيّة، ومنها النظام التشريعيّ الإسلاميّ، ذلك أنّنا لو سلبنا الاختيار عن الإنسان على أيّ فعل من أفعاله، لما بقي موضع للمسؤوليّة، والوظيفة، والأمر

---

(١) **الفيض الكاشاني وجهوده في تفسير الصافي**، قاسم شهيد غيّاض، ص٣٤٨.
(٢) **دروس في العقيدة الإسلاميّة**، ج١، محمّد تقي مصباح اليزدي، ص١٦٩.





والنهي [...]وعَدِمَ [الأمر والنهي التكوينيّ] غائيّته»[١].

وهذا لا يعني أنّ الإنسان مختار، وله الحريّة المطلقة في حركاته وسكناته، ما يعني أنّه متروك لحاله، وأنّ اللّه (سبحانه وتعالى) ليس له أيّ تأثير على أفعال البشر. وتؤيّد هذا الرأي فرقة من المسلمين، وهم المفوّضة[٢]. وظهرت فرقة أخرى، مقدِّمةً رأيًا مخالفًا لما رأته المفوضة، هم الجبريّة[٣]. وهذه الفرقة تبنّت جبريّة الإنسان وقالت إنّه فاعل مجبور ومسيّر.

بمعنًى آخر، ظنّت الفرقتان أنّ الفعل الإنساني إمّا أن يستند إلى الإنسان نفسه أو أن يستند إلى اللّه. لكنّ رأيًا آخر يبرز، بخلاف رأي المفوضة والمجبرّة كلَيهما، وهو ما أشار إليه أئمّة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لا سيّما كلام الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ قال: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرَين»[٤]. ومعنى هذا الحديث نجده في الرواية عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ قال: «من زعم أنّ اللّه يفعل

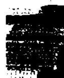
(١) المصدر نفسه، ص١٧٠.

(٢) المفوّضة: هم فرقة من الغلاة تدّعي أنّ اللّه تعالى تفرّد بخلقهم خاصّةً، وأنّه سبحانه فوّض إليهم خلق العالم بما فيه، وجميع الأفعال. ينظر: الحكيمي، محمّد رضا: **بداية الفرق نهاية الملوك**، توثيق وتعليق شاكر الإبراهيمي، دار الفردوس، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص١٠١-١٠٢.

(٣) الجبريّة: الجبر هو نفي الفعل حقيقةً عن العبد وإضافته إلى الربّ تعالى. والجبرية أصناف، فالجبريّة الخالصة لا تثبت للعبد فعلًا ولا قدرةً على الفعل أصلًا، والجبريّة المتوسّطة تثبت للعبد قدرةً غير مؤثّرة أصلًا، ينظر: **الملل والنحل**، الشهرستاني، ص٧٢.

(٤) **الاعتقادات في مذهب الإماميّة**، الشيخ الصدوق، ص٣٦.





أفعالنا ثم يعذّبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أنّ اللّه (عز وجل) فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فقد قال بالتفويض. فالقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك». فسُئِلَ: «يا بن رسول اللّه، فما أمر بين أمرَين؟» فقال: «وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه». فسُئِلَ: «فهل للّه (عزّ وجلّ) مشيّة وإرادة في ذلك؟» فقال: «أمّا الطاعات، فإرادة اللّه ومشيّته فيها الأمر بها، والرضا لها، والمعاونة عليها، وإرادته ومشيّته في المعاصي النهي عنها، والسخط لها، والخذلان عليها». فسُئِلَ: «فللّه (عزّ وجلّ) فيها القضاء؟» قال: «نعم، ما من فعل يفعله العباد من خير وشرّ إلّا وللّه فيه قضاء». ثمّ سُئِلَ: «فما معنى القضاء؟» قال: الحكم عليهم بما يستحقّونه على أفعالهم من الثواب العقاب في الدنيا والآخرة»[١].

وطريقة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في بيان حقيقة الفعل البشريّ تتطابق مع ما جاء به **القرآن** الكريم. ومن الآيات الدالّة على مسألة الجبر والتفويض قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[٢]. ومن الروايات التي اعتمدها الفيض الكاشاني في تفسير هذه الآية المباركة ما روي من أنّ المؤمنين لما انصرفوا من بدر، أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل: «قتلت وأسرت»، فنزلت آية الرمي لرسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لأنّ أثره الذي لا يدخل في قدرة البشر فعل اللّه سبحانه، فكأنّه رامي الرمية على الحقيقة، وكأنّها لم توجد من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[٣]. ومن هذه الرواية يتّضح أنّ الرمي كان من

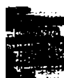
---

(١) **بحار الأنوار**، المجلسي، ج٥، ط١، ص١٢.

(٢) سورة **الأنفال**، الآية ١٧.

(٣) **الأصفى**، الفيض الكاشاني، ص٢٩٨.





الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ، وهو، في الحقيقة، جاء من لطف اللّه (سبحانه وتعالى) لهذا النبيّ الأمين. وهذه الرمية لها الأثر العظيم، وهي خارج حدود البشر وقدرتهم. فلا جبر ولا تفويض، لكن أمر بين أمرَين، ففعل الرمي، في حال كونه مستندًا إلى الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ، كان من اللّه أيضًا، لأنّ الرمي صادر من الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ، وقدرته مخلوقة للّه (جلّ وعلا)[١].

وبرأي الفيض الكاشاني، جميع الأفعال منسوبة إلى الموجودات من ذلك الوجه الذي يُنسَب إلى الحقّ بعينه، «فكما أنّ وجود زيد بعينه أمر متحقّق في الواقع، وهو شأن من شؤون الحقّ سبحانه، ولمعة من لمعاته، ومظهر من مظاهره، فكذلك هو فاعل لما يصدر عنه بالحقيقة لا بالمجاز. ومع ذلك، ففعله أحد أفاعيل الحقّ تعالى بلا شوب قصور وتشبيه – تعالى عن ذلك – كما قال تعالى ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾»[٢].

أمّا في قوله تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[٣]، فيفسّر الكاشاني هذه الآية المباركة بقوله: «أثبتت المشيّة للعبد فنفي به الجبر، وجعلها بعد مشيّة اللّه فنفي به التفويض[٤]، وقال ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾»[٥].

---

(١) ينظر: **الفيض الكاشاني ومنهجه في تفسير الصافي**، قاسم شهيد، ص٣٥٠-٣٥١.

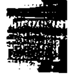
(٢) **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، ص٨٣.

(٣) سورة **الإنسان**، الآية ٣٠.

(٤) **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، ص٨٤.

(٥) **سورة الحج**، الآية ١٠.





٣. القضاء والقدر

القضاء هو «الوضع الكلّيّ للأسباب الكلّيّة الدائمة»[١]، والقدر هو «توجيه الأسباب الكلّيّة بحركاتها المقدّرة المحسوبة إلى مسبّباتها المعدودة بقدر معلوم، لا يزيد ولا ينقص»[٢]. وورد القضاء والقدر في **القرآن** الكريم بقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٣] و﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٤]. بمعنًى آخر، القدر في الأشياء والقضاء هو إبرامه. ويؤيد ذلك ما روي عن بعض أئمّة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إذ روي عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما سُئِلَ عن القضاء والقدر أنّه قال: «القدر هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء»، ثمّ قال: «والقضاء هو الإبرام وإقامة العين»[٥].

والاعتقاد بالقضاء مرحلة رفيعة من معرفة اللّه، وهو يؤدّي إلى تكامل الإنسان، ومن ثمراته أنّ «من يؤمن بأنّ حدوث الحوادث خاضع لإرادة اللّه الحكيمة، ومستند إلى التقدير والقضاء الإلهيّ، لا يخشى الأحداث المؤلمة، ولا ينهار أمامها، ولا يتملّكه الجزع واليأس، فإنّه حين يعتقد بأنّ [أنّ] هذه الأحداث تمثّل جانبًا من نظام العالم الحكيم، وتتحقّق وفق مصالح وحكم، يستقبلها بأحضان مفتوحة، ليتوصّل من خلال هذا الموقف المؤمن إلى ملكات فاضلة، أمثال

---

(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٢٥٢.
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٣) سورة **القمر**، الآية ٤٩.
(٤) سورة **الإسراء**، الآية ٢٣.
(٥) **الكافي**، الكليني، ج١، ص١٧٦.





الصبر، والتوكّل، والتسليم، وغيرها»[١].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الفرق الإسلاميّة اتّخذت مواقف متعدّدةً من هذه المسألة، فظهرت فرقة القدريّة التي نفت القدر، وقالت إنّ الإنسان يقدّر أفعاله بنفسه. وفي هذا الإطار، روى الزمخشري في **كشّافه** حديثًا الرسول محمّد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أنّه قال: «لعن اللّه القدريّة على لسان سبعين نبيًّا» قيل: «من القدريّة يا رسول اللّه؟» قال: «الذين يعصون اللّه تعالى ويقولون كان ذلك بقضاء اللّه وقدره، وهم خصماء الرحمن، وشهود الزور، وجنود إبليس»[٢]. هذا ويرى بعض المفكّرين أنّ تنبّؤ النبيّ الأكرم بطائفة باسمها من دون أن يذكر أوصاف أهلها مستبعد جدًّا[٣]. وتبقى هذه المسألة محلّ خلاف بين فرق المسلمين، إذ زعم بعضهم أنّ جميع ما يصيب الإنسان من خير وشرّ إنّما يصيبه بقضاء اللّه تعالى وقدره، أي إنّ ذلك مفروض عليه، وليس له خيار فيه ولا مفرّ منه. ويؤيد ذلك ما ذكره الدكتور

---

(١) **دروس في العقيدة الإسلاميّة**، اليزدي، ج١، ص١٨٤.

(٢) الخوارزمي، أبو القاسم جار اللّه محمود بن عمر الزمخشري: **تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩، ص٤٢٣.

(٣) وذلك لأنّ فرقة القدريّة لم يكن لها وجود في عهد رسول اللّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وإنّما برزت في النصف الثاني من القرن الأوّل عندما اتُّهم معبد الجهني وتلميذه غيلان الدمشقي بالقدر والإرجاء. ومن المستبعَد استخدام هذَين المصطلحَين في زمن الرسول الأعظم وشيوعهما في عصره. يراجع: السبحاني، جعفر: **بحوث في الملل والنحل**، ج١، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، قم، ط٣، ١٤٣٣هـ، ص١٥٩.

أحمد محمود صبحي في كتابه نظريّة الإمامة، إذ يقول:

«إنّ معاوية لم يكن يدعم ملكه بالقوّة فحسب، ولكن بأيدلوجيّة تمسّ العقيدة في الصميم. ولقد كان يعلن في الناس أنّ الخلافة بينه وبين عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد احتكما فيها إلى اللّه، فقضى اللّه على عليّ. وكذلك حين أراد أن يطلب البيعة لابنه يزيد من أهل الحجاز، أعلن أن اختيار يزيد للخلافة كان قضاءً من القضاء، وليس للعباد خيرة في [من] أمرهم - حتّى ولو كانت طاعة اللّه في خلافه - فهو قضاء من اللّه قد قُدِّرَ على العباد»(١).

والمهمّ من هذا كلّه أنّ الأمويّين اتّخذوا من مسألة القدر «أداةً تبريريّةً لأعمالهم السيّئة، وكانوا ينسبون وضعهم الراهن، بما فيه من شتّى ضروب العبث والفساد، إلى القدر»(٢). وفي عقيدتنا، نحن الإماميّة، «أنّ ما يصيب الإنسان من خير أو شرّ إنّما يصيبه بسبب فعله واختياره، وليس مفروضًا عليه، إلّا أنّ الفعل لا يخرج عن قضاء اللّه وقدره، أي قانونه»(٣). وتطرّق الفيض إلى مفهومَي القضاء والقدر، فعرّف القضاء بأنّه «وجود الصور العقليّة لجميع الموجودات بإبداعه سبحانه إيّاها في العالم العقليّ على الوجه الكلّيّ بلا زمان، على ترتيبها الطوليّ، الذي هو باعتبار سلسلة العلل والمعلولات، والعرضيّ، الذي هو باعتبار سلسلة الزمانيّات والمعدّات، بحسب مقارنة جزئيّات الطبيعةِ المنتشرةِ الأفرادِ لأجزاء الزمان، كما قال (عزّ

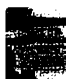
---

(١) صبحي، أحمد محمود: **نظريّة الإمامة لدى الشيعة الاثني عشريّة: تحليل فلسفيّ للعقيدة**، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٩٩١، ص٣٣٤

(٢) **بحوث في الملل والنحل**، جعفر السبحاني، ج١، ص٣٨٩.

(٣) **عقائد الإماميّة في ثوبه الجديد**، ص٥٥-٥٦.





وجلّ) ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾»[١].

أمّا القدر، فهو «ثبوت جميع الموجودات في العالم النفسيّ الفلكيّ على الوجه الجزئيّ، مطابقةً لما في موادّها الخارجيّة الشخصيّة، مستندةً إلى أسبابها الجزئيّة، واجبةً بها، لازمةً لأوقاتها المعيّنة، كما قال (عزّ وجلّ) ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾»[٢].

ويقول الفيض، مفسّرًا الآية المباركة ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾، إنّ معنى الخزائن هو ما «كتبه القلم الأعلى أوّلًا على الوجه الكلّيّ في لوح القضاء المحفوظ عن التبديل الذي فيه يجري، ثانيًا على الوجه الجزئيّ في لوح القدر الذي فيه المحو والإثبات مدرجًا على التنزيل. فإلى الأوّل أشير بقوله ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ وبقوله ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وإلى الثاني بقوله ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، ومنه ينزل ويظهر في عالم الشهادة»[٣].

وفي موضع آخر، يرى الفيض أنّ صور جميع ما أوجده اللّه (سبحانه وتعالى) منذ ابتداء العالم إلى آخره «منتقشة في العالم العقليّ، نقشًا لا يشاهد بهذه العين، بل حاصلة فيه على وجه بسيط عقليّ، مقدّس عن شائبة كثرة وتفيصل، [والقلم] هو صورة القضاء الإلهي»[٤]. وقد أورد رواية عن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ فيها إشارة إلى هذا المعنى، إذ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّ في العرش تمثال

---

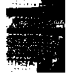
(١) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٩٦.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) **تفسير الصافي**، ج٢، ص٢٩٢.

(٤) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٢٣٩.





جميع ما خلق اللّه»[١]. وبهذا الاعتبار، هو يُسمَّى أمّ الكتاب، كما في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾. ويقول الفيض بالإشارة إلى هذه الآية المباركة: «ومنه يُنتقَش في لوح النفوس الكلّيّة السماويّة، كما يُنتسَخ بالقلم في اللوح صور معلومة، مضبوطة، منوطة بعللّها وأسبابها على وجه كلّيّ، وهي قدره تعالى، كما قال تعالى ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾»[٢].

ومن هذه النفوس الكلّيّة «تُنتقَش نقوش جزئيّة متشخّصة بأشكال وهيئات معينّة على طبق ما يظهر في الخارج»[٣]. بمعنًى آخر، يرى الفيض الكاشاني أنّ عالم النفوس الكلّيّة هو لوح القضاء، في حين أنّ المتشخّص بالأشكال والهيئات هو لوح القدر. وقد أشار **القرآن** الكريم إلى كلّ منهما في قوله تعالى ﴿كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾. كما قال سبحانه في عدّة آيات في **القرآن** الكريم ما يلي: ﴿وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[٤]، و﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾[٥]، و﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[٦]، و﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٌ﴾[٧].

---

(١) الأشـتياني، أحمد: **لوامع الحقائق فـي أصول العقائد**، ج١، تعليق حسـين بن عليّ الروشني الكلبايكاني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٩، ص١٥.

(٢) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) سورة **الأنعام**، الآية ٥٩.

(٥) سورة **الحديد**، الآية ٢٢.

(٦) سورة **هود**، الآية ٦.

(٧) سورة **الرعد**، الآية ٣٨.





وقد عدّ الفيض الكاشاني القدر في الأفعال وخلق الأعمال من الأسرار والغوامض «التي تحيّرت فيها الأفهام واضطربت فيها آراء الأنام، ولم يرخص في إفشائها بالكلام، فلا يُدوَّن [القدر] إلّا مرموزًا، ولا يُعلَم إلا مكنونًا، لما في إظهاره من إفساد العامّة وهلاكهم»(١).

٤. سرّ القدر

سرّ القدر هو غير القدر نفسه، وهو الذي يسمّيه ابن عربي «العين الثابتة». والعلم بسرّ القدر هو العلم بهذه العين الثابتة حال ثبوتها في عدمها. وفي **شرح فصوص الحكم**، يقول القيصري في تعريف سرّ القدر: «هو العلم بالأعيان حال ثبوتها في عدمها»(٢). ويختلف سرّ القدر عن القضاء والقدر، بل يمكن قول إنّ «القدر والقضاء مترتّبان على العين الثابتة والعلم بها»(٣)، وذلك لأنّ القضاء هو الحكم الكلّيّ الإلهيّ على أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية من الأزل إلى الأبد. والقدر هو تفصيل ذلك الحكم بتعيّن أسبابها، وتخصيص إيجاد الأعيان بأوقاتها وأزمانها التي تقتضي الأشياء وقوعها باستعداد الجزئيّة. فالقضاء مثل الحكم بأنّ كلّ نفس ذائقة الموت، والقدر مثل الحكم بموت زيد في اليوم الفلانيّ وبالمرض الفلانيّ(٤).

---

(١) المعارف، الفيض الكاشاني، ص٧٩-٨٠.

(٢) القيصري: **شرح فصوص الحكم**، تحقيق حسن زاده آملي، ج٢، منشورات بيروت، لبنان، ص٨٨٥.

(٣) ناصر، فادي: **سرّ القدر عند العرفاء**، دار الولاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص١٠٧.

(٤) ينظر: **بحر العلوم**، جعفر بن محمّد باقر بن مهدي: **أسرار العارفين في شرح كلام مولانا أمير المؤمنين: شرح دعاء كميل**، تحقيق فارس حسّون كريم، =



وبرأي الفيض، «لا يمكن لعين من الأعيان الخلقيّة أن يظهر في الوجود ذاتًا، وصفةً، وفعلًا إلّا بقدر خصوصيّة قابليّته واستعداده الذاتيّ، الذي لا يقبل التغيير، والتبديل، والمزيد، والنقصان»[١]. ويوعز ذلك إلى أنّ «الخلق هم المعلومون للّه سبحانه، وهو العالم بهم على ما هم عليه في أنفسهم. ولا أثر للعلم في المعلوم بأن يحدث فيه ما لا يكون له في حدّ ذاته، بل هو تابع للمعلوم»[٢].

أمّا مسألة الكفر والعصيان، فيوضحها الكاشاني بقوله: «فما قدّر اللّه سبحانه على الخلق الكفر والعصيان من نفسه، بل باقتضاء أعيانهم وطلبهم بألسنة استعداداتهم أن يجعلهم كافرًا أو عاصيًا [كفّارًا أو عاصين]. فما كانوا في علم اللّه ظهروا في وجوداتهم العينيّة، فليس للحقّ إلّا إفاضة الوجود عليهم»[٣].

وأمّا قول اللّه (سبحانه تعالى) ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٤]، فيفسّرها قائلًا: «أي ما قدّرت عليهم الكفر الذي يشقيهم، ثم طلبتهم بما ليس في وسعهم أن يأتوا به، بل ما عاملناهم إلا بما علمناهم، وما علمناهم إلّا بما أعطوا من نفوسهم ممّا هم عليه، فإن كان ظلمًا فهم الظالمون[٥]، ولذلك قال ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾»[٦].

= دار جواد الأئمة (ع)، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٤٥٦.

(١) المصدر نفسه، ص٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٦

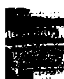
(٣) **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، ص٧٧.

(٤) سورة **البقرة**، الآية ٥٧.

(٥) **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، ص٧٦.

(٦) سورة **التوبة**، الآية ٧٠.





٥. البداء

من المسائل العقائديّة المهمّة التي اختصّ بها أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دون غيرهم مسألة البداء. ولطالما شغل هذا الموضوع حيّزًا واسعًا في الكتب الشيعيّة، وأفرد له علماء الإماميّة بحوثًا كثيرةً في مؤلّفاتهم، حتى أنّهم لاقوا الكثير من الطعن والتشنيع من خصومهم على مرّ العصور وحتّى يومنا هذا. والظاهر أنّ لغطًا كبيرًا يكتنف هذه المسألة في أذهان المخالفين. لذلك، يقول السيّد الخوئي: «وإنّهم لم يحسنوا في الفهم [لم يحسنوا الفهم] ولم يحسنوا في النقد [ولم يحسنوا النقد]. وليتهم إذ لم يعرفوا تثّبتوا أو توقّفوا، كما تفرضه الأمانة في النقل، وكما تقتضيه الحيطة في الحكم، والورع في الدين»[١]. وقد رأى معارضو البداء أنّه «مستحيل على اللّه تبارك وتعالى، وأنّ المعتقد بنسبته إليه تبارك وتعالى كافر ضالّ باعتقاده»[٢].

ومن الذين أساؤوا فهم موضوع البداء الفخر الرازي، في **تفسيره الكبير**، وتحديدًا في ذيل الآية المباركة ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٣]، إذ يقول: «يعتقد الشيعة أنّ البداء جائز على اللّه، وحقيقة البداء عندهم أنّ الشخص يعتقد شيء ثم يظهر له خلاف ذلك الاعتقاد. ولإثبات ذلك، يتمسّكون بالآية ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ﴾»[٤]. ويردف قائلًا: «إنّ هذه العقيدة باطلة لأنّ علم

(١) الخوئي، أبو القاسم الموسوي: **البيان في تفسير القرآن**، مؤسّسة إحياء آثار الإمام الخوئي، إيران، ط٣، ٢٠٠٧، ص٣٨٣.

(٢) الصدر، محمّد: **كلمة في البداء**، ص١.

(٣) سورة **الرعد**، الآية ٣٩.

(٤) **تفسير الفخر الرازي**، ج١٩، ص٦٦.

اللّه من لوازم ذاته، ومحال التغيير والتبديل فيه»[1]. أمّا الشخص الآخر الذي يقول إنّ البداء باطل، فهو الدكتور موسى الموسوي. فهو يعتقد أنّ هذه المسألة برزت إبّان ظهور فرق الإسماعيليّة التي أخذت تناهض الفكر الشيعيّ الإماميّ. وسبب التجاء أعلام الشيعة إلى البداء، كما يرى الموسوي، فهو «حتّى يثبتوا تغيير [تغيّر] مسار الإمامة من إسماعيل إلى موسى بن جعفر، في حين أنّ الإمامة، وانتقالها من كابر إلى كابر، وبالصورة التي رسمتها الشيعة قبل عهد الصراع بين الشيعة والتشيّع، لم تكن بحاجة إلى القول بالبداء وتغيير [تغيّر] الإرادة الإلهيّة. فبوفاة مرشّح الإمامة تنتقل الإمامة إلى المرشّح الثاني حسب [بحسب] ما يوحي به الإمام الصادق الذي شاهد وفاة ابنه المرشّح للإمامة»[2].

ولتوضيح هذه المسألة، ولإثبات بطلان رأي كلّ من الفخر الرازي والموسوي، نقول إنّ البداء في الإنسان معناه «أن يبدو له رأي في الشيء لم يكن له ذلك الرأي سابقًا، بأن يتبدّل عزمه في العمل الذي كان يريد أن يصنعه، إذ يحدث عنده ما يغيّر رأيه وعلمه به، فيبدو له تركه بعد أن كان يريد فعله، وذلك عن جهل بالمصالح وندامة على ما سبق منه»[3].

وهذا المعنى مستحيل على اللّه (سبحانه وتعالى)، «ولا يمكن

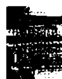
---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) الموسوي، موسى: **الشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيّع**، ١٩٨٨، ص١٤٩.

(٣) المظفّر، محمّد رضا: **عقائد الإماميّة**، مؤسّسة أمّ البنين (ع)، بيروت، ط١٠، ٢٠٠٩، ص٦٩.





لأيّ عاقل وعارف أن يحتمل أنّ هناك [ولا يمكن أن يحتمل أيّ عاقل وعارف أنّ] أمورًا خافيةً على اللّه [...] تظهر له بمرور الأيّام، فهذا القول هو الكفر بعينه، ولازمه نسبة الجهل وعدم المعرفة إلى ذاته المقدّسة، وإنّ [وكون] ذاته محلًّا للتغيير والحوادث»[١].

وقد وردت روايات عدّة في هذا الشأن، منها ما ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «من زعم أنّ اللّه بدا له في شيء بداء ندامةً فهو عندنا كافر باللّه العظيم»[٢]. وورد عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «من زعم أنّ اللّه يبدو له في شيء اليوم لم يعلمه أمس فابرؤوا منه»[٣]. وفي **تفسير العياشي** عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «كان عليّ بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «لولا آية في كتاب اللّه لحدّثتكم ما يكون إلى يوم القيامة»، فقلت له: «أيّة آية؟» قال: «قول اللّه ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾»»[٤].

وأيضًا عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «العلم علمان، فعلم عند اللّه مخزون لم يطّلع عليه أحد من خلقه، وعلم علّمه ملائكته ورسله. فما علّمه ملائكته ورسله فإنّه سيكون، ولا يكذّب نفسه، ولا ملائكته، ولا رسله، وعلم عنده مخزون يقدّم منه ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، ويثبت ما يشاء»[٥].

نفهم من هذه الرواية أنّ اللّه (سبحانه وتعالى) له علم مختصّ

---

(١) **تفسير الأمثل**، الشيرازي، ج٦، ص٤٦٨.
(٢) **كمال الدين وتمام النعمة**، الشيخ الصدوق، ص٧٠.
(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٤) العياشي، **تفسير العياشي**، ج٢، ص٢٣١.
(٥) المصدر نفسه، ص٢٣٣.



بنفسه، ومعنى ختصاصه بذلك هو «قصور الممكن على تلقّيه، فهو خاصيّة الواجب، وإلا للزم الإحاطة به تبعًا للإحاطة بعلمه، وهو ممنوع عقلًا ونقلًا. وهنالك علم آخر أمكن لبعض الممكنات الاطّلاع عليه بإذن منه سبحانه، فعرّفه ملائكته ورسله»(١).

أي إنّ العلم الذي اختصّ به الباري (سبحانه وتعالى) «لا يقع فيه التغيير والبداء قطعًا وبتًّا وجزمًا، وإنّما ينشأ منه البداء، بمعنى أنّ القسم الثاني من العلم الممكن للملائكة والرسل، الموقوف على مشيئته سبحانه، والذي [وهو الذي] يقع فيه البداء، إنّما يتغيّر بحسب ما يقدّمه اللّه سبحانه أو يؤخّره في علمه المخزون»(٢).

ويوضح الفيض الكاشاني مفهوم البداء، إذ يفسّر الآية المباركة ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾، إذ يقول في **تفسير الصافي**: «﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ وقُرِئَ بالتشديد ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعني أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ عن المحو والتبديل، وهو جامع للكلّ. ففيه إثبات المثبَت، وإثبات المحو، ومحوه، وإثبات بدله بنسخ ما ينبغي نسخه، و[هو] يثبت ما يقتضيه حكمته، ويمحو سيّئات التائب، ويثبت الحسنات مكانها، ويمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلّق به جزاء، ويترك غيره مثبتًا، أو يثبت ما رآه في صميم قلب عبده، ويمحو الفاسدات، ويثبت الكائنات ويمحو قرنًا ويثبت آخرين»(٣).

وذكر الفيض الكاشاني جملةً من الروايات الواردة في هذا

---

(١) الحيدري، كمال: **الدعاء: إشراقاته ومعطياته**، تأليف طلال الحسن، دار مشعر، طهران، ط١، ١٤٣٣ه، ص١٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٤.

(٣) **الصافي**، الفيض الكاشاني، ج٣، ص٢٧٠.





الشأن، منها ما رواه القمّي والعياشي في تفسيرَيهما عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «إذا كان ليلة القدر، نزلت الملائكة، والروح، والكتبة إلى سماء الدنيا فكتبوا ما يكون من قضاء اللّه تلك السنة. فإذا أراد اللّه أن يقدّم شيئًا أو يؤخّره أو ينقص شيئًا، أمر الملك أن يمحو ما يشاء ثم يثبت الذي أراد»[١].

وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه سُئِلَ عن قول اللّه تعالى ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾[٢] قال: «كتبها لهم ثمّ محاها، ثمّ كتبها لأبنائهم فدخلوها. واللّه ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾»[٣].

ويرى الفيض أنّ سبب المحو والإثبات هو «أنّ القوى المنطبعة الفلكيّة لم تُحِط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعةً واحدةً - لعدم تناهيها - بل إنّما تنتقش فيها الحوادث شيئًا فشيئًا، وجملةً فجملةً، مع أسبابها وعللها، على نهج مستمرّ، ونظام مستقرّ»[٤].

أمّا ما يحدث في عالم الكون والفساد، فهو «من لوازم حركات الأفلاك ونتائج بركاتها بإذن اللّه (عزّ سلطانه). فهي تعلم أنّه كلّما كان كذا، كان كذا. فمهما حصل لها العلم بأسباب حدوث أمر ما في هذا العالم، حكمت بوقوعه فيه، فينتقش فيها ذلك الحكم»[٥].

---

(١) **بحار الأنوار**، المجلسي، ج٤، ص٩٩.

(٢) سورة **المائدة**، الآية ٢١.

(٣) **بحار الانوار**، المجلسي، ج١٣، ص١٨١.

(٤) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٢٤١. وكذلك **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، ص٩٨.

(٥) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٢٤٣.

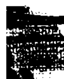
وأمّا صحة نسبة البداء والتردّد إلى اللّه، مع علمه (سبحانه وتعالى) بالكليّات والجزئيّات جميعًا على ما هي عليها في الواقع، فيستشهد الفيض بقول أستاذه الشيرازي، إذ قال: «ما يجري في العالم الملكوتيّ إنّما يجري بإرادة اللّه (سبحانه وتعالى) - بل فعلهم بعينه فعل اللّه تعالى - حيث أنّهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، إذ لا داعي لهم على الفعل إلّا إرادة اللّه (جلّ وعزّ)، لاستهلاك إرادتهم في إرادته تعالى. ومثلهم كمثل الحواسّ للإنسان، كلّما همّ بأمر محسوس، امتثلت الحاسة لما همّ به. فكلّ كتابة تكون في هذه الألواح والصحف فهو أيضًا مكتوب اللّه (عزّ وجلّ) بعد قضائه السابق المكتوب بقلمه الأوّل».

فيصحّ أن يصف اللّه (عزّ وجلّ) نفسه بالنسخ، والبداء، والتردّد، وإجابة الدعاء، والابتلاء، ونحوها بهذا الاعتبار. وإن كان مثل هذه الأمور يوحي بالتغيير والسنوح - وهو سبحانه منزّه عنه - فإنّ كلّ ما وُجِدَ أو سيوجد خارج عن عالم ربوبيّته، كما ورد في الحديث: «إنّ اللّه لا يأسف كأسفنا، إلّا أنّه خلق أولياء لنفسه، يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه»[1].

فمن خلال البداء، تنزل الشرايع، والصحف، والكتب، على الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نجومًا، لما فيه من المحو والإثبات. ومن خلال النسخ، تُرفَع الأحكام السابقة تُزال بعدما كانت ثابتةً. والنسخ،

(١) الشيرازي، صدر الدين محمّد بن إبراهيم: **شرح أصول الكافي**، تحقيق وتصحيح محسن عقيل، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص٤٣٩.





كما يرى الفيض، هو «بيان انتهاء مدّة الحكم، فلا مدخل للمحو والإثبات فيه»[١]. وأمّا مسألة التردّد، فقد ورد في الحديث القدسيّ: «ما تردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت»[٢]، مع أنّه (عزّ وجلّ) قد قضى عليه الموت قضاءً لا مردّ له، إذ قال سبحانه ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[٣]، وقال ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٤].

---

(١) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص١٨٠.
(٢) **بحار الأنوار**، المجلسي، ج٦٧، الباب ٤٣، ج٧، ص١٦.
(٣) سورة **الأنعام**، الآية ٢.
(٤) سورة **الأنعام**، الآية ٢؛ سورة **الأعراف**، الآية ٤.





النبوّة عند الفيض الكاشاني

١. وجوب بعثة الأنبياء

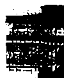
النبوّة هي الأصل الثالث من أصول الدين لدى مذهب الإماميّة، إذ إنّها وظيفة إلهيّة وسفارة ربّانيّة. والنبيّ هو الواسطة بين الخالق والمخلوق، واللّه (سبحانه وتعالى) هو الذي يختار وينتجب من عباده الصالحين من هو أهل لذلك. ويرسل اللّه سبحانه الأنبياء والرسل إلى الناس كافّةً «لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة، ولغرض تنزيههم وتزكيتهم من درن مساوئ الأخلاق ومفاسد العادات، وتعليمهم الحكمة والمعرفة، وبيان طرق السعادة والخير، لتبلغ الإنسانيّة كمالها اللائق بها، فترتفع إلى درجاتها الرفيعة في الدارَين، دار الدنيا ودار الآخرة»[١].

فعلى مرّ العصور، لطالما سيطرت على البشريّة ذهنيّة متخلّفة تنكر حقائق الكون. وما من وسيلة ترابط بين السماء والأرض تربط الإنسان بالعالم العلويّ، فكيف يمكنه أن يصل إلى اللّه (سبحانه

---

(١) **بداية المعارف الإلهيّة في شرح عقائد الإماميّة**، محسن الجزائري، ج١، ص٢٠٩.





وتعالى)، لا سيّما أنّ من يدّعي معرفة السماء «لا يمكن تصديق دعواه، لأنه يدّعي أمرًا عجيبًا لا أساس له عندهم فيما [في ما] يألفونه من هذه الأمور في الحياة الدنيا»(١).

والأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ يتلقّون التعاليم من اللّه (سبحانه وتعالى) من خلال الوحي، و«لا أحد بمقدوره أن يدّعي بأنّه [أنّه] يستطيع أن يشرح حقيقة هذه العمليّة. وإذا ما ادّعى أحد ذلك فهم الأنبياء أنفسهم. والسبب أن هذه الحالة تعبّر عن علاقة ونحو من الارتباط ليس من نمط الارتباطات الموجودة بين أفراد البشر بعضهم ببعض، أو بين البشر العاديين وبقية الأشياء غير اللّه»(٢).

إذًا، فالأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ هم الواسطة إلى اللّه، وهم الذين يسيرون بالبشريّة نحو الصلاح والفلاح، ويهيّئون لها أسباب الملاذ الآمن والسعادة الكاملة. والأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ يسعون جاهدين إلى إيصال البشريّة إلى الكمال المطلق من خلال حثّها على اتّباع الأحكام السماويّة النازلة من اللّه (سبحانه وتعالى) لتتخلّص من الأفكار والترسّبات العقائديّة المنتشرة في المجتمعات الخالية من الأنبياء. فالأنبياء لا يمكن «أن يحملوا أيّ ترسّبات أو يتأثّروا بأيّ عوامل خارجيّة، وذلك لاتّصالهم المباشر باللّه وعصمتهم عن الانزلاق في مهاوي المصالح والشهوات»(٣). وهم قد أُرسِلوا وأُنزِلَت

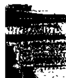
---

(١) فضل اللّه، محمّد حسين: **حركة النبوّة في مواجهة الانحراف**، إعداد وتنسيق شفيق محمّد الموسوي، دار الملاك، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص١٢.

(٢) المطهّري، مرتضى: **النبوّة**، نقله إلى العربيّة جواد عليّ كسّار، دار الحوراء، ص٥٤.

(٣) المدرسي، هادي: **النبوّة والمعارف**، دار محبّي الحسين، طهران، ط٢، ٢٠٠٣، ص٢٥.





معهم الشرايع «ليذكّروا الإنسان بوجدانه، ويحسّنوا سريرته، وينظّموا حياته، ويهدوه سواء السبيل»[١]. إذًا، اقتضت حكمة الباري سبحانه أن يرسل الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لهداية البشر وإرشادهم إلى طريق السعادة الأبديّة، وهذا محلّ اتّفاق عند جميع الفرق الكلاميّة، خلافًا «للبراهمة من الهند»[٢] و«الصائبة»[٣]. فهاتان الفرقتان تعوّلان على العقل، وما جاء إنّما هو موافق للعقل، «فلا حاجة إليه لانتفاء الفائدة، وإلّا كان مردودًا»[٤].

وحين يتحدّث الفيض الكاشاني عن وجوب بعثة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، يقول: «وكما لا بدّ في العناية الإلهيّة لنظام العالم من المطر، ورحمة اللّه لم تقصر عن إرسال السماء مدرارًا لحاجة الخلق، فنظام العالم لا يستغني عمّن يعرفهم موجب صلاح الدنيا والآخرة»[٥].

ويرى الفيض أنّ من لم يهمل إنبات الشعر على الحاجبَين لغرض الزينة، وكذا تقعير الأخمص[٦] في القدمَين، كيف يمكنه

---

(١) المصدر نفسه، ص١١.

(٢) الحلّي، جمال الدين مقداد بن عبد اللّه: **إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين**، تحقيق مهدي الرجائي، اهتمام محمود المرعشي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي العامّة، قم، ١٤٠٥هـ، ص٢٩٦.

(٣) الحلّي، أبو منصور الحسن بن يوسف المطهّر: **تسليك النفس إلى حظيرة القدس**، تقديم جعفر السبحاني، تحقيق فاطمة رمضاني، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، قم، ط١، هـ، ص١٨٤.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٤٥١.

(٦) أخمص القدم: الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء.

«إهمال وجود رحمة للعالمين، مع ما في ذلك، مع النفع العاجل، السلامة في العقبى والخير الآجل؟ أم من لم يترك الجوارح والحواسّ حتّى جعل لها رئيسًا يصحّح لها الصحيح، ويتيقّن به ما شكّت فيه، وهو الروح؟»[١].

وكيف له (سبحانه وتعالى) «أن يترك الخلائق كلّهم في حيرتهم، وشكّهم، وضلالتهم، لا يقيم لهم ما يردّون إليه شكهم وحيرتهم؟»[٢] واستدلّ الفيض على وجوب بعثة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلى البشر بالرواية التي وردت عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديثه مع الزنديق الذي سأله: «من أين أثبتّ الأنبياء والرسل؟» فأجاب الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، قائلًا:

«إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقًا صانعًا متعاليًا عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع عليمًا حكيمًا، لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه، فيباشرهم ويباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه. ثبت أنّ له سفراء في خلقه يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدّلونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم. فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، حكماء مؤيَّدين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم، مؤيديَّن عند العليم بالحكمة. ثمّ يثبت ذلك في كلّ دهر وزمان، ممّا أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو الأرض اللّه من حجّة يكون معه علم يدلّ على

---

(١) **المعارف**، الفيض الكاشاني، ص١٤٧.

(٢) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص١٦٦.





صدق مقالته وجواز عدالته»[١].

وممّا يدلّ على وجوب وجود خليفة من اللّه - سواء كان نبيًّا أو وصيًّا - لعباده وفي أرضه هو أنّ الغاية القصوى والفائدة العظمى من خلق الخليقة وإيجاد الموجودات هي «وجود الإنسان الكامل الذي هو خليفة اللّه في أرضه»[٢]. وهذا الخليفة لا بدّ أنّ يكون في كلّ زمان لكي يهدي به العباد ويحفظ به البلاد، «وإلّا فيكون الكلّ هباءً وعبثًا، إذ لا ترجع الغاية، ولا تؤول إلى عاقبة، ففنيت [...] وخربت»[٣].

يظهر ممّا سبق أنّ الفيض الكاشاني يرى أنّ الحكمة والعناية الإلهيّتَين اقتضتا إرسال الرسل والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ رحمةً بالخلائق وسلامةً لهم لكي لا يسلكوا طرق الشكّ، والحيرة، والضلال.

٢. عصمة الأنبياء

حين يتعرّض اللغويّون إلى بيان حقيقة العصمة، فإنّهم يرون فيها معنى الامتناع والوقاية. فعلى سبيل المثال، ورد في **القاموس المحيط** ما يلي: «عصم، يعصم: اكتسب، ومنع، ووقى [...] والعصمة بالكسر: المنع»[٤]، ومنه قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ

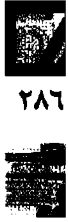
---

(١) **الرواشح السماويّة**، الداماد، ص٦٥.

(٢) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص١٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص١٧٣.

(٤) الفيروزآبادي، مجد الدين محمّد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، قدّم له ووضع حواشيه الشيخ أبو الوفا نصر بن نصر الهوريني المصري الشافعي، دار الكتب =



ٱلنَّاسِۗ﴾[١]، أي «يمنعك من أن ينالوك بسوء»[٢]. والمعصوم هو «الممتنع بالله من جميع محارم الله»[٣]. بذلك، يكون المعصوم هو «من يمتنع عن الذنب بل عن [الخطإ] والاشتباه»[٤]. ولو لم يكن المعصوم يتّصف بهذه الصفة، وهي العصمة، «لجاز عليه الخطأ، ومع تجويز الخطأ [الخطإ] عليه، لا يختصّ الجواز بنوع من الخطأ [الخطإ] دون نوع»[٥].

ويرى الكاشاني أنّ النبيّ «يجب أن يكون معصومًا عن الكبائر عمدًا وسهوًا»[٦]، كما يجب أن يكون «منزّهًا عن كلّ ما يدنّسه ويشينه من الغلظة، والفظاظة، وسوء الخلق، والحسد، والبخل، ودناءة الآباء، وعهر الأمّهات، والأنوثة، والخنوثة، والعمى، والعرج، وما شابه ذلك»[٧]. وبما أنّ أصول الذنوب عنده منحصرة في أربعة، هي الحرص، والحسد، والغضب، والشهوة، يقول:

= العلميّة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩، ص١١٤٩.

(١) سورة **المائدة**، الآية ٦٧.

(٢) **تفسير الصافي**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٤٢٣.

(٣) الصدوق، أبو جعفر بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي: **معاني الأخبار**، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص١٢٨.

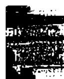
(٤) الحيدري، كمال: **عصمة الأنبياء في القرآن: مدخل إلى النبوّة العامّة**، بقلم محمود نعمة الجياشي، دار فراقد، ط٣، ٢٠٠٥، ص٦٤.

(٥) السيوري، المقداد بن عبد الله: **الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد**، تحقيق صفاء الدين البصري، منشورات مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد، ط١، ١٤١٢ه، ص٨٣.

(٦) **منهاج النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٣٠.

(٧) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٨٦.





«لا يجوز للنبيّ أن يكون حريصًا على الدنيا وهي تحت خاتمه، لأنّه خازن المسلمين، فعلى ماذا يحرص؟ ولا يجوز أن يكون حسودًا، لأنّ الإنسان إنّما يحسد من فوقه، وليس فوقه أحد. ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلّا بأن يكون غضبه للّه تعالى في إقامة الحدود ونحوها، ولا يجوز أن يتّبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة، لأنّ اللّه (عزّ وجلّ) حبّب إليه الآخرة، كما حبّب إليه الدنيا، فهو ينظر إلى الآخرة، كما ينظر إلى الدنيا»(٨).

وأمّا ما ورد في **القرآن** الكريم والأحاديث الشريفة من نسبة الذنوب إلى الأنبياء(٩) والأوصياء، فهو «مؤوّل كما ورد عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في نصوص مستفيضة. وإنّهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لمّا كانوا مستغرقين في طاعة اللّه (عزّ وجلّ)، فإذا اشتغلوا أحيانًا عن ذلك ببعض المباحثات زيادةً على الضرورة، عُدَّ ذلك ذنبًا في حقّهم [بحقّهم] عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»(١٠).

---

(٨) **منهاج النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٣١.

(٩) لقد ردّ جملة من علماء الشيعة في كتبهم العقائديّة على الإشكالات التي أثيرت حول الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. للاستزادة يراجع: علم الهدى، الشريف المرتضى: **تنزيه الأنبياء والأئمة**، تحقيق فارس حسّون كريم، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، ط١، ١٤٢٢هـ؛ وكذلك الصدر، محمّد: **رفع الشبهات عن الأنبياء**، هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر (النجف الأشرف) ودار ومكتبة البصائر (بيروت)، ط١، ١٤٣١هـ؛ وكذلك: الحيدري، كمال: **عصمة الأنبياء في القرآن: مدخل إلى النبوّة العامّة**، بقلم محمود نعمة الجياشي، دار فراقد، ط٣، ٢٠٠٥. وباختصار، كلّ ما صدر عنهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ممّا يُشتبَه في كونه ذنبًا ليس ذنبًا بالمعنى المتعارف عليه، وإنّما اصطُلِحَ على تسميته «مخالفة الأولى».

(١٠) **منهاج النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٣١، **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٨٧.

٣. ملكات الحكمة عند النبيّ

يذكر الفيض الكاشاني جملةً من الصفات التي يتّصف بها النبيّ، وهي مختصّة به ولا يشاركه بها غيره من الخلق. ومن هذه الصفات «أن يكون صافي النفس، في قوّتها النظريّة، صفاءً تكون شديدة [يكون شديد] الشبه بالروح الأعظم، فيتّصل به متى أراد من غير كثير تعمّل وتفكّر، حتى تفيض عليه العلوم اللدنيّة من غير توسّط تعليم بشريّ، بل يكاد زيت عقله يضيء ولو لم تمسسه نار التعليم البشريّ بمقدحة الفكر وزند البحث والتكرار»[١].

ومن الصفات الأخرى التي يجب أن يتّصف بها النبيّ «أن تكون قوته المتخيّلة قويّةً بحيث يشاهد في اليقظة عالم الغيب، وتتمثّل له الصور المثاليّة الغيبيّة، ويسمع الأصوات الملكوتيّة، ويتلقّى المغيبات والأخبار الجزئيّة من الملكوت، فيطلّع على الحوادث الماضية والآتية»[٢]. ويستشهد الفيض الكاشاني بكلام الفخر الرازي عن بعض الصفات الخاصّة بالنبيّ، إذ يقول:

«ومن صفات النبيّ أن يكون جالسًا في الحدّ المشترك بين عالم المعقول والمحسوس، فهو تارةً مع الحقّ بالحبّ له، وتارةً مع الخلق بالرحمة عليهم والشفقة لهم، فإذا عاد إلى الخلق كان كواحد منهم كأنّه لا يعرف اللّه وملكوته، وإذا خلا بربّه، مشتغلًا بذكره وخدمته، فكأنّه لا يعرف الخلق»[٣].

---

(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٤٦٤-٤٦٥، **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٢٠١

(٢) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٤٦٥-٤٦٦، انوار الحكمة، ص٢٠١

(٣) **تفسير الفخر الرازي**، الفخر الرازي، ج٢، وكذلك **المعارف**، الفيض الكاشاني، =





ومن الشواهد التي ذكرها الفيض الكاشاني كلام أستاذه صدر الدين الشيرازي، إذ يقول: «أن يكون [النبيّ] جيّد الفهم لكلّ ما يسمعه ويقال له، على ما يقصده القائل وعلى ما هو الأمر عليه، وكيف لا! وهو في غاية إشراق العقل ونوريّة النفس، وأن يكون حفوظًا لما يفهمه ويحسّه لا يكاد ينساه، وكيف لا ونفسه متّصلة باللوح المحفوظ»[١].

وغيرها من الصفات.

٤. معاجز الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

تناول الفيض مفهوم المعجزة على أنّه أحد الطرق التي يثبت من خلالها صدق النبيّ ودعواه التي جاء بها. وقد عدّ العلم والحكمة من أشرف معجزات الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فيقول: «إنّ أشرف معجزات الأنبياء وأفضلها العلم والحكمة، وهما للخواصّ، وخوارق العادات للعوامّ البله. وأمّا أهل الشغب والعناد منهم، فلا ينفعهم إلّا السيف»[٢].

واستخلص الفيض الكاشاني هذه الفئات الثلاث من قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[٣]، فيشير إلى

= ص١٥٤-١٥٥.

(١) **المعارف**، الفيض الكاشاني، ص١٥٥ - ١٥٦.

(٢) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٤٦٨.

(٣) سورة **الحديد**، الآية ٢٥.

أنّ أسرار الكتاب والميزان هي من البراهين العقليّة، وهي للخاصّة الذين لهم قريحة نافذة وفطنة قويّة، وقد خلى [خلا] باطنهم عن تقليد وتعصّب لمذهب موروث ومسموع. فإنّهم يؤمنون بالنبيّ بميزان العلم والمعرفة والحكمة على قرب، ولا يحتاجون إلى خوارق العادات»[١].

أمّا الفئة الثانية التي تحتاج إلى الموعظة وإظهار المعجزات، فأهلها «ليس لهم فطنة لفهم الحقائق، أو كان لهم ذلك، ولكن ليست لهم داعية الطلب، بل شغلهم الصناعات والحرف، وليس فيهم أيضًا داعية الجدل وتحذلق المتكايسين في الخوض في العلم مع قصور فهمهم عنه»[٢].

وأمّا الفئة الثالثة، أي أهل الشغب والعناد، فالسيف هو الذي ينفعهم. وهؤلاء هم «الذين يبتغون ما تشابه من الكتاب مع عدم أهليّتهم له ابتغاء الفتنة، فإنّهم يتلطّف بهم أوّلًا ويجادل معهم [يجادلهم] بالتي هي أحسن، يأخذ الأصول المسلّمة عندهم واستنتاج الحقّ منها بالميزان القسط. فإن لم ينفعهم، فالحديد الذي فيه بأس شديد»[٣].

وفي **تفسير الصافي**، يفسّر كلمة الفيض «البيّنات» في قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بأنّها «بالحجج والمعجزات»[٤].

---

(١) **المعارف**، الفيض الكاشاني، ص١٥٣.
(٢) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٢٠٣.
(٣) **المعارف**، الفيض الكاشاني، ص١٥٣.
(٤) **الصافي**، الفيض الكاشاني، ج٣، ص٤٠٨.





ويذكر الفيض الكاشاني جملةً من المعجزات والآيات الدالّة على صدق نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله، منها «خرق اللّه العادة على يدَيه غير مرّة، إذ شُقَّ له القمر بمكّة لمّا سألته قريش آيةً»[1]. ومن معجزاته أنّه «نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وآله فشرب أهل العسكر كلّهم وهم عطاش»[2]، و«رمى الجيش بقبضة من التراب فعميت عيونهم، ونزل بذلك **القرآن** الكريم ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾»[3]. كما أنّه صلى الله عليه وآله «دعا شجرتَين فأتتاه واجتمعتاثم أمرهما فافترقتا»[4]. ومن معجزاته صلى الله عليه وآله «إطاعة الشمس له في التوقّف عند الغروب مرّةً، وفي الطلوع بعد الغروب أخرى» [5] وكذلك «إطاعة الشجرة بالإتيان حتى انقلعت من مكانها، وخدّت الأرض جارّةً عروقها، مغبرّةً، فوقفت بين يدَيه وسلّمت عليه، ثمّ رجعت بأمره إلى مكانها»[6].

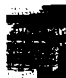
٥. الوحي والإلهام

قال اللّه (سبحانه وتعالى) ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[7]. ولا يخفى أنّ

---

(١) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، ج٤، ص٤٢٩.
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٣١.
(٤) المصدر نفسه، ص٩٢٩.
(٥) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، ج٤، ص٤٣٤.
(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٧) سورة **الشورى**، الآية ٥١.





فرقًا يميّز الوحي عن الإلهام، وقد أشار الفيض الكاشاني إلى ذلك عند تفسير الآية المباركة السالفة الذكر، إذ يرى أنّ الوحي هو «بأن يشاهد ملكًا فيسمع منه، أو يقع في قلبه، من غير مشاهدة أحد. وأصل الوحي الكلام الخفيّ الذي يُدرَك بسرعة»[١]. وتفسير قوله تعالى ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ «أن يسمع صوتًا من غير مشاهدة»[٢].

ويتأتّى تحصيل العلوم من وجود حقائق الأشياء، وكلّ هذه الحقائق، كما يرى الفيض الكاشاني، «مسطورة في اللوح المحفوظ، بل في قلوب الملائكة المقرّبين. ومن هنالك يخرج إلى الوجود[٣]. والعلوم الحقّة كلّها «تفيض على قلوبنا من ذلك العالم بواسطة القلم العقليّ الكاتب في ألواح نفوسنا» [٤]. وقلب الإنسان له قابليّة واستعداد «لأن ينتقش [تنتقش] فيه العلوم كلّها. وهو كمرآة مستعدّة لأن يتجلّى فيه [فيها] حقيقة الحقّ»[٥]. وقد يخلو قلب الإنسان من العلوم، «إمّا لنقصان ذاته، كقلب الصبيّ. وهو يشبه نقصان صورة المرآة، كجوهر الحديد قبل أن يصقل، أو لكثرة المعاصي والخبث الذي تراكم عليه من كثرة الشهوات المانعة من صفائه وجلائه»[٦] أو «لعدوله عن جهة الحقيقة المطلوبة لاستيعاب همّته بتهيئة أسباب المعيشة، وتفضيل الأعمال البدنيّة المانعة من التأمّل في الحضرة الربوبيّة والحقائق الحقّة الإلهيّة، فلا ينكشف له

---

(١) **تفسير الصافي**، الفيض الكاشاني، ج٦، ص٣٧٨.
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٣) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٤٧٧.
(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٥) **المعارف**، الفيض الكاشاني، ص١٥٩.
(٦) **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، ص١٢٤.





إلّا ما هو متفكّر فيه»[١] أو «لحجاب بينه وبين المطلوب من اعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد»[٢].

أمّا العلوم التي قال الفيض الكاشاني إنّها ليست ضروريّةً، فإنّما تحصل «في القلب تارةً بالاكتساب بطريق الاستدلال والتعلّم، ويُسمّى [تُسمَّى] اعتبارًا واستبصارًا، وتختصّ بالعلماء والحكماء»[٣]، وتارةً أخرى تكون «بهجومه [بهجومها] على القلب، كأنّه ألقي فيه من حيث لا يدري، سواء كان عقيب طلب وشوق أو لا، وسواء كان مع الاطلاع على السبب الذي استفيد [منه] ذلك العلم أو لا»[٤].

فإذا كان مع الاطّلاع على السبب الذي استفيد منه ذلك العلم «وهو مشاهدة الملك المُلقي في القلب، [...] ويُسمَّى «إلهامًا» و«نفثًا في الروع» إن كان نكتًا في القلب»[٥]، و«حديث ملك» إن كان نقرًا في السمع، ويختصّ بهما الأولياء والأئمّة. وقد يكون مع الاطّلاع على ذلك «ويُسمَّى وحيًا، ويختصّ به الأنبياء والرسل»[٦].

---

(١) **المعارف**، الفيض الكاشاني، ص١٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٠.

(٣) **قرّة العيون**، الفيض الكاشاني، ص١٢٥.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٤٧٩.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.





الإمامة عند الفيض الكاشاني

يرد بحث الإمامة هنا لمعرفة التوجّه الفكريّ والكلاميّ العام عند الفيض الكاشاني وتنظيراته بهذا الخصوص. والإمامة هي الأصل الرابع من أصول الدين لدى الشيعة الإماميّة، وهي أصل مهمّ يجب على المكلّف الإيمان به، وهي استمرار للنبوّة. وتتّسم هذه المسألة بأهميّة منقطعة النظير في المذهب الشيعيّ. فإمامة الأئمّة من آل محمّد صلّى الله عليه وآله هي «من الأصول والدعائم والأركان العظام للدين الإسلامي الحنيف»[١]. ومعنى الإمامة «رئاسة عامّة في الدين والدنيا لشخص إنسانيّ خلافةً عن النبيّ»[٢]. والإمام في المفردات «المؤتمّ به، إنسانًا يُقتدَى بقوله أو فعله»[٣].

---

(١) الصدر، عليّ الحسيني: **العقائد الحقّة**، دار العلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٢٧٧.

(٢) الحلّي، مقداد بن عبد الله السيوري: **اللوامع الإلهيّة في المباحث الكلاميّة**، تعليق محمّد تقي المصباح اليزدي، تحقيق مجمع الفكر الإسلاميّ، قم، ط١، ١٤٢٤ه، ص٢١٥.

(٣) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد الراغب: **المفردات في غريب القرآن**، ضبط هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٨.

لكنّ الفرق الإسلاميّة اختلفت في هذه المسألة، فالشيعة الإماميّة ترى أنّ الإمامة بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ منحصرة بالإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأولاده، في حين ترى الفرق الإسلاميّة الأخرى أنّ الإمام من بعد النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو أبو بكر[1]. أمّا الفيض الكاشاني، فيعرّف الإمام بأنّه «من حدّثه الملك بالعمل والتبليغ»[2].

١. الاضطرار إلى الإمام

يؤكّد الفيض الكاشاني أنّ الاضطرار إلى الرسل واحتياج الناس إليهم بعينه جار في الأئمّة والأوصياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، الذين هم خلفاء النبيّ محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. والاحتياج إليهم «غير مختصّ بوقت دون وقت آخر، وفي حالة دون أخرى، ولا يكفي بقاء الكتب والشرائع من دون قيّم لها عالم بها»[3]. ويرى الفيض أنّ من الواجبات المفروضة على النبيّ أن ينصّب وصيًّا وخليفةً «ليكون إمامًا للناس بعده، يحفظ سنّته»[4]. وقد عاب على الفرق الإسلاميّة الأخرى استنادهم، في مذاهبهم وآرائهم كلّها، إلى كتاب اللّه فحسب، وذلك «لجهلهم بمعانيه، وزيغ قلوبهم، وتشتّت أهوائهم»[5].

---

(١) ينظر موقف الفرق الإسلاميّة من إمامة عليّ (ع)، إذ اتّفق القوم على أنّ الامامة، من بعد رسول اللّه (ص)، هي لأبي بكر ثمّ عمر. يراجع شرح **المقاصد**، التفتازاني، المجلّد الثالث، ص٤٩٦ وما بعدها.

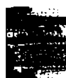
(٢) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٤٨٨.

(٣) **منهاج النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٣٧.

(٤) **أصول العقائد الدينيّة**، الفيض الكاشاني، ص١٥٨.

(٥) **منهاج النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٣٧.





ولكي لا تتخبّط الأمّة في الزيغ، والتيهان، والتشتّت، «لا بدّ لكلّ نبيّ مرسل، بكتاب من عند اللّه (عز وجلّ)، أن ينصّب وصيًّا يودع فيه أسرار نبوّته وأسرار الكتاب المُنزّل عليه، ويكشف له مبهمه، ليكون ذلك الوصيّ هو حجّة ذلك النبيّ على قومه»[١].

لئلّا تتصرّف الأمّة في ذلك الكتاب بآرائها وعقولها، فتختلف قلوبها وتزيغ، كما أخبر اللّه (عزّ وجلّ)، فقال في سورة **آل عمران**[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[٣].

إذًا، فالاضطرار إلى الإمام هو من أجل إقامة الدين، وذلك «لا يتأتّى إلّا بوجود إمام عدل معصوم»[٤]. وذكر الفيض الكاشاني عدّة روايات تبيّن أهميّة وجود الإمام، منها ما ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذ قال: «نحن أئمّة المسلمين، وحجج اللّه على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المحجّلين، وموالي المؤمنين. ونحن أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك اللّه السماء أن تقع على الأرض إلّا بأذنه، وبنا يمسك الأرض أن تمور بأهلها، وبنا ينزل الغيث وتُنشَر الرحمة، ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها»، ثمّ قال: «ولم تخل الأرض، منذ خلق اللّه آدم، من حجّة للّه فيها، ظاهر مشهور أو غائب

---

(١) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٩٠.

(٢) سورة **آل عمران**، الآية ٧.

(٣) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٥٠٠-٥٠١.

(٤) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص٢٨٠.



مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة للّه فيها، ولولا ذلك لم يُعبَد اللّه»، قال الراوي: «فقلت للصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: فكيف ينتفع الناس بالحجّة الغائب المستور؟ قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب»[١].

ويرى الفيض أنّ هذه الأمور إذا ثبتت للإمام، فقد «ثبت أنّه لا بدّ، في كلّ زمان ومكان، من وجود خليفة يقوم به الأمر، ويدوم به النوع، ويحفظ به البلاد، ويهتدي به العباد»[٢].

٢. صفات الإمام وعصمته ومعرفته

وذكر الفيض جملة من الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الإمام، لكونه خليفة النبيّ ووصيّه. ومن هذه الصفات «أن يكون أفضل الأمّة، وأقربهم إلى اللّه سبحانه، وأن تجتمع فيه خصال الخير المفرَّقة في غيره، مثل العلم بكتاب اللّه وسنّة رسوله، والفقه في الدين، والجهاد في سبيل اللّه، والرغبة فيما [في ما] عند اللّه، والزهد فيما [في ما] بيد خلق اللّه، إلى غير ذلك من الخيرات»[٣].

كما يجب أن يكون الإمام «معصومًا من الزيغ والزلل والخطأ [الخطإ] في القول والعمل، منزّهًا عن أن يحكم أو يميل إلى الدنيا،

---

(١) النقوي، حامد: **خلاصة عبقات الأنوار**، ج٤، منشورات مؤسّسة البعثة، طهران، ١٤٠٦ه، ص٣٢٦.

(٢) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص٥٠٩.

(٣) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج١، ص٥٠٢؛ وكذلك: **المعارف**، الفيض الكاشاني، ص١٦٦؛ و: **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٢٠٧.





لما ذكرناه في النبيّ بعينه»[١]. وعمومًا، فكلّ ما اشتُرِطَ في النبيَ من الصفات «فهو شرط في الإمام، ما خلا النبوّة»[٢]. ويستدلّ الكاشاني على ذلك بقول الإمام الصادق عَلَيهِالسَّلَامُ: «كلّ ما كان لرسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيهِوَآلِهِ فلنا مثله، إلّا النبوّة والأزواج»[٣]، وذلك لأنّ الغرض الأصليّ من بعثة الأنبياء والرسل هو «تقوية الجنبة العالية واستخدام الغيب للشهادة، لا مجرّد السياسة الحافظة للاجتماع الضروريّ. ولأجل ذلك عبء الإمامة ثقيل، وخطبها جليل، وأمرها عظيم، وخطرها جسيم»[٤]. ويؤيّد ذلك ما روي عن الإمام الباقر عَلَيهِالسَّلَامُ أنّه قال: «لو أنّ الإمام رُفِعَ من الأرض ساعةً لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله»[٥]. وعن الإمام الصادق عَلَيهِالسَّلَامُ أنّه قال: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»[٦].

وقد استدلّ الفيض على عصمة الإمام من قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[٧]، وأورد روايةً في سبب نزول هذه الآية. فعن الإمام الباقر عَلَيهِالسَّلَامُ أنّه قال:

---

(١) **منهاج النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٣٩.

(٢) **منهاج النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٣٩.

(٣) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٩١.

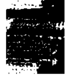
(٤) **المعارف**، الفيض الكاشاني، ص ١٦٦-١٦٧.

(٥) الحائري، عليّ اليزدي: **إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب**، ج١، مراجعة وتصحيح فالح عبد الرزاق العبيدي، مؤسّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م، ص٢٨.

(٦) المنتظري: **من المبدإ إلى المعاد في حوار بين طالبين**، انتشارات دار الفكر، قم، ط١، ١٤٢٥ه، ص١٤١.

(٧) سورة **الأحزاب**، الآية ٣٣.





«نزلت هذه الآية في رسول اللّه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وعليّ بن أبي طالب وفاطمة، والحسن، والحسين عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ، وذلك في بيت أمّ سلمة زوجة النبيّ. فدعا رسول اللّه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن والحسين (صلوات اللّه عليهم)، ثمّ ألبسهم كساءً له خيبريًّا ودخل معهم فيه، ثم قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي الذي وعدتني فيهم ما وعدتني. اللّهمّ أذهب عنهم الرجس وطهرّهم تطهيرًا، فقالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول اللّه؟ قال: أبشري يا أمّ سلمة، فإنّك على خير»[١].

كما أورد الفيض روايةً أثبت فيها بطلان زعم أنّ الآية نزلت بحقّ أزواج النبيّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ. فعن زيد بن عليّ بن الحسين عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ أنّه قال[٢]: «إنّ جهّالًا من الناس يزعمون أنّه إنّما أراد اللّه بهذه الآية أزواج النبيّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وقد كذبوا وأثموا وأيم اللّه، ولو عنى أزواج النبيّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ لقال: ليذهب عنكنّ الرجس ويطهركنّ تطهيرًا، وكان الكلام مؤنّثًا، كما قال ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾»[٣].

كما أورد الفيض روايةً تبيّن أنّ الإمام لا بدّ أن يكون معصومًا، لكونه إمامًا بالنصّ. والعصمة هي لمن اعتصم باللّه، فعن الإمام السجّاد عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أنّه قال: «الإمام منّا لا يكون إلّا معصومًا، وليست العصمة في ظاهر الخلق فيعرف بها، ولذلك لا يكون إلّا منصوصًا.

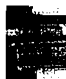
---

(١) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق عليّ شيري، ج١٤، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥ﻫ، ص١٣٩.

(٢) سورة **الأحزاب**، الآية ٣٢.

(٣) **تفسير الأصفى**، الفيض الكاشاني، ص٥٤٦.





فقيل له: يا بن رسول الله، فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو **القرآن**، **والقرآن** يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله (عزّ وجلّ) ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾»[١].

ويوافق الفيض ما جاء في الفكر الإماميّ من أنّ الإمام لا يُعرَف إلّا بالنصّ وأنّ هذه المعرفة من المسلّمات. فهو يقول في معرض حديثه عن الإمام ومعرفته: «لا يوصل إلى هذه الخصال المحمودة والخلال المعدودة إلّا بوحي من الله إلى رسوله، لامتناع الاطّلاع على البواطن، كما أوحى إلى نبيّنا محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[٢] وآية ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٣]، وغيرهما. فإذا ظهر الوحي وجب على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن ينصّ على من يخلفه بعد وفاته»[٤].

ويؤكّد أنّ النصّ على الإمام يكون بطريقَين: إمّا قولًا أو فعلًا. والطريق الأوّل هو كقول نبيّنا محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»[٥]. أمّا الطريق الثاني، فهو كفعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إذ ولّى عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ سراياه وجيوشه، وسيّرهم تحت رايته، ولم يولّ عليه أحدًا قطّ، ولم يكن كمن سار تحت راية عمرو بن العاص وأسامة بن زيد وغيرهما، وقد علم أنّه كان أميرًا في جيوشه غير مؤمَّر عليه[٦].

---

(١) **تفسير الصافي**، الفيض الكاشاني، ج٢، ص٣٤٦.

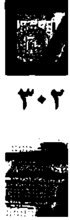
(٢) سورة **المائدة**، الآية ٥٥.

(٣) سورة **المائدة**، الآية ٦٧.

(٤) **منهاج النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٣٩.

(٥) **أضواء على السنّة المحمديّة**، محمود أبو ريّة، ص٢١٧.

(٦) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٩١-١٩٢.



وهو يرى أنّ اختلاف أصحاب النبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في أمر الخلافة من بعده لا دلالة فيه على عدم وقوع النصّ منه، إذ وصل بهم الأمر إلى «تلبيسهم الأمر على النصّ، وإلباسهم لباس البؤس واليأس، بعدما سمعوا النصوص على الخصوص، مرّةً بعد أولى، كرّةً غبّ أخرى، فجحدوا ما عملوا، وبدّلوا ما سمعوا، وأنكروا ما حقّ في أعناقهم وأعناق المسلمين من حقّ مولاهم أمير المؤمنين (صلوات اللّه عليه)»[١].

وهو يوعز سبب اختلاف الأمّة إلى «غلبة حبّ الرئاسة والحسد على بعضهم، فاحتالوا لذلك حيلًا وخدائعَ»[٢].

٣. الأئمة الإثنا عشر

تواترت الأخبار من كلا الفريقَين[٣] عن أنّ الأئمّة من أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، الذين هم أوصياء النبيّ محمّد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وخلفاءه، يبلغ عددهم اثنَي عشر خليفةً. وهذا ما أكّده النبيّ محمّد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في عدّة أحاديث، منها ما ورد عنه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّه قال: «اثنا عشر من أهل بيتي أعطاهم اللّه فهمي، وعلمي، وحكمتي، وخلقهم من طينتي. فويل للمتكبّرين عليهم من بعدي، القاطعين فيهم صلتي،

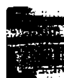
---

(١) **الكلمات الظريفة**، الفيض الكاشاني، ص١٦٣.

(٢) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٩٢.

(٣) تجدر الإشارة إلى أنّ أحد العلماء الذين ذكروا الأئمّة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بأسمائهم، واحدًا تلو الآخر، هو الشيخ مؤمن الشبلنجي في كتابه **نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار**، منشورات المكتبة العصريّة، بيروت، ٢٠٠٦.





ما لهم؟ لا أنالهم اللّه شفاعتي»(١). ووردت أحاديث أخرى من كلا الفريقَين في هذا الشأن بصيغ متعدّدة، منها ما رواه البخاريّ في **صحيحه** عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ يقول: «يكون اثنا عشر أميرًا»، فقال كلمةً لم أسمعها، فقال أبي: «كلّهم من قريش»»(٢). ومنها ما رواه مسلم في **صحيحه** عن جابر بن سمرة قال: «إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفةً، قال: «ثمّ تكلّم بكلام خفيّ عليّ»، قال: «فقلت لأبي: ما قال؟» قال: «كلّهم من قريش»»(٣). وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِ: «بعدي اثنا عشر، أوّلهم أنت يا عليّ، وآخرهم القائم الذي يفتح اللّه على يدَيه مشارق الأرض ومغاربها»(٤).

وذكر الفيض الكاشاني أسماء الأئمّة عَلَيۡهِمُٱلسَّلَامُ، فقال: «أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ثم الحسن الزكيّ، ثم الحسين الشهيد، ثم عليّ بن الحسين زين العابدين، ثم محمّد بن عليّ الباقر، ثم جعفر بن محمّد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم عليّ بن موسى الرضا، ثم محمد بن عليّ الجواد، ثم عليّ بن محمّد الهادي،

---

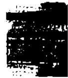
(١) المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان: **الاختصاص**، تحقيق عليّ أكبر الغفاري والسيّد محمود الزرندي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٩٣، ص٢٠٨.

(٢) البخاريّ، أبو عبد اللّه محمّد بن إسماعيل: **صحيح البخاريّ**، خرّج أحاديثه وعلّق عليه محمود محمّد محمود حسن نصّار، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٦، ٢٠٠٩، ص١٣٠٨.

(٣) **صحيح مسلم**، شرح النوويّ، ج٦، دار الحديث، القاهرة، ط٤، ٢٠٠١، ص٤٤٠.

(٤) المازندراني، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهر آشوب السروي: **مناقب آل أبي طالب**، ج١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٥٨.





ثم الحسن بن عليّ الزكيّ، ثمّ ابنه القائم»[١].

وقد ثبت صدقهم وطهارتهم عند جميع الفرق الإسلاميّة، وشهد لهم الجميع بعدالتهم وعلوّ منزلتهم، «وهذا من أدلّ الدلائل على محبّتهم دون غيرهم ممّن اختُلِفَ في فضله وحاله، مع أنّ ذلك معلوم أيضًا من التتبّع لآثارهم ومعارفهم، بحيث لا يبقى للشكّ فيه مجال»[٢]. واستشهد الكاشاني بكلام الشيخ الصدوق من أنّ أوضح الأدلّة على إمامتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «نصّبهم، وعلّمهم، وأودعهم علمه وعلوم الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قبله»[٣]. وكيف لا يكونون كذلك وقد أمرنا اللّه سبحانه بطاعتهم؟ فآمنّا «أنّهم الشهداء على الناس، وأنّهم أبواب اللّه، والسبل إليه، والأدلّاء عليه، وأنّهم عيبة علمه وأركان توحيده، وأنّهم عباد اللّه المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وأنّ حبّهم إيمان وبغضهم كفر، وأنّ أمرهم أمر اللّه، ونهيهم نهي اللّه، وطاعتهم طاعة اللّه، ومعصيتهم معصية اللّه»[٤].

٤. الإمام المهديّ (عجّل اللّه فرجه)

إنّ الإيمان بحتميّة ظهور المصلح الغيبيّ وإقامة حكم اللّه في الأرض من أوضح الواضحات. فالأديان قد بشّرت بالمصلح الغيبيّ، وهي وإن اختلفت في هويّته، اتّفقت على أنّه محقّق أهداف الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

---

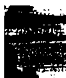
(١) **منهاج النجاة**، الفيض الكاشاني، ص ٤٠

(٢) **المحجّة البيضاء**، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٩٩.

(٣) **كمال الدين وتمام النعمة**، الصدوق، ص٩٢ .

(٤) **منهاج النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٤٢.





وليس المهديّ عَلَيْهِ السَّلَامْ «تجسيدًا لعقيدة إسلاميّة ذات طابع دينيّ فحسب، بل هو عنوان لطموح اتّجهت إليه البشريّة بمختلف أديانها ومذاهبها. وصياغةً لإلهام فطري، أدرك الناس من خلاله - على الرغم من تنوّع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب - أنّ للإنسانيّة يومًا ما موعودًا على الأرض، تحقّق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير، وهدفها النهائيّ، وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مرّ التاريخ ستقرارها وطمأنينتها بعد عناء طويل»(١).

ولا شكّ في أنّ وجود هذا المصلح الغيبيّ هو امتداد للتواصل الإلهيّ، على مرّ العصور، من أجل هداية البشريّة بعد أن غرقت في ظلمات الجهل والتخلّف. ولأنّ البشريّة قد عاشت في محيط ملؤه البؤس، واليأس، والشقاء، كان اللطف الإلهيّ بإرسال مصلح غيبيّ يعيد للإنسان حريّته المسلوبة وكرامته التي امتهنها الطغاة والمستبدّون. والذي لا يؤمن بالوعد الإلهيّ وظهور المصلح الغيبيّ «يسيطر عليه اليأس، ويغيب عنه الأمل، ويستسلم للأمر الواقع»(٢). فالإيمان بحتميّة ظهور هذا المنقذ العالميّ هو حاجة فطريّة «تقوم على ما جُبِلَ عليه الإنسان من تطلّع مستمرّ للكمال [إلى الكمال] بأشمل صوره. وإنّ ظهور المنقذ العالميّ وإقامة دولته العادلة في اليوم الموعود يعبّر عن وصول المجتمع البشريّ إلى كماله المنشود»(٣).

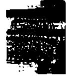
---

(١) الصدر، محمّد باقر: **بحث حول المهدي (ع)**، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٦، ٢٠٠٣، ص٩.

(٢) مؤسّسة البلاغ: **نفحات من السيرة: موجز لسيرة الرسول وأهل البيت (ع)**، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٣) جعفر، مهدي خليل: **الإمام المهديّ في الأديان**، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص١٣.





وجاء الدين الإسلاميّ بصورة جليّة عن هذا المنقذ العالميّ، فقد وردت أحاديث عن طريق الفريقَين عن رسول اللّه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ تبشّر بهذا القائد المنتظر الذي تتوق له البشريّة لأنّه سيخلّصها من جور الظالمين وبغي الفاسدين. وقد بلغت هذه الروايات حدّ التواتر، فقد روي عن النبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أنّه قال: «المهدي منّا يصلحه اللّه في ليلة»[١]. وكذلك ورد عنه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أنّه قال: «المهدي منّا أهل البيت، رجل من أمّتي أشمّ الأنف، يملأ الأرض عدلًا كما مُلِئَت جورًا»[٢]. وقال صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «لو لم يبق إلّا يوم واحد لبعث اللّه تعالى رجلًا من أهل بيتي يملؤها عدلًا كما ملئت جورًا»[٣].

واهتمّ الكاشاني بقضيّة الإمام المهديّ عَلَيْهِالسَّلَامُ، فذكر جملةً من الروايات عن النبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، منها أنّه قال صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «لن تنقضي الأيام والليالي حتى يبعث اللّه رجلًا من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، يملؤها عدلًا وقسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا»[٤]. وعنه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أنّه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد، لطوّل اللّه ذلك اليوم حتّى يبعث اللّه فيه رجلًا من ولدي، يواطئ اسمه اسمي،

---

(١) السيوطي، جلال الدين: **العرف الورديّ في أخبار المهديّ**، حقّقه وصحّحه وعلّق عليه الدكتور مهدي أكبر نجاد، منشورات هستي نما، طهران، ط١، ١٤٢٩ه، ص١٧-١٨،، وكذلك: الكلبايكاني، لطف اللّه الصافي: **منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر**، مؤسّسة السيّدة معصومة (ع)، ط٣، ١٤٢٧ه، ص١٩٥.

(٢) **العرف الورديّ**، السيوطي، ص١٩.

(٣) **نور الأبصار، الشبلنجي**، ص٢٣١.

(٤) المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان: **الاختصاص**، ج٢، تحقيق مؤسّسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٩٣، ص٣٤٠.





يملؤها عدلًا وقسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا»[١].

كما ذكر الفيض جملةً من الصفات التي يختصّ بها الإمام المهديّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي صفات لا يشاركه فيها أحد. وفي صفات القائم عجّل اللّه تعالى فرجه: «أنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّةً، وأنّ حجّة اللّه في أرضه وخليفته على عباده في زماننا هو القائم المنتظر محمّد بن الحسن العسكريّ، وأنّه هو الذي أخبر به النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن اللّه (عزّ وجلّ) باسمه ونعته ونسبه، وكذا سائر أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأنّه هو الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وأنّه هو الذي يظهر اللّه به دينه ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، وأنّه هو الذي يفتح اللّه على يدَيه مشارق الأرض ومغاربها حتّى لا يبقى في الأرض مكان إلّا نودي فيه بالأذان ويكون الدين للّه»[٢].

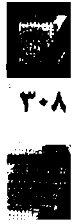
أمّا وقت ظهوره عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيرى الفيض أنّه يأتي «بعد بلايا كثيرة، ورزايا عسيرة، وفتن هائمة، ومحن قائمة، وخطوب مزعجة، وكروب مدلجة، يجثون فيها على الركب، ويودّون لو ذهبوا مع من ذهب، من ظهور الآيات وإقبال الرايات، وهرج في البلاد ومرج بين العباد، وخروج ستّين كذّابًا يدّعون النبوّة، وخروج اثنَي عشر طالبيًّا يدّعون الإمامة، وزلزلة عظيمة ببغداد، يخسف بها العباد، وموت أحمر وموت أبيض»[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٤٢.

(٢) **منهاج النجاة**، الفيض الكاشاني، ص٤٣.

(٣) **الكلمات الطريفة**، الفيض الكاشاني، ص٣١.



وبعد كلّ هذه العلامات التي تدلّ على قرب ظهوره، يُختتَم ذلك «بأربع وعشرين مطرةً متواصلةً فتحي [فتحيا] بها الأرض بعد موتها، وتعرف بركاتها، وتزول كلّ عاهة عن معتقدي الحقّ من شيعة المهديّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكّة، فيتوجّهون نحوه لنصرته»[١].

وينقل الفيض الكاشاني كلام صاحب **كشف الغمّة** عن تلك الحوادث التي تسبق ظهور الإمام المهديّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قائلًا: «لا ريب [في] أنّ هذه الحوادث فيها ما يحيله العقل، وفيها ما يحيله المنجّمون [...] والذي أراه أنّه إذا صحّت طرقات نقلها وكانت منقولةً عن النبيّ أو الإمام عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، فحقّها أن تُتلقّى بالقبول، لأنّها معجزات، والمعجزات خوارق للعادات، كانشقاق القمر وانقلاب العصا»[٢].

(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج٢، ص٩٣٦.

(٢) الأردبيلي، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح: **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة**، دار الأضواء، بيروت، ج٣، ص٢٢٨.





المعاد عند الفيض الكاشاني

المعاد هو الأصل الخامس من أصول مذهب الإماميّة. وهو الأصل الثالث من الأصول التي التزمت بها الفرق الإسلاميّة، بل حتّى غير الإسلاميّة، إذ إنّ الشرايع السماويّة اتّفقت على لزوم الإيمان بالآخرة، ووجوب الاعتقاد بيوم القيامة. فقد تحدّث الأنبياء عَلَيهِمُ السَّلَامُ حول المعاد إلى جانب حديثهم حول التوحيد. فلا بدّ للبشريّة من يوم يرجعون فيه إلى بارئهم، ويقفون بين يدَيه سبحانه وتعالى، وتُعرَض جميع أعمال العباد. حينئذ تُجزَى كلّ نفس بما كسبت من الثواب والعقاب، وينال كلّ بحسب ما اقترفه من الأعمال، سواء كانت هذه الأعمال صالحةً أو طالحةً.

١. الأدلّة على المعاد

وردت آيات قرآنيّة عدّة تدلّ على المعاد، منها قوله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1]، ومفاد هذه الآية

---

(١) سورة **المؤمنون**، الآية ١١٥.

المباركة هو بأنّ «عدم الإيمان بالمعاد من قبل الإنسان يعني أنّه يعتبر أمر الخلق من اللّه تعالى أمرًا عبثيًّا. وإذا كان الخلق عبثًا، فهذا يعني أنّ الفاعل والموجد والخالق يكون عبثًا. وهذا كلّه ينعكس على قضيّة التوحيد لأنّ التوحيد لا ينسجم أبدًا مع كون الخالق عبثيًّا. [...] فمن أنكر المعاد أو لم يؤمن به، فقد أنكر التوحيد، وإن كان يتظاهر بالإيمان باللّه تعالى. إنّ من لوازم الإيمان باللّه الإيمان باليوم الآخر، وإلّا فإنّ عدم الإيمان بالمعاد يؤدّي إلى عدم الإيمان باللّه سبحانه وتعالى»(١).

وفي **تفسير الصافي**، يفسّر الفيض هذه الآية المباركة بقوله إنّ الخطاب هو «توبيخ لهم على تغافلهم، أي لم نخلقكم تلهّيًا بكم، وإنّما خلقناكم لنتعبّدكم ونجازيكم على أعمالكم، وهو كالدليل على البعث ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾»(٢). وأورد روايةً عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «إنّ اللّه تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثًا، ولم يتركهم سدًى، بل خلقهم لإظهار قدرته، وليكلفهم على طاعته، فيستوجبوا بذلك رضوانه. وما خلقهم ليجلب منهم منفعةً ولا ليدفع بهم مضرّةً، بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد»(٣).

وأورد روايةً أخرى عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ مفادها بأنّه قيل له: «خلقنا للفناء؟» فقال: «مه. خلقنا للبقاء؟ وكيف! وجنّته لا تبيد وناره

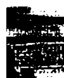
---

(١) الحيدري، كمال: **المعاد: رؤية قرآنيّة**، ج١، بقلم خليل رزق، دار الصفوة، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص٢١-٢٢.

(٢) **تفسير الصافي**، الفيض الكاشاني، ج٢، ص٥١٣.

(٣) الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي: **علل الشرايع**، ج١، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص١٦-١٧.





لا تخمد؟ ولكن إنّما نتحوّل من دار إلى دار»(١)؛ أي لولا المعاد والقيامة لأصبحت الحياة عبثًا. فـ«هل يعمل اللّه الحكيم عبثًا بلا فائدة؟ وهل خُلِقَ الإنسان ليبقى في الدنيا، ولا يكون مسؤولًا عن أعماله؟ ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ لا ترجعون إلينا؟ ولا رجوع لكم إلى مبدئكم؟ هذا عبث، واللّه الحكيم مُنزّه عن العبث»(٢).

والآية ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾(٣) يفسّرها الكاشاني قائلًا: «إليه رجوعكم في العاقبة، فاستعدّوا للقائه»(٤).

٢. المعاد الجسمانيّ

من المسائل التي كثر الخلاف حولها مسألة المعاد، وهل المعاد يكون نفسانيًّا أم جسمانيًّا؟ في البدء، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ المراد من المعاد هو «عودة الأرواح إلى الأجساد. فعندما يموت الإنسان، تفارق روحه بدنه وتصير الروح المنفصلة إلى عالم معيّن يقال له البرزخ إلى أن تحلّ القيامة، وعندما تقوم الساعة ترجع كل روح لبدنها [إلى بدنها]»(٥).

---

(١) الحويزي: **تفسير نور الثقلَين**، ج٥، تحقيق السيّد هاشم الرسولي المحلاّتي، مؤسسة اسماعيليان، قم، ط٤، ١٤١٢ هـ، ص٤٦٧.

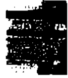
(٢) آملي، جوادي: **المعاد والقيامة في القرآن**، دار الصفوة، بيروت، ٢٠٠٩ م، ص١٤٥.

(٣) سورة **يونس**، الآية ٤.

(٤) **تفسير الصافي**، الفيض الكاشاني، ج٢، ص١٥٩.

(٥) المطهرّي، مرتضى: **المعاد**، ترجمة جواد عليّ كسّار، دار الحوراء، ص٤١.





وقد انبرى الغزالي لإبطال آراء الفلاسفة الذين أنكروا بعث الأجساد، لمخالفتهم اعتقاد المسلمين كافّةً. والظاهر أنّ السبب الذي جعل الفلاسفة يأخذون بهذا القول هو انطلاقهم من القاعدة الفلسفيّة التي تبنّوها، وهي «امتناع إعادة المعدوم بعينه»[١]. فالنفس مخالفة للبدن، وقد ثبت أنّ النفس تبقى بقاءً سرمديًّا، إمّا في نعيم أو في شقاء. أمّا الجسم، فتتبدّل صورته، أي يُعدَم. ولا يعود كما كان، لامتناع إعادة المعدوم. لكنّ الغزالي لا يمانع من الجمع بين «السعادة الروحانيّة والسعادة الجسمانيّة»[٢].

وتبع الفيلسوف صدر الدين الشيرازي الغزالي في هذا الرأي، إذ ووافق على ما طرحه. فأثبت المعاد الروحانيّ والجسمانيّ معًا، من خلال عدّة أصول ذكرها في **أسفاره**[٣]، يُفهَم منها أنّ الإنسان يعاد يوم القيامة بعينه، هو هو، بدنًا، ونفسًا، ووجودًا، وماهيّةً. وفي موضع آخر، يقول متحدّثًا عن هذه الأصول: «فإذا تمهّدت هذه الأصول، انكشف أنّ المُعاد في يوم المعاد هذا الشخص بعينه نفسًا وبدنًا، وأنّ تبدّل خصوصيّات البدن من المقدار، والوضع، وغيرهما، لا يقدح في بقاء شخصيّة البدن. فإنّ تشخّص كلّ بدن إنّما هو ببقاء

---

(١) الطباطبائي، محمّد حسين: **بداية الحكمة**، صحّحه وعلّق عليه الشيخ عبّاس عليّ الزارعي السبزواري، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط٢١، ١٤٢٤هـ، ص٢٨، كذلك: الرازي، فخر الدين محمّد بن عمر: **المباحث المشرقيّة**، ج١، تحقيق وتعليق محمّد المعتصم باللّه البغدادي، منشورات ذوي القربى، قم، ط١، ١٤٢٨هـ، ص١٣٨.

(٢) الغزالي، محمّد: **تهافت الفلاسفة**، دار المعارف، مصر، مطبعة ايران بكتا، طهران، ١٣٨٢ش، ص٢٧٤.

(٣) **الحكمة المتعالية**، الشيرازي، ج٩، ص١٨٥.





نفسه»[١].

أمّا الفيض الكاشاني، فقد وافق كلًّا من الغزالي والشيرازي، وذلك بقوله: «إن المُعاد في المعاد، والمحشور في الآخرة، هو بعينه هذا الشخص الإنسانيّ الذي لو يراه أحد عند المحشر يقول: «هذا فلان الذي كان في الدنيا»»[٢]، وذلك لأنّ تشخّص البدن «ليس إلّا بالنفس، فلا يمتاز ولا يتعيّن إلّا بها»[٣].

وليس الانتقال من هذا العالم إلى عالم آخر إعدامًا كما يظنّه الفلاسفة، بل هو انتقال كما يرى الفيض الكاشاني، وذلك لأنّ «الممكنات الموجودة واجبة بالغير، وإنّ إعدام الواجبات بالغير من الممتنعات ما دام ذلك الغير باقيًا، ودريت أنّ الأرواح باقية دائمة، والأجساد كذلك - وإن تغيرت أوضاعها وأشكالها - فالهلاك، والفناء، والإعدام، من حيث الشرع، هو الموت الطبيعيّ الذي هو إمّا النقل من الدنيا إلى الآخرة، وإما الانتقال من صورة إلى أخرى»[٤].

ويوضح الفيض الكاشاني معنى البدن الأخرويّ، الذي هو مركّب من جواهر متعددّة، ذات ثلاثة أبعاد. وهذا البدن يتلاشى بعد الموت، ويرجع كلّ جوهر من جواهره «إلى أصله وعالمه مفردة [مفردًا]؛ أمّا الأرواح، فإلى مرجع الأرواح: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[٥]»[٦]. فإذا جاء وقت البعث والعود، بأمر اللّه (سبحانه

---

(١) **الشواهد الربوبيّة**، الشيرازي، ص٢٦٦.

(٢) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج٢، ص١١٠٠.

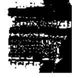
(٣) المصدر نفسه، ص١١٠١.

(٤) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٢٨٠.

(٥) سورة **البقرة**، الآية ١٥٦.

(٦) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٢٩٠.





وتعالى)، «ركّب الجسم من أصول تلك الجواهر وصورها من دون مادّة دنيويّة، تركيبًا لا يقبل الفساد، فيكون الجسم الأخروي مجرّد جواهر بلا أعراض هذه الدنيا ولا مادّتها. ولم يكن له صفات مستحيلة، زائلة، حاصلة من انفعال الموادّ»[١].

ويؤكّد الفيض أنّ الإنسان يُعَاد بجميع قواه وجوارحه «لأنّ كلّ قوّة من قواه، بما هو إنسان، يسري من نفسه إلى البدن، ولكلّ منها كمال يخصّها، ولذّة وألم تناسبها، وبحسب كلّ كسبته يلزم لها في الطبيعة الجزاء»[٢].

والموت والبعث هو «خلع ولبس؛ والحركة إلى البرزخ، إلى القيامة، هي المسير الكماليّ للإنسان وصعوده إلى اللّه المتعال، وهي قابليّة الحضور في محضر العلم، والقدرة، والحياة اللامتناهية. فالموت [...] هو كمال الإنسان، لا فتوره، وضعفه، ونقصانه»[٣].

يتّضح ممّا سبق أنّ مسألة المعاد الجسمانيّ كانت حاضرةً في فكر الفيض الكاشاني، وأنّه من القائلين بها، انطلاقًا من إيمانه بمدرسة الحكمة المتعالية، التي شيّد أركانها أستاذه صدر الدين الشيرازي.

---

(١) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٢٩٠.

(٢) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج٢، ص١١٠٢.

(٣) الطهراني، محمّد الحسين الحسيني: **معرفة المعاد**، ج٥، تعريب عبد الرحيم مبارك، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٠٩.





٣. الجنّة والنار موجودتان

اختلفت أقوال المتكلّمين والمفسّرين في الجنّة والنار، هل هما مخلوقتان وموجودتان الآن أو ستخلقان في ما بعد؟ وهذه المسألة من المسائل المهمّة التي لها علاقة بمسألة المعاد. أمّا الإماميّة، فذهبت إلى أنّ الجنّة والنار مخلوقتان في هذا الوقت. وقد خالف هذا القول المعتزلة، والخوارج، وطائفة من الزيديّة. ومن الذين زعموا أنّ الجنّة والنار غير مخلوقتان أبو هاشم الجبّائي، الذي يقول: «خلقهما في هذا الوقت عبث لا معنًى له، واللّه تعالى لا يعبث في فعله، ولا يقع منه الفساد»[١]. وذهب الجبّائي والقاضي عبد الجبّار إلى «أنّهما يخلقان يوم الجزاء»[٢].

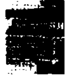
أمّا الفيض، فاستدلّ على محلّ وجودهما من الحديث المرويّ عن النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أنّه قيل له: «إذا كانت عرضها السماوات والأرض، فأين النار؟ قال: سبحان اللّه إذا جاء النهار فأين الليل؟»[٣]. ويرى الفيض أنّ لكلّ من الجنّة والنار «مظهر كلّيّ هو مثال له في الدنيا، ومظاهر جزئيّة، بالإضافة إلى أشخاص بأعيانهم من الأنبياء والأولياء عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ، بحسب شهودهم إياها في تلك المواضع، هي صورها بحسب النشأة الدنيويّة [...] فالمظهر الكلّيّ للجنّة فوق

---

(١) **أوائل المقالات**، الشيخ المفيد، ص١٤٦.

(٢) الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد: **المواقف في علم الكلام**، منشورات عالم الكتب، بيروت، ص٣٧٥.

(٣) الطبرسي: **مجمع البيان**، ج٢، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصّائين، تقديم السيّد محسن الأمين العاملي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ص٣٩١.



سبع سموات»[١].

وقد استدلّ الفيض على مظاهر الجنّة والنار بما روي عن النبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أنّه قال: «إنّ ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة»[٢]، وأيضًا عنه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أنّه قال: «ما من رمّان أو حبّة إلّا وفيها قطرة من ماء الجنّة»[٣]. كما روي عن النبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ أنّه صلّى يومًا الصلاة، ثم رقى المنبر، فأشار بيده قبل قبلة المسجد، وقال: «قد رأيت الآن، منذ صلّيت لكم الصلاة، الجنّة والنار متمثّلين من قبل هذا الجدار، فلم أر كاليوم في الخير والشرّ»[٤].

واستشهد الفيض الكاشاني بكلام ابن عربي عن الجنة والنار، إذ يقول: «وللنار أمثلة جزئيّة، هي طبيعة كلّ أحد وهواه في أولاه وأخراه، ولها أبواب ومشاعر، وهي سبعة، وهي عين أبواب الجنّة [...] وهذه الأبواب مفتوحة على الفريقَين - أهل الجنّة والنار - إلا باب القلب فإنّه مطبوع على أهل النار أبدًا»[٥].

وأمّا نشأة الجنّة والنار، فيرى الفيض أنّهما «تنشآن من النفس، وهما حالتان في موضعها وحالتان لها. وتحدثان لكلّ نفس بحدوثها، وتعمران بأعمالها، ومدركاتها وأخلاقها، وملكاتها التي تحصل لها من

---

(١) **علم اليقين**، الفيض الكاشاني، ج٢، ص١٢١١.

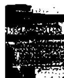
(٢) القمي، جعفر بن محمد بن قولويه: **كامل الزيارات**، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٥.

(٣) **المبدأ والمعاد**، الشيرازي، ج٢، ص٧٥٠.

(٤) المتّقي الهندي، **كنز العمال**، ج١١، تحقيق الشيخ بكري حياتي، تصحيح صفوت السقّا، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩، ص٤٢٠.

(٥) **الفتوحات المكّيّة**، ابن عربي، ج٦، ص ٢١٠.





أول العمر إلى آخره»[١]. وفي موضع آخر، يقول إنّ الآخرة إمّا جنّة أو نار، «والجنّة جنّتان، جنّة معقولة للمقرّبين، وهو العالم العقليّ، بما هو متأخّر من هذه النشأة الدنيويّة، أعني ما يحصل منه في سلسلة العود. وهي إنّما تنشأ من العلوم الحقّة والمعارف اليقينيّة الحاصلة ههنا، فإنّ المعرفة في هذه الدنيا بذر المشاهدة في الآخرة. واللذّة الكاملة موقوفة على المشاهدة»[٢].

وكذلك النار، فهي ناران، «نار معقولة تطّلع على الأفئدة، للمنافقين والمتكبّرين، والمكذّبين، ونار محسوسة تحرق الأبدان أُعِدَّت للكافرين. وكلتاهما إنّما تكونان في العالم الخياليّ المتجسّم، أحدهما، وهي المعقولة، إنّما تنشأ فيه بتبعيّة عالم العقل، بسبب فقدان عالم المعارف والكمالات العقليّة»[٣].

وهذه من الآراء الغريبة التي جاءت بها فلسفة الفيض الكاشاني.

وينقل الفيض كلامًا عن حقيقة جهنّم عن أحد أهل المعرفة من غير أن يسمّيه، فيقول: «إنّ جهنّم ليست بدار حقيقيّة متأصّلة، لأنّها صورة غضب اللّه. كما أنّ الجنة صورة رحمة اللّه، وقد ثبت أنّ رحمة اللّه ذاتيّة واسعة كلّ شيء، وغضب اللّه عارضيّ [عرضي]»[٤]. أمّا صورة جهنّم في الآخرة، فهي عند الكاشاني «صورة الآلام التي هي

---

(١) **أنوار الحكمة**، الفيض الكاشاني، ص٣٧١.

(٢) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص٢٣٦.

(٣) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٣٧.

أعدام ونقائص حاصلة للنفس»[١]. وصورة جهنّم هي «صورة الدنيا من حيث هي دنيا، حالّةً في موضوع النفس يوم القيامة. فتلك الصورة الجحيميّة مشتملة على جميع ما في السموات والأرض من حيث نقائصها وشرورها، لا من حيث كمالاتها وخيراتها، فإنّها من حيث كمالاتها وخيراتها هي الجنّة»[٢].

وهذا الرأي أيضًا يتّسم بالغرابة والاجتهاد، وقد جمع فيه الفيض بين العقيدة، والفلسفة، والعرفان.

أمّا من ينكر هذه الكمالات العقليّة أو يجحد بها أو يحرم منها، فسيؤدّي به ذلك إلى «فقدان القوة الهيولانيّة، وحصول فعليّة الشيطنة والاعوجاج، ورسوخ العقائد الباطلة في الوهم، وهي مؤلمة جدًّا»[٣].

---

(١) **الكلمات المكنونة**، الفيض الكاشاني، ص٢٤٠.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٤١.



الخاتمة والنتائج





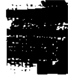
يمكن إدراج مجموعة من النتائج في نهاية هذا البحث للتوضيح، ومنها:

١. من الملاحظ أنّ تسمية الفيض الكاشاني تختلف، فمنهم من يسمّيه «محسن»، وآخرون يطلقون عليه اسم «محمّد محسن»، وغيرهم «محمّد مرتضى»، إلّا أنهم اتفقوا جميعًا على اسم «الفيض الكاشاني».

٢. قرأ الفيض الكاشاني الثقافات التي سبقته، كالثقافة اليونانيّة وفلسفتها، وغيرها من الثقافات القديمة. كما قرأ الثقافات الإسلاميّة المتعدّدة، سواء كانت مشرقيّةً أم مغربيّةً، ولم يقتصر على المذهب الشيعيّ، بل تعدّاه إلى المخالفين في العقيدة والتوجّه. ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في كتابه **المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء**، الذي هو تهذيب لكتاب الغزالي **إحياء علوم الدين**. وهذا يشير إلى عمق التبادل الثقافيّ والفكريّ في الفلسفة الإسلاميّة عمومًا.

٣. الفيض الكاشاني صاحب مؤلّفات كثيرة، وقد كتب في الكثير من المجالات التي استفاد منها طلبة العلم، كالفلسفة، والأخلاق، والعرفان، والفقه، والحديث، والتفسير، وغيرها من





المؤلّفات التي أصبحت مرجعًا للباحثين في مختلف المجالات. واتّسمت مؤلّفاته باشتمالها على العديد من الموضوعات المختلفة، ما يكشف عن ثقافته الواسعة، وبراعته وحنكته في طرح الموضوعات. كما أنّه واسع الأفق في عرضه للمسائل، فلا يترك شاردةً ولا واردةً إلا قابلها بالتحقيق والتدقيق، شارحًا إيّاها، ومبيّنًا خزائن مدلولاتها المعرفيّة.

٤. صدر الدين الشيرازي هو المثل الأعلى الذي احتذى به الفيض الكاشاني، ونجد هذا واضحًا في مؤلّفاته، إذ دائمًا ما كان يستعين بآراء أستاذه الشيرازي. وتجدر الإشارة إلى أنّ مدرسة الحكمة المتعالية أصبحت أنموذجًا للمدارس الفلسفيّة الغنيّة، والمبتكرة، والمهمّة في العالم الإسلاميّ، لقولها بأصالة الوجود، وهي مسألة لم تُطرَح قطّ من قبل.

٥. حصل هرج ومرج أدّى إلى اتّهام الفيض الكاشاني بعدّة شبهات، منها تهجّمه على العلماء ورميهم بالكفر، وتصوّفه، وقوله بوحدة الوجود. لكن في الحقيقة، يرى الباحث أنّ هذا اللغط الذي حصل إنّما كان ناتجًا عن سوء فهم آرائه في مختلف المجالات.

٦. عند تسليط الضوء على فلسفة الأخلاق عند الفيض الكاشاني، نجده يختلف مع الذين يرون أنّ الأخلاق لا تتغيّر، بل يقول إنّ الإنسان قادر على أن يغيّر أخلاقه. ويؤكّد أنّ الحيوانات لها القابلية لتغيير تصرّفاتها. لذا، يعتقد أنّ تغيير الأخلاق يحتاج إلى المجاهدة والمواظبة على العبادات والأعمال الحسنة.

٧. بحث الفيض الكاشاني في علم الجمال كما بحث فيه الفلاسفة من قبله، كابن سينا، وابن عربي، وصدر الدين الشيرازي.





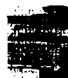
وهو يقسم الجمال إلى قسمَين هما الجمال الحسّيّ والجمال الإلهيّ. ويتمثّل الجمال الحسّيّ عنده بصورة المحسوسات الخارجيّة المأنوس بها. أمّا الجمال الإلهيّ، فهو يتمثّل بالعلاقة الروحيّة مع اللّه (سبحانه وتعالى). فالفرد كلّما ازداد عشقه ازداد قربه من اللّه إلى أن يصبح من السالكين الذين لا يرون في الوجود إلّا اللّه.

٨. لم يقتصر الفيض الكاشاني على دراسة الفلسفة فقط، بل تعدّاها إلى علم الكلام. واستطاع، من خلال هذا العلم، أن يدافع عن عقيدته التي لطالما حاول المشكّكون الطعن فيها. ويكون، بذلك، قد انتهج منهج علماء الكلام السابقين عليه، كالصدوق والطوسي، وغيرهما ممّن له باع طويل في هذا المجال. وقد خصّص الفيض الكاشاني جزءًا كبيرًا من مؤلّفاته للدفاع عن عقيدته الحقّة، متمسّكًا **بالقرآن** الكريم وأحاديث الرسول وأهل بيته الكرام (عليهم أفضل السلام).

٩. سار الفيض الكاشاني على المنهج نفسه الذي سار عليه علماء الكلام، إذ إنّه أشار إلى أنّ التوحيد على أربع مراتب، هي: توحيد القشر، وتوحيد قشر القشر، وتوحيد اللبّ، وتوحيد لبّ اللبّ. كما قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام هي التوحيد في الذات، والتوحيد في الصفات، والتوحيد في الأفعال.

١٠. لقد ساق الفيض الكاشاني عدة أدلّة تثبت وجود اللّه (سبحانه وتعالى)، منها دليل الحدوث، الذي ينصّ على أنّ لهذا الوجود صانعًا. وهذا الدليل بعينه هو الدليل الذي ساقه المتكلّمون لإثبات وجود الباري (عزّ وجلّ). كما استعان ببرهان الصدّيقين الذي اعتمده صدر الدين الشيرازي، وهو البرهان الذي ينصّ على أنّ الربّانيّين يستشهدون بالحقّ على كلّ شيء، لا بغيره عليه.





فيشاهدون جميع الموجودات في الحضرة الإلهيّة، ويعرفونها في أسمائه وصفاته. فما من شيء إلّا وله أصل في عالم الأسماء الإلهيّة وله وجه إلى الحقّ سبحانه.

١١. إنّ العدالة التي يتّصف بها الباري (سبحانه وتعالى) تشمل جميع البشر، إذ إنّ اللّه لا يظلم مثقال ذرّة. ومن المؤكّد أنّ الفيض الكاشاني يرى أنّ اللّه لا يجوز عليه فعل القبيح لأنّه سبحانه عالِم بقبحه، وهو قادر على تركه، غير محتاج إلى فعله. ولو فعل اللّه القبيح، لارتفع الوثوق بوعده، ووعيده، وأنبيائه، ورسله.

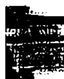
١٢. يرى الباحث أنّ مسألة الجبر والتفويض - وإن كانت من المسائل التي اختلفت الفرق الإسلاميّة فيها - أنّ الشيعة الإماميّة اتّفقوا على القاعدة الكلاميّة المأخوذة عن أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ من أنّه لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرَين

١٣. من الملاحظ في مسألة القدر أنّ الأمويّين ومن تبعهم ابتدعوا بدعتهم، واتّخذوا من القدر مسوّغًا لأعمالهم القبيحة، ما خوّلهم السيطرة على السلطة عن طريق تخدير الناس بأحاديث موضوعة أوردوها عن النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ. فأضحى كلّ ما يصدر من الحاكم من ظلم قدرًا إلهيًّا. أمّا الفيض، فيقول إنّ القدر في الأفعال وخلق الأعمال هو من «الأسرار والغوامض التي تحيّرت فيها الأفهام واضطربت فيها آراء الأنام، ولم يرخص في أفشائه بالكلام. فلا يُدوَّن إلّا مرموزًا، ولا يُعلّم إلّا مكنونًا، لما في إظهاره من إفساد العامّة وهلاكهم»[1].

---

(١) مصدر سابق.





١٤. إنّ النبوّة لطف من اللّه لإنقاذ البشر من التخلّف الذي ما انفكّوا يتخبّطون فيه على مدى عدّة قرون. فإرسال الأنبياء والرسل هو من أجل إرشاد الناس إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

١٥. إنّ الاضطرار إلى الرسل واحتياج الناس إليهم ينطبق بعينه على الأئمّة والأوصياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، الذين هم خلفاء النبيّ محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. ولا يختصّ الاحتياج إليهم بوقت دون آخر. ولا بدّ لكلّ نبيّ مرسل بكتاب من عند اللّه (عزّ وجلّ) أن ينصّب وصيًّا يودع فيه أسرار نبوّته ودقائق الكتاب المُنّزل عليه، فيكشف له مبهمه ليكون ذلك الوصيّ حجّة النبيّ على قومه.

١٦. يرى الفيض أنّ الإمام الذي ينبغي أن ينصّبه النبيّ لا بدّ أن يكون أفضل الأمّة، وأقربهم إلى اللّه سبحانه، وجامع خصال الخير مثل العلم بكتاب اللّه وسنّة رسوله. وعمومًا، كلّ ما اشتُرِطَ في النبيّ من صفات، فهو شرط في الإمام، ما خلا النبوّة. ويبلغ عدد الأئمّة من أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ اثنا عشر إمامًا، كما نصّت كتب الفريقَين. ولا ريب في ثبوت صدقهم وطهارتهم عند جميع الفرق الإسلاميّة.

١٧. يؤمن الفيض الكاشاني بالقضيّة المهدويّة وأهدافها، ويراها قضيّةً عالميّةً لا تقتصر على المذهب الشيعيّ. فالإمام المهديّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي «يفتح اللّه على يدَيه مشارق الأرض ومغاربها، حتّى لا يبقى في الأرض مكان إلّا نودي فيه بالأذان، ويكون الدين للّه»[1].

---

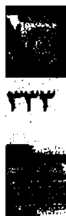
(١) مصدر سابق.

١٨. يؤمن الفيض بالمعاد، وهو أصل في غاية الأهميّة، إذ لا بدّ من يوم يرجع فيه الناس إلى بارئهم ويقفون بين يديَه (سبحانه وتعالى). لكنّ العلماء اختلفوا في المعاد الجسمانيّ، بين مثبت له وناف. أمّا أن الكاشاني، فيرى أنّ «المُعاد في المعاد والمحشور في الآخرة هو بعينه هذا الشخص الإنساني الذي لو يراه أحد عند المحشر لقال: «هذا فلان الذي كان في الدنيا»»[1]، والإنسان يعاد بجميع قواه وجوارحه. ويقول الفيض إنّ الجنّة والنار موجودتان الآن، وإن أنكرهما بعضهم، ولهما مظاهر دنيويّة.

(١) مصدر سابق.



المصادر والمراجع



□ **القرآن الكريم.**

باب الألف

□ **ابن عربي، محي الدين:**

* **رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن**، جمع وتأليف محمود محمود الغراب، انتشارات إشراق، قم، ١٤٣١هـ.

* **الفتوحات المكيّة**، ضبطه وصحّحه ووضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦.

□ **ابن رشد:**

* **فصل المقال في تقرير ماب ين الشريعة والحكمة من اتّصال**، مركز الدراسات الوحدة العربيّة، تقديم الدكتور محمّد عابد الجابري، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧.

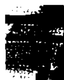
□ **ابن سينا، أبو عليّ:**

* **الإشارات والتنبيهات**، مع شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق سليمان دنيا، مؤسّسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣.

□ **ابن عساكر:**

* **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق عليّ شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ.





□ **ابن منظور:**

* **لسان العرب**، ضبط نصّه ووضع حواشيه الدكتور خالد رشيد القاضي، دار صبح/إديسوفت، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

□ **الإربلي، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح:**

* **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة**، منشورات الفجر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

□ **الأرموي، مير جلال الدين:**

* **العرفان والسلوك عند أهل البيت (ع) (شرح رسالة زاد السالك)**، المولى محسن الفيض الكاشاني، دار الصفوة، بيروت، ط١، ٢٠١١.

□ **الأشتياني، أحمد:**

* **لوامع الحقائق في أصول العقائد**، تعليق حسين بن عليّ الروشني الكلبايكاني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٩.

□ **الأشعري، أبو الحسن عليّ بن اسماعيل:**

* **مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين**، تحقيق وشرح نوّاف الجرّاح، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

□ **الأصبهاني، محمّد باقر الموسوي الخوانساري:**

* **روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات**، الدار الإسلاميّة، بيروت، ط١، ١٩٩١.

□ **الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد الراغب:**

* **المفردات في غريب القرآن**، ضبط هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

□ **الأصفهاني، محمّد باقر الموحد الأبطحي:**

* **الصحيفة العلويّة المباركة**، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠١١.





□ **الآصفي، محمّد مهديّ:**

* **الهوى في حديث أهل البيت (ع)**، دار الثقلَين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

□ **آل الفقيه، محمّد جواد:**

* **أبو ذرّ الغفاري: رمز اليقظة في الضمير الإنسانيّ**، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٠هـ.ق.، ص١٨٣

□ **إمام، عبد الفتّاح إمام:**

* **مدخل إلى الميتافيزيقيا**، منشورات نهضة مصر، مصر، ط٢، ٢٠٠٧.

□ **الآملي، جوادي:**

* **المعاد والقيامة في القرآن**، دار الصفوة، بيروت، ٢٠٠٩.

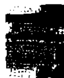
□ **الآملي، حسن زاده:**

* **الإنسان الكامل في نهج البلاغة**، ترجمة عبد الرضا افتخاري، منشورات مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، ط١، ١٤١٦هـ.
* **النور المتجلّي في الظهور الظلّيّ (تحقيق أنيق حول الوجود الذهنيّ)**، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ.

□ **الآملي، حيدر:**

* **أنوار الحقيقة وأطوار الطريقة وأسرار الشريعة**، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه السيّد محسن الموسوي التبريزي، منشورات المعهد الثقافي نور على نور، مطبعة الأسوة.
* **تفسير المحيط الاعظم والبحر الخضمّ في تاويل كتاب الله العزيز الحكيم**، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه السيّد محسن الموسوي التبريزي، منشورات المعهد الثقافي نور على نور، مطبعة الاسوة، ط٤، ١٤٣١ هـ.
* **جامع الأسرار ومنبع الأنوار**، تقديم هنري كوربان وعثمان إسماعيل يحيى، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٦ﻫ.





□ **الأمين، محسن:**

* **أعيان الشيعة**، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣.

□ **الأميني، عبد الحسين أحمد:**

* **موسوعة الغدير في الكتاب والسّنة والأدب**، تحقيق مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة، بإشراف السيّد محمود الهاشمي الشاهرودي، منشورات دائرة معارف الفقه الإسلاميّ، قم، ط٣، ٢٠٠٥.

□ **الأنصاري، أبو اسماعيل عبد الله:**

* **منازل السائرين**، شرح كمال الدين عبد الرزّاق القاشاني، تحقيق وتعليق محسن بيدار فر، انتشارات بيدار، قم، ط٣، ١٤٢٧هـ.

□ **الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد:**

* **المواقف في علم الكلام**، منشورات عالم الكتب، بيروت.

باب الباء

□ **بحر العلوم، جعفر بن محمّد باقر بن مهديّ:**

* **أسرار العارفين في شرح كلام مولانا أمير المؤمنين**: شرح دعاء كميل، تحقيق فارس حسّون كريم، دار جواد الأئمّة (ع)، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

□ **البحراني، كمال الدين ابن ميثم:**

* **قواعد المرام في علم الكلام**، تحقيق السيّد أحمد الحسيني، باهتمام محمود المرعشي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ط٢، ١٤٠٦هـ.

* **شرح نهج البلاغة**، منشورات الفجر، بيروت، ط١.

□ **بحر العلوم، عزّ الدين:**

* **أضواء على دعاء كميل**، ط٣، ١٩٨٧.





□ **البحراني، يوسف بن أحمد:**

* **لؤلؤة البحرين**، حقّقه وعلّق عليه السيّد محمّد صادق بحر العلوم، مكتبة فخراوي، البحرين، ط١، ١٤٢٩هـ.

□ **البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل:**

* **صحيح البخاري**، خرّج أحاديثه وعلّق عليه محمود محمّد محمود حسن نصّار، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٦، ٢٠٠٩.

باب التاء

□ **التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله:**

* **شرح المقاصد**، قدّم له وووضع حواشيه وعلّق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت منشورات محمّد عليّ بيضون، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

باب الجيم

□ **الجابري، عليّ حسين:**

* **الفكر السلفيّ**، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٧٧.

□ **الجابري، محمّد عابد:**

* **العقل الأخلاقي العربيّ: دراسة تحليليّة نقديّة لنظم القيم في الثقافة العربيّة**، مركز الدراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ٢٠٠٦ م.

□ **الجرجاني، أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ الحسيني:**

* **التعريفات**، وضع حواشيه وفهارسه محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩. الجزائري، نعمة الله:

* **نور البراهين**، تحقيق السيّد مهدي الرجائي، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط١، ١٤١٧هـ.

□ **جعفر، مهدي خليل:**

* **الإمام المهدي في الأديان**، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.





□ **جودة، ناجي حسين:**

* **المعرفة الصوفيّة: دراسة في مشكلات المعرفة**، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.

باب الحاء

□ **الحائري، عليّ اليزدي:**

* **إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب**، مراجعة وتصحيح فالح عبد الرزاق العبيدي، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

□ **حائري، كاظم الحسيني:**

* **تزكية النفس**، مؤسّسة الفقه للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٢هـ.

□ **الحرّاني، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة:**

* **تحف العقول عن آل الرسول**، قدّم له الشيخ حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٧، ٢٠٠٢.

□ **حسنين، غلام:**

* **عصمة العقائد من أخطائها في شرح كشف المراد وتجريد الاعتقاد**، منشورات مجمع الذخائر الإسلاميّة، مطبعة كوثر، قم، ط١، ١٤٢٧هـ.

□ **الحسيني، أحمد:**

* **تلامذة المجلسي**، طبع باعتناء السيّد محمود المرعشي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي العامّة، قم، ط١، ١٤١٠هـ.

□ **الحسيني، رضي الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس:**

* **إقبال الأعمال**، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.





☐ **الحكيمي، محمّد رضا:**

* **بداية الفرق نهاية الملوك**، توثيق وتعليق شاكر الإبراهيمي، دار الفردوس، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

☐ **الحلّيّ، أبو منصور الحسن بن يوسف المطهّر:**

* **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**، صحّحه وقدّم له وعلّق عليه آية اللّه الشيخ حسن حسن زاده آملي، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ط١٠، ١٤٢٥هـ.
* **النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر**، شرح المقداد السيوري، تحقيق وتعليق مشتاق الساعدي، ط١، ٢٠١٠.
* **أنوار الملكوت في شرح الياقوت**، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠١١.
* **نهج الحقّ وكشف الصدق**، علّق عليه عين اللّه الحسيني الأرموي، قدّم له رضا الصدر، منشورات دار الهجرة، قم، ١٤١٤هـ.
* **تسليك النفس إلى حظيرة القدس**، تقديم جعفر السبحاني، تحقيق فاطمة رمضاني، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، قم، ط١، ١٤٢٦هـ.
* **الأسرار الخفيّة في العلوم العقليّة**، تحقيق مركز الإيمان والدراسات الإسلاميّة، منشورات مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الإسلاميّ، قم، ط١، ١٤٢١هـ.
* **معارج الفهم في شرح النظم**، إشراف مكتبة العلّامة المجلسي، تحقيق عبد الحليم عوض الحلّيّ، منشورات دليل، قم، ط١، ١٤٢٨هـ.
* **غاية المرام في علم الكلام**، إشراف جعفر السبحاني، تحقيق فاضل العرفان، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، مطبعة اعتماد، قم، ط١، ١٤١٩هـ.

☐ **الحلّيّ السيوري، جمال الدين مقداد بن عبد اللّه:**

* **إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين**، تحقيق مهدي الرجائي، اهتمام محمود المرعشي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي العامّي، قم، ١٤٠٥هـ.

* **اللوامع الإلهيّة في المباحث الكلاميّة**، تعليق محمّد تقي مصباح اليزدي، تحقيق ونشر مجمع الفكر الإسلاميّ، قم، ط١، ١٤٢٤هـ.

* **الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد**، تحقيق صفاء الدين البصري، منشورات مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد، ط١، ١٤١٢هـ.

□ **حميّة، خنجر عليّ:**

* **العرفان الشيعيّ: دراسة في الحياة الروحيّة والفكريّة لحيدر الآملي**، دار الهادي، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ.

□ **حنفي، حسن:**

* **من العقيدة إلى الثورة: الإنسان الكامل**، منشورات دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

□ **الحنفي، سليمان بن إبراهيم القندوزي:**

* **ينابيع المودّة**، تحقيق عليّ جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم، ط٢، ١٤٢٢هـ.

□ **الحويزي:**

* **تفسير نور الثقلَين**، تصحيح وتعليق السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسّسة اسماعيليان للطباعة والنشر، قم، ط٤، ١٤١٢هـ.

□ **الحيدري، كمال:**

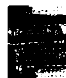
* **دروس في الحكمة المتعالية: شرح كتاب بداية الحكمة**، دار فراقد، المطبعة ستارة، ط٢، ١٤٢٤هـ.

* **التربية الروحيّة: بحوث في جهاد النفس**، دار فراقد، ط٧، ٢٠٠٥.

* **الدعاء: إشراقاته ومعطياته**، تأليف طلال الحسن، دار مشعر، طهران، ط١، ١٤٣٣هـ.

* **العقل والعاقل والمعقول: شرح نهاية الحكمة**، بقلم الشيخ ميثاق طالب، دار فراقد، قم، ١٤٣١هـ.





* **الفلسفة: شرح كتاب الأسفار**، بقلم الشيخ قيصر التميمي، منشورات دار فراقد، قم، ط١، ٢٠٠٨.
* **المعاد: رؤية قرآنيّة**، بقلم خليل رزق، دار الصفوة، بيروت، ط١، ٢٠١٠.
* **بحوث في علم النفس الفلسفيّ**، بقلم الشيخ عبد الله الأسعد، دار فراقد، قم، المطبعة ستارة، ط١، ١٤٢٤هـ.
* **عصمة الأنبياء في القرآن: مدخل إلى النبوّة العامّة**، بقلم محمود نعمة الجياشي، دار فراقد، ط٣، ٢٠٠٥.
* **فلسفة صدر المتألّهين: قراءة في مرتكزات الحكمة المتعالية**، بقلم الشيخ خليل رزق، دار الصفوة، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ.
* **مراتب العلم الإلهيّ**، المطبوع ضمن مجموعة بحوث عقائديّة وفلسفيّة وعرفانيّة، دار جواد الأئمّة (ع)، بيروت، ط١، ٢٠١٠.
* **معرفة الله**، بقلم طلال الحسن، دار المرتضى، بيروت، ١٤٣١هـ.

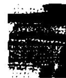
باب الخاء

□ **خالقي، عليّ:**
* **آفاق الفكر السياسيّ عند الفيض الكاشاني**، ترجمة السيّد ربيع الحسينيّ، دائرة معارف الفقه الإسلاميّ، قم، ط١، ١٤٢٨هـ.

□ **خميس، محمّد عطيّة:**
* **رابعة العدويّة**، منشورات المكتبة المحموديّة التجاريّة، ط٤، مصر.

□ **الخميني، مصطفى:**
* **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق ونشر مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط١، ١٤١٨هـ.





□ **الخوارزمي، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري:**

❊ **تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،** اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩.

□ **الخوئي، أبو القاسم الموسوي:**

❊ **البيان في تفسير القرآن**، مؤسّسة إحياء آثار الإمام الخوئي، إيران، ط٣، ٢٠٠٧.

❊ **محاضرات في أصول الفقه**، تقريرات محمّد إسحاق الفيّاض، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

باب الدال

□ **الداماد، محمّد باقر:**

❊ **الأفق المبين**، حقّقه وقدّم له حامد ناجي أصفهاني، مؤسّسة مطالعات إسلامي، طهران، ١٣٩١ش.

❊ **الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الإماميّة**، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٥هـ.

❊ **القبسات**، باهتمام الدكتور مهدي محقّق، انتشارات دانشكاه، طهران، ١٣٧٤ش.

❊ **تقويم الإيمان**، حققه وقدّم له عليّ أوجبي، منشورات ميراث مكتوب، ١٣٨٥ش.

❊ **رسالة الإيقاظات في خلق الأعمال**، تحقيق وتصحيح حامد ناجي أصفهاني، مؤسّسة بزوهشي حكمت وفلسفة إيران، طهران، ١٣٩١ش.

□ **ديناني، غلام حسين الإبراهيمي:**

❊ **القواعد الفلسفيّة العامّة**، ج٢، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.





باب الراء

□ **الرازي، فخر الدين محمّد بن عمر:**

* **المباحث المشرقيّة**، تحقيق وتعليق محمّد المعتصم بـالله البغدادي، منشورات ذوي القربى، قم، ط١، ١٤٢٨هـ.

□ **الرفاعي، عبد الجبّار:**

* **مبادئ الفلسفة الإسلاميّة**، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

□ **روضان، رياض سحيب:**

* **علم الكلام عند صدر الدين الشيرازي:دراسة في الإلهيّات**، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠١٢.

□ **الريشهري، محمّد:**

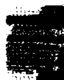
* **ميزان الحكمة**، دار الحديث، ط١، ١٤١٦هـ.

باب السين

□ **السبحاني، جعفر:**

* **الإلهيّات على هدى الكتاب والسنّة والعقل**، بقلم حسن محمّد مكّي العاملي، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، قم، ط٦، ١٤٢٦هـ.
* **العقيدة الإسلاميّة على ضوء مدرسة أهل البيت (ع)**، نقله إلى العربيّة جعفر الهادي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
* **الفكر الخالد في بيان العقائد**، إعداد اللجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، تعريب خضر ذو الفقاري، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، ط١، ١٤٢٥هـ.
* **بحوث في الملل والنحل**، ج١، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، قم، ط٣، ١٤٣٣هـ.





* **تاريخ الفقه الإسلاميّ وأدواره**، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، قم، ط٢، ١٤٢٩هـ.

* **محاضرات في الإلهيّات**، تلخيص عليّ الربّاني الكلبايكاني، دار جواد الأئمّة، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

□ **السبزواري، هادي:**

* **شرح الاسماء: شرح دعاء الجوشن الكبير**، تحقيق نجفقلي حبيبي، مؤسّسة العروة الوثقى، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

* **شرح المنظومة**، علّق عليه حسن زاده آملي، تقديم وتحقيق مسعود طالبي، منشورات نشر ناب طهران، ١٣٨٤ش.

* **شرح المنظومة في المنطق والحكمة**، تحقيق وتعليق محسن بيدار فر، انتشارات بيدار، المطبعة شريعت، قم، ط١، ١٤٢٨هـ.

□ **سبهاني، رؤوف:**

* **تاريخ الفلسفة في ايران**، منشورات زين، بيروت، ط١، ٢٠١١.

□ **سرور، إبراهيم حسين:**

* **المعجم الشامل للمصطلحات العلميّة والدينيّة**، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ.

□ **السند، محمّد:**

* **تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم**، تقرير الشيخ محسن الجصّاني، مؤسّسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط١، ١٤٣٤هـ.

* **العقل العمليّ**، منشورات الاجتهاد، قم، ط١، ٢٠٠٨.

□ **السيوطي، جلال الدين:**

* **العرف الورديّ في أخبار المهديّ**، حقّقه وصحّحه وعلّق عليه الدكتور مهدي أكبر نجاد، منشورات هستي نما، طهران، ط١، ١٤٢٩هـ.





باب الشين

☐ **الشافعي، حسن محمود عبد اللطيف:**

❊ **نظريّة الحكمة الجوهرية عند صدرا في سياق الفكر الإسلاميّ**، المطبوع ضمن كتاب الملا صدرا والفلسفة العالمية المعاصرة، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨ هـ.

☐ **الشاهرودي، عليّ النمازي:**

❊ **مستدرك سفينة البحار**، تحقيق وتصحيح الشيخ حسن بن عليّ النمازي، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ١٤١٩هـ.

☐ **شبّر، عبد الله:**

❊ **الأنوار اللاّمعة في شرح الزيارة الجامعة**، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

❊ **مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار**، تحقيق وتعليق السيّد عليّ السيّد محمّد السيّد عليّ السيّد حسين نجل المؤلف، مؤسّسة النور للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

☐ **الشبلنجي، مؤمن:**

❊ **نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار**، منشورات المكتبة العصريّة، بيروت، ٢٠٠٦.

☐ **الشرقاوي، حسن:**

❊ **معجم ألفاظ الصوفيّة**، مؤسّسة المختار للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٧.

☐ **الشقّاق، يحيى محمّد راضي:**

❊ **الحبّ في التصوّف الإسلاميّ**: ابن عربي أنموذجًا، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٩.





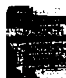
□ **الشهرستاني، أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم:**

* **الملل والنحل**، صحّحه وعلّق عليه أحمد فهمي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٧، ٢٠٠٧.

□ **الشيرازي، صدر الدين محمّد:**

* **الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٥، ١٩٩٩.
* **مقدّمات وتعليقات مفاتيح الغيب**، تعليق عليّ النوريّ، تقديم محمّد خواجوي، اعتنى به فاتن محمّد خليل اللبون، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
* **المبدأ والمعاد في الحكمة المتعالية**، تصحيح وتحقيق ومقدّمة الدكتور محمّد ذبيحي والدكتور جعفر شاه نظري، بإشراف محمّد خامنائي، مؤسّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
* **كتاب المشاعر**، مقدّمة هنري كوربان، ترجمة المقدّمة ابتسام الحمويّ، تعليق وتصحيح فاتن محمّد خليل اللبون، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
* **رسالة في الحدوث**، المطبوعة ضمن مصنّفات صدر الدين الشيرازي، جمع وتحقيق محسن عقيل، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠١١.
* **شرح الهداية الأثيريّة**، ضبط وتصحيح محمّد مصطفى فولاذكار، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
* **الشواهد الربوبيّة في المناهج السلوكيّة (مع حواشي الحكيم المحقّق الحاجّ ملّا هادي السبزواري)**، تعليق وتصحيح وتقديم السيّد جلال الدين الأشتياني , مؤسّسة التاريخ العربيّ، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
* **كسر أصنام الجاهليّة**، تصحيح وتحقيق وتقديم الدكتور محسن جها نكيري، إشراف السيّد محمّد خامنائي مؤسّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.





* **شرح أصول الكافي**، تحقيق وتصحيح محسن عقيل، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠١١.

* **أسرار الآيات**، تقديم وتصحيح محمّد خواجوي، دار الصفوة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

☐ **الشيرازي، عليّ خان المدنيّ:**

* **رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين**، تحقيق السيّد محسن الحسيني الأميني، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ط٤، ١٤١٥هـ.

☐ **الشيرازي، محمّد الحسيني:**

* **العقائد الإسلاميّة**، مؤسّسة التبليغ العالميّة، بيروت، ط٧، ٢٠٠٣.

☐ **الشيرازي، ناصر مكارم:**

* **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

باب الصاد

☐ **الصادق، جعفر:**

* **مصباح الشريعة**، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١٠.

☐ **صبحي، أحمد محمود:**

* **نظريّة الإمامة لدى الشيعة الاثني عشريّة: تحليل فلسفيّ للعقيدة**، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٩٩١.

☐ **الصدر، عليّ الحسيني:**

* **العقائد الحقّة**، دار العلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.





□ **الصدر، محمّد:**

* **الأمر بين الأمرَين**، بقلم عليّ سميسم، دار ومكتبة البصائر ودار إيوان، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.
* **بين يدَي القرآن**، هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر (النجف الأشرف) ودار ومكتبة البصائر (بيروت)، ط١، ١٤٣٢هـ.
* **رفع الشبهات عن الأنبياء**، هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر (النجف الأشرف) ودار ومكتبة البصائر (بيروت)، ط١، ١٤٣١هـ.
* **فقه الأخلاق**، ج١، هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر (النجف الأشرف) ودار ومكتبة البصائر (بيروت)، ١٤٣١هـ.
* كلمة في البدء.
* **منهج الأصول**، هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر (النجف الأشرف) ودار ومكتبة البصائر (بيروت)، ط١، ١٤٣١ هـ.

□ **الصدر، محمّد باقر:**

* **اقتصادنا**، منشورات مركز الأبحاث والدراسات التخصّصيّة للشهيد الصدر، ط١، قم، ١٤٢٤هـ.
* **الموجز في أصول الدين**، تحقيق عبد الجبار الرفاعي، منشورات حبيب، ط١، ١٤١٧هـ.
* **بحث حول المهدي (ع)**، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٦، ٢٠٠٣.

□ **الصدر، مهدي:**

* **أخلاق أهل البيت** عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

□ **الصدوق، أبو جعفر بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي:**

* **كمال الدين وتمام النعمة**، منشورات الفجر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩ م.
* **معاني الأخبار**، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
* **علل الشرايع**، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.





☐ **الصفّار، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن خروج:**

* **بصائر الدرجات**، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٣١ه، ص ٤٩٥.

☐ **صليبا، جميل:**

* **المعجم الفلسفيّ**، منشورات ذوي القربى، المطبعة سليمان زاده، قم، ط١، ١٣٨٥ ش.

باب الطاء

☐ **الطبرسي، حسين النوري:**

* **نفس الرحمن في فضائل سلمان**، تحقيق الشيخ نعيم الأسدي، دار الجوادَين، بيروت، ط١، ٢٠١٢.

☐ **الطهراني، محمّد الحسين الحسيني:**

* **معرفة المعاد**، تعريب عبد الرحيم مبارك، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

* **معرفة الله**، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

☐ **الطباطبائي، عبد العزيز:**

* **مكتبة العلامة الحلّيّ: أهمّ رجال الحديث عند الشيعة**، تحقيق مؤسّسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤١٦ه.

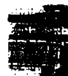
☐ **الطباطبائي، عليّ:**

* **رياض المسائل**، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط١، ١٤١٢ه.

☐ **الطباطبائي، محمّد حسين:**

* **الميزان في تفسير القرآن**، تحقيق الشيخ إيّاد باقر سلمان، قدم له السيّد كمال الحيدري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.





* **بداية الحكمة**، شرح وتحقيق محمّد مهديّ المؤمن، منشورات ذوي القربى، المطبعة سبهر، ط١، ١٤٢٢هـ.
* **بداية الحكمة**، صحّحه وعلّق عليه الشيخ عبّاس عليّ الزارعيّ السبزواريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط٢١، ١٤٢٤هـ.
* **سنن النبيّ**، ملحقات الشيخ محمّد هادي الفقهي، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط٣، ١٤٢٧هـ.
* **نهاية الحكمة**، صحّحه وعلّق عليه الشيخ عبّاس عليّ الزراعي السبزواري، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ١٤٢٤هـ.

□ **الطبرسي:**
* **مجمع البيان**، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائين، تقديم السيّد محسن الأمين العاملي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
* **الاحتجاج**، تحقيق وتعليق السيّد محمّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٩٦٦م.

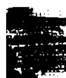
□ **الطبرسي، رضيّ الدين أبو نصر الحسن بن الفضل:**
* **مكارم الأخلاق**، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

□ **طقوش، محمّد سهيل:**
* **تاريخ الدولة الصفويّة في إيران**، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

□ **الطهراني، آغا برزك:**
* **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، دار الأضواء، بيروت، ط٢.

□ **الطهراني، محمّد محسن:**
* **طبقات أعلام الشيعة**، تحقيق عليّ نقي منزوي، مؤسّسة اسماعليان، قم، ايران، ط٢.





□ **الطهراني، هاشم الحسيني:**

* **توضيح المراد: تعليقة على شرح تجريد الاعتقاد للعلّامة الحلّيّ**، ج١، مطبعة المصطفوي.

□ **الطوسي:**

* **الأمالي**، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

□ **الطوسي، أبو جعفر نصير الدين:**

* **أوصاف الاشراف**، ترجمة محمّد الخليلي، تحقيق وتقديم السيّد محمّد عليّ الحيدري الحسني، مؤسّسة بضعة المختار (ص) لإحياء تراث أهل البيت (ع)، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
* **تلخيص المحصّل المعروف بنقد المحصّل**، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٥.

□ **الطويل، توفيق:**

* **أسس الفلسفة**، الناشر دار النهضة العربيّة، القاهرة، ط٤، ١٩٦٤.

باب العين

□ **العامر، فارس عليّ:**

* **عقائد الإماميّة في ثوبه الجديد**، مكتبة الإمام الشيرازي العامّة، بيروت.

□ **العاملي، عزّ الدين الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني:**

* **نور الحقيقة ونور الحديقة في علم الأخلاق**، تحقيق محمّد جواد الحسيني الجلالي، مؤسّسة النور للمطبوعات، بيرون، ط٢، ١٩٨٧.

□ **العاملي، محمّد بن الحسن الحرّ:**

* **وسائل الشيعة**، تحقيق مؤسّسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨.





* **أمل الأمل**، تحقيق السيّد احمد الحسيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

□ **عبوديت، عبد الرسول:**

* **النظام الفلسفيّ لمدرسة الحكمة المتعالية**، تعريب عليّ الموسوي، مراجعة الدكتور خنجر حميّة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ (سلسلة الدراسات الحضاريّة)، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

□ **العبيدي، حسن مجيد:**

* **جغرافيّة التفلسف**، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ.

□ **العجم، رفيق:**

* **موسوعة مصطلحات التصوّف الإسلاميّ**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

□ **العسر، ميثاق:**

* **العقل العمليّ في أصول الفقه: جذوره الكلاميّة والفلسفيّة**، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ، بيروت، ط١، ٢٠١٢.

□ **عفيفي، أبو العلا:**

* **التصوّف: الثورة الروحيّة في الإسلام**، دار الشعب، بيروت.

□ **علم الهدى، الشريف المرتضى:**

* **تنزيه الأنبياء والأئمّة**، تحقيق فارس حسّون كريم، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، ط١، ١٤٢٢هـ.

□ **العياشي، أبو النصر محمّد بن مسعود بن عباس السلميّ السمرقنديّ:**

* **تفسير العياشي**، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩١.





باب الغين

☐ **الغزالي، أبو حامد:**

* **إحياء علوم الدين**، ضبط نصّه وخرّج أحاديثه الدكتور محمّد محمّد تامر، منشورات مؤسّسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.
* **تهافت الفلاسفة**، دار المعارف، مصر، مطبعة إيـران بكتا، طهران، ١٣٨٢ش.

☐ **غيّاض، قاسم شهيد محمّد:**

* **الفيض الكاشاني وجهوده في تفسير الصافي**، منشورات العتبة العلويّة المقدّسة، النجف الأشرف، ٢٠١١.

باب الفاء

☐ **فخري، ماجد:**

* **تاريخ الفلسفة اليونانيّة**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩١.

☐ **الفراهيدي، الخليل:**

* **كتاب العين**، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسّسة دار الهجرة، ط٢، ١٤٠٩هـ.

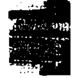
☐ **فضل اللّه، محمّد حسين:**

* **حركة النبوّة في مواجهة الانحراف**، إعداد وتنسيق شفيق محمّد الموسوي، دار الملاك، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
* **فهرس مخطوطات الفيض الكاشاني**، باشراف محمود المرعشي النجفي ومحمّد حسين أميني، ٢٠٠٨.

☐ **الفيروز آبادي، مجد الدين محمّد بن يعقوب:**

* **القاموس المحيط**، قدّم له وعلّق حواشيه الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩.





□ **فيض، عليّ رضا:**

* **الفقه والاجتهاد: عنصر التأصيل والتجديد والمعاصرة**، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ (سلسلة الدراسات الحضاريّة)، بيروت، ط٢، ٢٠١٠.

□ **الفيض الكاشاني، محمّد بن المرتضى:**

* **النخبة في الحكمة العمليّة والأحكام الشرعيّة**، تحقيق وتقديم مهدي الأنصاري القمّي، منشورات مركز الطباعة والنشر لمنظّمة الإعلام الإسلاميّ، ط٢، ١٤١٨هـ.
* **زاد السالك**، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، منشورات جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، ط١، ١٤٣٣هـ.
* **ضياء القلب**، تحقيق السيّد عليّ عاشور، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
* **الأصفى في تفسير القرآن**، تقديم وتصحيح مهديّ الأنصاري القمّي، دار نشر اللوح المحفوظ، طهران، ط٢، ١٤٢٣ه.
* **ذريعة الضراعة**، تصحيح وتحقيق فاطمة نقيبي، بإشراف محمّد الإماميّ الكاشانيّ، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ١٣٨٧ش.
* **تفسير الصافي**، صحّحه وقدّم له وعلّق عليه الشيخ حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
* **خلاصة الأذكار واطمئنان القلوب**، تحقيق السيّد حسن النقيبي، إشراف أحمد العابدي، انتشارات زائر، قم.
* **مجموعة رسائل**، تصحيح وتحقيق حسن قاسمي، إشراف محمّد الإمامي الكاشاني، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران.
* **مرآة الآخرة**، تحقيق السيّد عليّ عاشور، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
* **مفاتيح الشرايع**، تحقيق الشيخ محمّد الأصبهاني، منشورات دار التفسير، قم، ط١، ١٤٣٤هـ.





* **نوادر الأخبار**، تحقيق مهديّ الأنصاري القمّي، دار الأندلس بيروت/النجف، ط١، ٢٠١٠.
* **المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء**، صحّحه وعلّق عليه عليّ أكبر الغفاري، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ط١، ٢٠٠٩.
* **تسهيل السبيل بالحجّة**، تحقيق حامد الخفاف، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
* **تسهيل السبيل بالحجّة في انتخاب كشف المحجّة لثمرة المهجة**، تحقيق حامد الخفّاف، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
* **تعليقات على الصحيفة السجاديّة**، تحقيق مؤسّسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، منشورات مؤسّسة التحقيقات والبحوث الثقافيّة التابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي، طهران، ط١، ١٤٠٧هـ.
* **غنية الأنام في معرفة الساعات والأيام (من لا يحضره التقويم)**، تحقيق الشيخ ماجد بن أحمد العطيّة، دار الراية البيضاء (بغداد) والدار البيضاء (بيروت)، ط١، ٢٠١٢.
* **أصول المعارف**، تقديم الشيخ محمّد حسن زراقط، دار المعارف الحكميّة، ٢٠١٠.
* **الأصول الأصيلة**، تصحيح وتحقيق سيّد أبو القاسم نقيبي وحسن قاسمي، إشراف محمّد الإماميّ الكاشانيّ، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران.
* **الرسائل الفقهيّة**، تصحيح وتحقيق سيّد أبو القاسم نقيبي، إشراف محمّد الإماميّ الكاشانيّ، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ١٣٨٧ش.
* **الكلمات الطريفة**، تصحيح وتحقيق سيّد عليّ جبار كلباغي، إشراف محمّد الإماميّ الكاشانيّ، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران.





* **الكلمات المكنونة**، ترجمة وتحقيق عليّ عاشور، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٧٤.
* **المعارف**، تصحيح وتحقيق حسن القاسمي الكاشاني، بإشراف محمّد الإمامي الكاشاني، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ١٣٨٧ش.
* **الوافي**، منشورات مكتبة أمير المؤمنين (ع) العامّة، أصفهان، ط١، ١٣٧٠هـ.
* **سفينة النجاة**، تصحيح وتحقيق سيّد عليّ جبار كلباغي، إشراف محمّد الإماميّ الكاشانيّ، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران.
* **قرّة العيون في أعزّ الفنون**، ترجمة وتحقيق عليّ عاشور، مؤسّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٧٤.
* **معتصم الشيعة في أحكام الشريعة**، تصحيح وتحقيق مسيح التوحيدي، بإشراف محمّد الإماميّ الكاشانيّ، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران، ١٣٨٧ش.
* **أنوار الحكمة**، تحقيق وتعليق محسن بيدار فر، منشورات بيدار، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ.
* **علم اليقين في أصول الدين**، تحقيق وتعليق محسن بيدار فر، منشورات بيدار، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ.
* **عين اليقين (الملقّب بـ«الأنوار والأسرار»)**، صحّحه واعتنى به الشيخ رضا عيّاش، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠١١.
* **الحقائق في محاسن الأخلاق**، تحقيق وتعليق اللجنة العلمية في مكتبة بارسا، منشورات مؤسّسة دار المجتبى، قم، ط١، ٢٠٠٨.

باب القاف

□ **القاشاني، عبد الرزّاق:**

* **اصطلاحات الصوفيّة**، ضبط وتصحيح وتعليق الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.





□ **القبانجي، حسن:**

* **شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع)**، ج١، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١.

□ **القشيري، عبد الكريم:**

* **الرسالة القشيريّة في علم التصوّف**، تحقيق وإعداد معروف زريق وعليّ عبد الحميد بلطه جي، دار الجيل، بيروت، ط٢.

□ **القمّي، جعفر بن محمّد بن قولويه:**

* **كامل الزيارات**، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

□ **القمّي، سعيد بن محمّد بن محمّد مفيد:**

* **الأربعينيّات لكشف أنوار القدسيّات**، تحقيق نجفقلي حبيبي، منشورات ميراث مكتوب، ١٣٨١ش.
* **شرح توحيد الصدوق**، تحقيق نجفقلي حبيبي، منشورات وزارت فرهنك وإرشاد إسلامي، ١٣٧٣ش.

□ **القيصري:**

* **شرح فصوص الحكم**، تحقيق حسن زاده آملي، منشورات بيروت، لبنان.

□ **القيّومي، جواد:**

* **صحيفة الحسين (ع)**، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط١، ١٣٧٤ش.

باب الكاف

□ **الكاشاني، علم الهدى محمّد بن المحسن:**

* **معادن الحكمة في مكاتيب الأئمّة**، تعليق الشيخ عليّ الأحمدي الميانجي، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط٣، ١٤٣١هـ.

□ **كاظم، أزهار عادل:**

* **الفيض الكاشاني ومنهجه في التفسير الأصفى**، بإشراف أ. م. د. مصطفى مؤيّد حميد الرفاعي، رسالة مقدّمة إلى الجامعة المستنصرية-كلّيّة التربية الأساسيّة: قسم التربية الإسلاميّة، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم **القرآن**، ٢٠١١.

□ **الكركي:**

* **جامع المقاصد**، مؤسّسة آل البيت (ع) الإحياء التراث، قم، ط١، ١٤٠٨هـ.

□ **كرم، يوسف:**

* **تاريخ الفلسفة اليونانيّة**، دار القلم، بيروت.

□ **الكفعمي، تقي الدين ابراهيم بن عليّ بن الحسن ابن محمّد العاملي:**

* **المصباح**، دار الكتاب العربيّ، بغداد، ط١، ٢٠٠٨.

□ **الكفعمي، جمال الدين أحمد بن عليّ الجبعي:**

* **معارج الأفهام إلى علم الكلام**، تحقيق عبد الحليم عوض الحلّيّ، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

□ **الكلبايكاني، لطف اللّه الصافي:**

* **منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر**، منشورات مؤسّسة السيّدة معصومة (ع)، قم، ط٣، ١٤٢٧هـ.

□ **الكليني، محمّد بن يعقوب:**

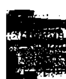
* **أصول الكافي**، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، ط٣، ١٤٢٤هـ.

باب اللام

□ **اللاهيجي، عبد الرزّاق:**

* **شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام**، تقديم وإشراف جعفر السبحاني، تحقيق أكبر أسد عليّ زاده، مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، قم، ط١، ١٤٣٠هـ.





باب الميم

☐ **المازندراني، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهر آشوب السروي:**

❊ **مناقب آل أبي طالب**، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

☐ **المازندراني، محمّد صالح:**

❊ **شرح أصول الكافي**، تحقيق السيّد عليّ عاشور، مؤسّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ط٢، ١٤٢٩ه، ص٦٦.

☐ **المتّقي الهندي:**

❊ **كنز العمال**، تحقيق الشيخ بكري حياتي، تصحيح صفوت السقّا، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩.

☐ **المجلسي، محمّد باقر:**

❊ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**، تحقيق السيّد إبراهيم الميانجي ومحمّد باقر البهبودي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.

☐ **مدكور، إبراهيم:**

❊ **المعجم الفلسفيّ**، منشورات مجمع اللغة العربية، مصر، ١٩٨٣.

☐ **المرزبان، بهمنيار بن:**

❊ **التحصيل**، تصحيح وتعليق مرتضى المطهّري، انتشارات دانشكاه، طهران، ١٣٧٥ه.

☐ **المسعودي، محمّد فاضل:**

❊ **الأسرار الفاطميّة**، تحقيق وتقديم السيّد عادل العلويّ، مؤسّسة الزائر، قم، ط٢، ١٤٢٠ه.





□ **مسكويه، أبو عليّ أحمد بن محمّد بن يعقوب:**

* **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، تحقيق عماد الهلالي، منشورات ذوي القربى، قم، ط١، ١٤٢٦هـ.

□ **المشهدي، محمّد:**

* **تفسير كنز الدقائق**، تحقيق مجتبى العراقي، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم.

□ **المطهّري، مرتضى:**

* **الإنسان الكامل**، ترجمة جعفر صادق الخليلي، منشورات مؤسّسة البعثة، بيروت، ط٢، ١٩٩٢.
* **المعاد**، ترجمة جواد عليّ كسار، دار الحوراء.
* **النبوّة**، نقله إلى العربية جواد عليّ كسّار، دار الحوراء.
* **بحوث موسّعة في شرح المنظومة**، ترجمة عبد الجبّار الرفاعي، انتشارات ذوي القربى، مطبعة شريعت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

□ **المظفّر، محمّد رضا:**

* **المنطق**، ج ١، دار المتّقين، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١١.
* **بداية المعارف الإلهيّة في شرح عقائد الإماميّة**، محاضرات السيّد محسن الخرازي، مؤسّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

□ **المعيني، صباح حمّودي:**

* **نظريّة المعرفة في الفكر الفلسفيّ العربي المعاصرّ (مصر والعراق)**، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠٠٩.

□ **مغنيّة، محمّد جواد:**

* **فلسفات إسلاميّة**، مؤسّسة دار الكتاب الإسلاميّ، ٢٠٠٦.





□ **المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان:**

* **الاختصاص**، تحقيق عليّ أكبر الغفاري والسيّد محمود الزرندي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٩٣.
* **أوائل المقالات في المذاهب والمختارات**، دار الكتاب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٨٣.
* **النكت الاعتقاديّة**، تحقيق رضا المختاري، المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد، ط١، ١٤١٣هـ.

□ **المدرّسي، هادي:**

* **النبوّة والمعارف**، دار محبّي الحسين، طهران، ط٢، ٢٠٠٣.

□ **الملكي، محمّد باقر:**

* **توحيد الإماميّة**، تحقيق محمّد البياباني الأسكوئي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، ط١، ١٤١٥هـ.

□ **المنتظري:**

* **دراسات في ولاية الفقيه**، الدار الإسلاميّة، بيروت، ط٢، ١٩٨٨.
* **من المبدأ إلى المعاد في حوار بين طالبَين**، انتشارات دار الفكر، قم، ط١، ١٤٢٥هـ.

□ **الموسوي، موسى:**

* **الشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيّع**، ١٩٨٨.

□ **مؤسّسة البلاغ:**

* **نفحات من السيرة: موجز لسيرة الرسول وأهل البيت (ع).**
* **الموسوعة الفلسفيّة**، روزنتال، يودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٤.

* **الموسوعة الفلسفيّة المختصرة**، نقلها عن الإنجليزيّة فؤاد كامل وعبد الرشيد الصادق وجلال العشري، مراجعة وإشراف زكيّ نجيب محمود، دار القلم، بيروت.

باب النون

□ **ناصر، فادي:**

* **سرّ القدر عند العرفاء**، دار الولاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

□ **نبها، خضر محمّد:**

* **مسند هشام بن الحكم**، مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد، ط١، ١٤٣٤هـ.

□ **النجفي، هادي:**

* **موسوعة أحاديث أهل البيت**، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢.

□ **النراقي، محمّد مهدي:**

* **جامع السعادات**، تقديم الشيخ محمّد رضا المظفّر، علّق عليه السيّد محمّد كلانتر، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط٧، ١٤٢٢هـ.
* **قرّة العيون في الوجود والماهيّة**، دراسة وتحقيق وتعليق حسن مجيد العبيدي، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

□ **نعمة، عبد الله:**

* **فلاسفة الشيعة: حياتهم وآراؤهم**، تقديم الشيخ محمّد جواد مغنيّة، دار الفكر اللبنانيّ، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

□ **النقوي، حامد:**

* **خلاصة عبقات الأنوار**، منشورات مؤسّسة البعثة، طهران، ١٤٠٦هـ.





□ **نقيبي، أبو القاسم:**

* **أقوال العلماء في ترجمة المولى محسن الفيض الكاشاني**، منشورات المدرسة العليا للشهيد المطهّري، طهران.

□ **النيسابوري، محمّد بن الفتال:**

* **روضة الواعظين**، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ.

□ **نيكزاد، عبّاس:**

* **التوفيق بين الدين والعقل في مدرسة الحكمة المتعالية**، ترجمة عليّ آل دهر الجزائري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ (سلسلة الدراسات الحضارية)، بيروت، ط١، ٢٠١٢.

باب الهاء

□ **الهمداني، حسين:**

* **الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة**، تحقيق وتعليق محسن بيدار فر، انتشارات بيدار، المطبعة شريعت، قم، ط١، ١٤٢٦هـ.

باب الياء

□ **اليزدي، محمّد تقي مصباح:**

* **السير إلى الله**، ترجمة ماجد الخاقاني، إشراف على الترجمة الشيخ محمّد عبد المنعم الخاقاني، دار الولاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

* **المنهج الجديد في تعليم الفلسفة**، ترجمة محمّد عبد المنعم الخاقاني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٩٩٨.

الفلسفة والكلام في مدرسة الحكمة المتعالية

دراسة في آراء الفيض الكاشاني الفلسفية والكلامية

شهدت المسيرة الفلسفية التي طواها الفكر البشري وضعيات استثنائية على مستوى الإنتاج الفكري والكفاءة الفائقة التي تميّز بها روادها في صياغتهم للعلوم والمعارف على أسس مفهومية مبتكرة، وطرق وأساليب منهجية لم تكن منظورةً في السياق الثقافي السائد آنذاك. وتميزت تلك الاندفاعات الفكرية بالعمق والجدة والتوسع في المعارف والغزارة في الإنتاج بحيث صعب على اللاحقين استيعاب تلك الجهود الرائدة وإعادة جمعها وتنظيمها معرفيًا بما يسمح لها بالانضواء في نسيج الفكر المتداول والمعمول به، فضلًا عن استثمارها نظريًا في السياق الحضاري، هذا الأمر انعكس سلبًا على مجمل المسيرة الفكرية للإنسانية.

وخلافًا لذلك، فقد تهيأ للنهضة الصدرائية الناشطة على يدي صدر المتألهين الشيرازي من يعيد رسم خارطتها البيانية في أدق تفاصيلها ويعمل على تنظيمها وبيانها وضخها في مفاصل الجسم الثقافي العام، وذلك من خلال التميز والإبداع الذي اتسم به الفيض الكاشاني؛ التلميذ الوفي للحكمة المتعالية، والذي عُرف بسعة اطلاعه على الثقافات السابقة وتعقبها، وتنوع قراءاته للثقافات الإسلامية على اختلاف مشاربها، وباعه الطويل في عرض المسائل وتشريحها بالتحقيق والتدقيق والتمحيص، وعمق التبادل الثقافي والفكري الذي اشتغل عليه وانعكس في مؤلفاته من فلسفة، وأخلاق، وعرفان، وفقه، وحديث، وتفسير.. مع تميزه بمعالجة موضوعاته بطريقة مبتكرة نظرًا لما يتمتع به قلمه من قدرة بيانية فائقة على سبر أغوار البحث بعيدًا عن الإسهاب والتقصير، مع غنى وتنوع في الاستدلال، ومباشرة الهدف بعيدًا عن الجدل، وجامعية الطرح مع كمال الاختصار، كل ذلك بأبين لفظ وأمتن معنى.



دار المعـارف الحكميـة
Dar Al maaref Alhikmiah



ISBN 978-614-440-049-4
9 786144 400494